سلسلة أركان الإيمان ٥

الإيمانُ باليومِ الآخِرِ

فِقْهُ القُدُوْم عَلَى اللهِ

د. عليّ محمّد محمّد الصّلّابي



الإيمان باليوم الآخر

فقه القدوم على الله

الطبعة الأولى

1435 هـ 2014 م

سلسلة أركان الإيمان (2)

﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لاَ تُرْجَعُونَ *﴾ **[المؤمنون: 115]**

الإيمان باليوم الآخر

فقه القدوم على الله

تأليف

الدكتور علي محمّد الصَّلابي

دار ابن كثير

للطباعة والنشر والتوزيع

دمشق ـ بيروت

الإهداء

إلى كلّ إنسان يبحث عن حقيقة مصير البشرية في هذا الوجود أهدي هذا الكتاب .

قال تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلاَ يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا *﴾ [الكهف: 110] .

المقدمة

إنّ الحمد لله، نحمده ونستعينه، ونستهديه ونستغفره، ونعوذُ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، ومن يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يضلل فلا هاديَ له، وأشهدُ أنْ لا إله إلا الله وحدَه لا شريكَ له، وأشهدُ أنَّ محمّداً عبدُه ورسولُه :

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ *﴾ [آل عمران: 102].

﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا *﴾ [النساء: 1].

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا *يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا *﴾ [الأحزاب: 70-71].

يا ربِّ لك الحمدُ حتّى ترضى، ولكَ الحمدُ إذا رضيتَ،

ولك الحمدُ بعد الرضى .

أما بعدُ: فهذا الكتابُ يتحدّث عن اليوم الآخر، الذي أخبرنا به الخالق العظيم، الرحمن الرحيم، القوي العزيز، في كتابه المجيد .

ومن خلال مسيرتي في عالم التاريخ رأيتُ كيف قامت الدول وزالت، وتوسّعتِ الحضارات ثم تبخرت، كأن لم تغنَ بالأمس، وكم من ملوك وأمراء، وقادة وحكام، وعلماء وفقهاء، وفلاسفة وعوام من الناس، لا يحصيهم إلاّ الذي خلقهم، قد ماتوا، وأصبحوا في الأمس الغابر، ودخلوا في عالم البرزخ العظيم .

هذا الكتاب يتحدّثُ عن مصير البشرية من دون استثناء، ويجيبُ عن أسئلة حيَّرت الكثيرَ من العقول لبعدِها عن كتاب الله وسنة رسوله (ﷺ) .

إنّ هذا العالَمَ الذي نعيشُ فيه قد اضطربتْ فيه التصوراتُ، وانحرفت فيه العقائدُ عن الله والكون، والإنسان والحياة، والقضاء والقدر، والجنة والنار، والمسلمون يملكون عقيدةً سليمة لا يملكها غيرُهم، وحباهم الله بكتابه العزيز، الذي حفظه من الضياع والتحريف، وسنة نبينا (ﷺ)، وهي شارحةٌ ومبينة لكتاب ربنا عز وجل، فبإمكاننا أن نقدِّمَ للعالَمَ شيئاً يحتاجه ولا يملكه، ومفتقرٌ إليه ولا يستغني عنه .

إنّ بني البشر يسألون عن مصيرهم، وإلى أينَ هم ذاهبون ؟ ويخشون من الموتِ وأهواله، ويبحثون عن إجاباتٍ شافيةٍ: ماذا بعد الموت ؟

وصدق الله العظيم القائل في محكم كتابه: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لاَ تُرْجَعُونَ *فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ *﴾ [المؤمنون: 115 . 116] .

في هذا الكتاب إجاباتٌ شافية ووافية لتساؤلات الكثير من بني الإنسان قد جمعتُها من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، واسترشدتُ بأقوالِ علماء راسخين، وفقهاءِ ربانيين، حفظ الله جهودهم العلمية في أمهات الكتب القديمة والحديثة والمراجع والمصادر الموثوقة .

فهذا الكتابُ يتألف من أربعة فصول هي :

الفصل الأول: يتحدّث عن حقيقة الروح، والموت، وحياة البرزخ، ويتضمن هذا الفصل ثلاثة مباحث :

المبحث الأول: يتحدّث عن الروح، ويبيّنُ حقيقتها في القرآن الكريم، ويجيبُ على أسئلة متعلقة بها، هل الروحُ قديمة أم مخلوقة ؟ وهل النفس هي الروح وما هي مراتب النفوس ؟ وهل تموت الأرواح ؟ وهل للروح كيفية تُعْلَمُ ؟

وكيف تقبض الروح في النوم ؟ ومتى يُغْلَقُ باب التوبة ؟ وكيفية نَزْعُ الروحِ وخروجُ روح المؤمن ؟

ويشرح الآيات المتعلّقة بهذا الأمور كقوله تعالى :

﴿لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخرة لاَ تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ *﴾ [يونس: 62 . 64].

وقوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ يَجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلاَئِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلاَمٌ﴾ [النحل: 31 . 32] .

وقوله تعالى: ﴿يَاأَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ *ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَةً *﴾ [الفجر: 27 . 28] .

وكذلك الحديثُ عن خروج روح الكافر واحتضاره، وشرح الآيات المتعلقة بذلك كقوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلاَئِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمْ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ *﴾ [الأنعام: 93] .

وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلاَئِكَةَ لاَ بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَحْجُورًا *﴾ [الفرقان: 22] .

وقوله تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ *لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلاَّ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ*﴾ [المؤمنون: 99 . 100] .

وفي المبحث الثاني: كان الحديثُ عن الموت وحقيقته، وأهمية تذكره في حياة الإنسان، للابتعاد عن المعاصي، وتليين القلب القاسي، وتهوين المصائب، فمن أكثرَ مِنْ ذكر الموت قلَّ فرحه، وقلَّ حسده، واستعد للرحيل .

قال الشاعر :

مشيناها خطاً كُتِبَتْ علينا ... ومَن كُتِبَتْ عليه خطاً مشاها

وأرزاقٌ لنا متفرِّقاتٍ ... فَمَنْ لَمْ تأتِهِ مِنّا أتاها

وَمَنْ كُتِبَتْ منيتُه بأرضٍ ... فليسَ يموتُ في أرضٍ سِوَاها

وقال اخر :

هبِ الدُّنيا تُسَاقُ إليكَ عفواً ... أليسَ مصيرُ ذاكَ إلى انتقالِ

وما دنياكَ إلاّ مثلُ فيءٍ ... أظلَّكَ ثُمَّ اذنَ بالزَّوَلِ

ويجدُ القارأى الكريم بيانَ الحكمة من الموت، وأنّ ساعة الموت أخطرُ لحظةٍ في عمر الإنسان، فتزدادُ حسرةُ الميّت ومصيبتُه وفجيعتُه حين يكونُ منِكراً للحياة الآخرة، أو مغروراً بمسلكه المضاد لدين الله، أو القائم على البدع والخرافات التي أبعدته عن الإيمان الصحيح والطريق السويِّ الموافق للكتاب والسنة .

وأشرتُ إلى أسباب حُسنِ الخاتمة، كإقامة التوحيد لله عز وجل، والاستقامة، والتقوى، والصدق، والتوبة، والدعاء، وقصر الأمل، والتفكر في حقارة الدنيا،

والإكثار من ذكر الموت، وغلبة الرجاء، وحسن الظن بالله . والبعد عن أسباب سوء الخاتمة .

كما بينت أسباب سوء الخاتمة كالشكِّ، والجحود، والتعبد بالبدع، وتسويف التوبة، وعدم الاستقامة، وتعلق القلب بغير الله، وسوء الظن بالله، والإصرار على الذنوب والمعاصي، ونسيان الآخرة، وعدم ذكر الموت، والظلم .

كما شرحتُ الآيات التي تحدثت عن قبض أرواح العباد كقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُم حَفَظَةً حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لاَ يُفَرِّطُونَ *ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلاَهُمُ الْحَقِّ أَلاَ لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ *﴾ [الأنعام: 61 . 62] .

وفي المبحث الثالث: كان الحديثُ عن حياة البرزخ، والآيات القرآنية والأحاديث النبوية الصحيحة الدالة على عذاب القبر، وما ينتفع به الميت من عمل الأحياء، وما يتبعُ الميتَ إلى قبره، وأنَّ القبر أول منازل الآخرة، والحكمة من عذاب القبر ونعيمه، وهل عذابُ القبر دائمٌ أم منقطع ؟ وعن أسبابِ عذاب القبر والنجاةِ منه ؟ وأينَ مستقَرُّ الأرواح في البرزخ، كأرواح الأنبياء، وأرواح الشهداء، وأرواح المؤمنين الصالحين وأرواح العصاة وأرواح الكفار .

وفي الفصل الثاني، كان الحديث عن علامات الساعة الصغرى والكبرى، والنفخ في الصور . ويشتمل هذا الفصل ثلاثة مباحث :

المبحث الأول: لخّصت فيه مجملَ أشراط الساعة الصغرى .

وفي المبحث الثاني: كان الحديث عن أشراط الساعة الكبرى في القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة، كنزول عيسى، ويأجوج ومأجوج، وطلوع الشمس من مغربها، وخروج الدابة، والمهدي، المسيح الدجال، والخسوفات الثلاثة، والنار التي تَحْشرُ الناسَ .

وفي المبحث الثالث: النفخُ في الصور، وما هو الصُّوْر ؟ وما هي عدد النفخات ؟

وفي الفصل الثالث: كان الحديث عن البعث، والحشر، وأهوال القيامة، وأحوال الناس، ويتضمن هذا الفصل أربعة مباحث :

المبحث الأول: في الحديث عن البعث والأدلة على ذلك وأسماء يوم القيامة .

والمبحث الثاني: خُصِّصَ للحشر وأهوال يوم القيامة، وشَرْحِ الآيات التي تحدّثت عن الحشر كقوله تعالى: ﴿وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَى رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلاَ شَفِيعٌ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ *﴾ [الأنعام: 51] وكقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا *﴾ [الكهف: 47] وكقوله تعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَآبَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ

إِلاَّ أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴾ [الأنعام: 38] .

وتكلّمتُ عن مكان الحشر، وصفة الناس في الحشر، وأحوالهم، وخوفهم الشديد، وبيّنتُ أهوال يوم القيامة التي ذُكِرَتْ في القرآن الكريم، كدكّ الأرض، ونسف الجبال، وقبض الأرض، وطي السماء، وتفجير البحار وتسجيرها، ومَوَرَان السماء وانفطارها، وتكوير الشمس، وخسف القمر، وتناثر النجوم، وسجود الخلائق لله سبحانه عند إتيانه للفصل بين العالمين، ونزول الملائكةٍ .

ووضحت أحوالَ الكفار يومَ القيامة كذلّتهم، وهوانهم، وحسرتهم، ويأسهم، واسوداد وجوههم، وإحباط أعمالهم، وفضيحتهم أمام الخلائق، وتخاصمهم في الموقف، وكتخاصم العابدين والمعبودين والأتباع من القادة المضلين، والضعفاء مع السادة والملوك، والمرء مع قرينه وأعضائه، ومقتهم لأنفسهم، كلُّ ذلك من خلال القرآن العظيم .

وذكرتُ صفة حشرهم، كحشرهم وهم عطاش، وهم عُمْي وصم وبكم .

كما كان لأحوال عصاة الموحدين نصيبٌ من الحديث في هذا الكتاب، كالذين لا يؤدّون الزكاة، وأصحاب الغلول، والمتكبرين، وغاصبي الأرض، والغادرين، وذوي الوجهين، والحاكم الذي يحتجب عن رعيته .

كما كان لحال الأتقياء ذكرٌ، فهم لا يخافون ولا يحزنون، ولا يفزعون إذا فزع الناس يوم الفزع الأكبر، كما أنَّ وجوههم بيض، ويظلّهم الله في ظلّه يوم لا ظلَّ إلا ظله، بسبب أعمالهم في الدنيا، والتي من أهمّها العدل في حكمهم وأهليهم وما وُلّوا، والتيسير على المعسرين، والذين يسعون في حاجة إخوانهم، ويسدّون خلتهم، والكاظمين الغيظ، وعتقهم للرقاب .

وفي المبحث الثالث: تكلّمت عن الشفاعة، وذكرت الأدلة القرآنية والنبوية في ثبوتها، وأقسامها، وشروطها وأنواعها، كاختصاصه (ﷺ) باستفتاح باب الجنة، والشفاعة في أهل الكبائر، والشفاعة في أقوام يدخلوا الجنة بغير حساب، وعن الشفعاء غير النبي (ﷺ)، كالملائكة والأنبياء عليهم السلام، والمؤمنون الصالحون، والشهداء، وأولاد المؤمنين، والقرآن الكريم .

وكان الحديث عن الأسباب الجالبة للشفاعة: كالتوحيد، وإخلاص العبادة لله، والصيام، والدعاء بما وردَ عند الأذان، وسكنى المدينة، والصبر على لاوائها، وكثرة السجود ...

وفي المبحث الرابع: كان الحديثُ عن الحساب، والميزان، والحوض، والصراط، فقد ذكر الله سبحانه وتعالى مشهدَ الحساب والجزاء فقال تعالى: ﴿وَأَشْرَقَتِ الأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ *﴾ [الزمر: 69] وشرحتُ مجموعةً من الآيات المباركات المتعلّقة بالحساب، كقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ *فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا *﴾ [الانشقاق: 7. 8] وقوله تعالى: ﴿وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا *اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا *مَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً *﴾ [الإسراء: 13. 15] وغيرها من الآيات الكريمة .

ثم كان الحديثُ كذلك عن اقتصاص المظالم بين الخلق، وعظم شأن الدماء، وأول ما يقضى فيه بين العباد .

وذكرت الأدلة الشرعية المتعلقة بالحوض والميزان ورأي العلماء في تفسير قول الله تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلاَ تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ *﴾ [الأنبياء: 47]

ولخّصت أهم الأعمال التي تثقّل الميزان يوم القيامة، كحُسن الخلق، وتسبيح الله وتحميده .

ووقفتُ مع قوله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا *ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا *﴾ [مريم: 71 . 72] وعلاقةُ هذه الآية بالمرور على الصراط، ويا له من موقف يشيبُ لهوله الولدان ! ها هي الأمانةُ على الصراط تقول لكل خائن يمرُّ عليها: أينَ الأمانةُ التي ضيّعتَها؟ أينَ أمانةُ الأموال التي سرقتها ؟ أينَ أمانةُ الشهادةِ لهذا الدين ؟ أينَ الأمانات التي أبتِ السَماوات والأرض والجبال أن يحملنها وأشفقن منها وحملتها أنتَ أيها الإنسان ؟ بل ها هي الرحم تتعلّق على الصراط لتقول لكلِّ من قطعها: أينَ صلةُ الرحمِ التي قطعتَها في الدنيا ؟ وماذا ستصنعُ في اليومِ أمامَ تلك الأهوال؟!

قال الشاعر:

أبـتْ نفسـي تتـوبُ فمـا احتيـالي	إذا بـرزَ العبـادُ لـذي الجـلالِ
وقـاموا مِـنْ قبـورِهِمُ سُـكارَى	بأوزارٍ كَأَمْثـالِ الجِبَـالِ
وَقَـدْ نُصِـبَ الصـراطُ لكـي يَجُـوْزوا	فمـنهم مَـنْ يُكَـبُّ علـى الشِّـمالِ
ومِـنْهُم مَـنْ يسـيرُ لـدارِ عَـدْنٍ	تلقّـاهُ العـرائسُ بالغَـوَالي

يقـــــولُ لــــــه المهـــــيمنُ يا وَلِيِّ غفـرتُ لـكَ الـذنوبَ فـلا تُبَـالِي

وفي الفصل الرابع: كان الحديثُ عن النار والجنة، ويشتمل على أربعة مباحث:

أفردتُ المبحث الأول: لمقدِّماتٍ، كخلودِ الجنّةِ والنارِ، وكونهما مخلوقتان موجودتان الان، ومكانهما، وأصحاب الأعراف .

وفي المبحث الثاني: تكلّمتُ عن النار، وأسمائها، وخزنتها، وصفتها، وما أعد الله لأهلها، ومطالبهم فيها، وصور من عذابها .

وفي المبحث الثالث: أشرتُ إلى موانع إنفاذ الوعيد، كالتوبة والاستغفار، والحسنات الماحية، ودعاء المؤمنين، وإهداءِ القرباتِ، والشفاعة لأهل الكبائر، والمصائب المكفرة والعفو الإلـهي .

وفي المبحث الرابع: كان الحديثُ عن الجنّة، والطريق إليها، وأخلاق أهلها، وعن أوّلِ واخرِ مَنْ يدخلُها؟ وما أشهرُ أسمائها وصفتها وأصحابها ؟ ومَنْ هم سادة أهل الجنة ؟ وما هو فضلُ نعيم الجنة على متاع الدنيا ؟

ثم فصّلت في نعيم أهل الجنة، كالحديث عن طعامهم وشرابهم، ولباسهم، وحليهم، وخدمهم، ونسائهم، وعن أفضل ما يُعطاه أهل الجنة من النظر إلى وجه الله الكريم ورضوانه العظيم .

وختمت الكتاب بدعاء أهل الجنة قال تعالى: ﴿دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلاَمٌ وآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ *﴾ **[يونس: 10]**.

أيها القارىء الكريم؛ أضعُ بين يديك هذا الكتاب، راجياً من الله أن يحيا قلبُك، وتزدادَ هدايةً مع كل معرفة جديدة عن ذلك اليوم الذي أخبرنا عنه المولى عز وجل في كتابه بطريقة سهلة ميسرة، دون عناء ولا شقاء، فاعملْ لذلك اليوم، واستعد للقاء العزيز الرحيم في ذلك اليوم الذي لا ينفع فيه مالٌ ولا بنونٌ إلا من أتى الله بقلب سليم .

أيها القارىء الكريم؛ إنْ جعتَ في هذه الدار، أو افتقرتَ، أو حزنتَ، أو مرضت، أو بخست حقاً، أو ذقت ظلماً، فذكِّر نفسك بالنعيم المقيم في جنّات رب العالمين، إنك إن اعتقدتَ هذه العقيدة، وعملتَ لهذا المصير، تحوّلتْ خسائرُك إلى أرباحٍ، وبلاياك إلى عطايا .

إنَّ أعقل الناس هم الذين يعملون للاخرة، لأنها خيرٌ وأبقى، وإنَّ أحمقَهم الذين يرون أنَّ هذه الدنيا هي قرارهم ودارهم، ومنتهى أمانيهم، فتجدُهم أجزعَ الناس عند المصائب، وأندَمهم عند الحوادث، لأنّهم لا يرون إلا حياتهم

الزهيدة الحقيرة، ولا ينظرون إلا إلى هذه الفانية، ولا يتفكرون في غيرها، ولا يعملون لسواها، فلا يريدون أن يعكّر لهم سرور، ولا يكدَّرُ عليهم فرح، ولو أنّهم خلعوا حجاب الران عن قلوبهم، وغطاءَ الجهل عن عيونهم، لحدّثوا أنفسهم بدار الخلد ونعيمها وقصورها، ولسمعوا وأنصتوا لخطاب الوحي في وصفها، إنها واللهِ الدارُ التي تستحقُّ الاهتمام والكَدَّ والجهد، وهل تأملنا طويلاً في أهل الجنة بأنهم لا يمرضون، ولا يحزنون، ولا يموتون، ولا يفنى شبابهم، ولا تبلى ثيابهُم، في غرفٍ يُرى ظاهِرُها من باطنها، وباطِنُها من ظاهِرها، فيها ما لا عينٌ رأت، ولا أذنٌ سمعتْ، ولا خطرَ على قلب بشر، يسيرُ الراكِبُ تحت الّشجرةِ من أشجارها مئة عام لا يقطعُه، طولُ الخيمة فيها ستون ميلاً، أنهارُها مطردة، قصورُها منيفة، قطوفُها دانية، عيونُها جارية، سُررُها مرفوعة، أكوابُها موضوعة، نمارقها مصفوفة، زرابيّها مبثوثة، عَظُمَ حبورُها، فاحَ عَرْفُها، منتهى الأماني فيها ،فما لعقولنا لا تفكِّر ؟ ! ما لنا لا نتدبَّرُ ؟ ! إذا كان المصيرُ إلى هذه الدار، فلتخفَّ المصائبُ على المصابين، ولتقرّ عيونُ المنكوبين، ولتفرْح قلوبُ المعدّمين، وليعمل لرضى رب العالِمين العاملون المخلصون[(1)] .

أيها القارىء الكريم ؛ إنّ ممّا يثبّت السعادةَ وينميها ويعمقها أن لا تهتمَّ بتوافه الأمور، فصاحِبُ الهمةِ العاليةِ همُّه طلبُ الآخرة، فيتسامى عن بنيّاتِ الطريق،

فاجعل الهمَّ همّاً واحداً، همَّ لقاءِ الله عزّ وجل، همَّ الوقوفِ بين يديه ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لاَ تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ *﴾ [الحاقة: 18][(2)] .

قال الشاعر[(3)] :

يـومُ القيامـةِ لـو علمـتَ بِهَوْلِـهِ	لَفَـرَرْتَ مِـنْ أَهْـلٍ وَمِـنْ أَوْطَـانِ
يَـوْمٌ تشـقَّقَتِ السـماءُ لِهَوْلِـهِ	وتَشَـيبُ فيـهِ مَفَـارِقُ الولـدانِ
يـومٌ عبـوسٌ قمطريـرٌ شَـرُّه	في الخَلْـقِ مُنْتَشِـرٌ عظـيمُ الشَّـانِ
والجَنَّـةُ العليـا ونارُ جَهـنَّمٍ	دارانِ للخَصْـمَيْنِ دائمتـانِ
يـومٌ يجـيءُ المتقـون لـربِّهم	وفـداً علـى نُجُـب مـن العقيـان
ويجـيءُ فيـه المجرمـونَ إلى لظًـى	يتلَّمظـونَ تلمُّـظَ العَطْشَـانِ
ودخـولُ بعـضِ المسـلمينَ جهنَّمـاً	بكبـائرِ الاثامِ والطُّغيـانِ
والله يـرحمُهم بصـحَّةِ عَقْـدِهِمْ	ويُبـدَّلُوْا مِـنْ خَـوْفِهِمْ بِأَمَـانِ
وشـفيعُهمْ عنـدَ الخـروجِ محمَّـدٌ	وطَهـورُهم في شـاطىءِ الحَيَـوانِ
حـتّى إذا طهُـرُوا هُنالِـكَ أُدخلـوا	جنّـاتِ عَـدْنٍ وهـي خَيْرُ جِنَـانِ
فـالله يَجْمَعُنـا وإيّاهـم بهـا	مِـنْ غَـيْرِ تعـذيبِ وغـيرِ هَـوَانِ

هذا وقد انتهيت من هذا الكتاب يوم الأحد في الساعة التاسعة إلا خمس دقائق ليلاً بتاريخ 11/ ذي الحجة/ 1430هـ الموافق لـ: 28/ 11/ 2009م بمدينة الدوحة، والفضل لله من قبل ومن بعدُ، أسأله سبحانه وتعالى أن يتقبل هذا العمل، ويشرح صدور العباد لانتفاع به ويبارك فيه بمنه وكرمه وجوده قال تعالى: ﴿مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلاَ مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلاَ مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ *﴾ [فاطر: 2] .

ولا يسعني في نهاية هذا الكتاب إلا أن أقف بقلب خاشع منيب أمام خالقي العظيم وإلهي الكريم، معترفاً بفضله وكرمه وجوده، متبرئاً من حولي وقوتي، ملتجئاً إليه في كل حركاتي وسكناتي وحياتي ومماتي، فالله خالقي هو المتفضل، وربي الكريم هو المعين، وإلهي العظيم هو الموفق، فلو تخلى عني ووكلني إلى عقلي ونفسي، لتبلد مني العقل، ولغابت الذاكرة، وليبست الأصابع، ولجفت العواطف، ولتحجرت المشاعر، ولعجز القلم عن البيان، اللهم بصّرني بما يرضيك، واشرح له صدري، وجنبني اللهم ما لا يرضيك، واصرفه عن قلبي وتفكيري، وأسألك بأسمائك الحسنى وصفاتك العلى أن تجعل عملي لوجهك خالصاً، ولعبادك نافعاً، وأن تثيبني على كل حرف كتبته وتجعله في ميزان حسناتي، وأن تثيب إخواني الذين أعانوني على إتمام هذا الجهد الذي لولاك ما كان له وجود ولا انتشار بين الناس، ونرجو من كل مسلم يطلع على هذا

الكتاب ألا ينسى العبد الفقير إلى عفو ربه، ومغفرته ورحمته ورضوانه من دعائه ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ﴾ [النمل: 19] .

وأختم هذا الكتاب بقول الله تعالى: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلاَ تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاًّ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ *﴾ [الحشر: 10] .

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك .

علي محمد محمد الصَّلابِّي

غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين

* * *

الفصل الأول: حقيقة الروح والموت وحياة البرزخ

المبحث الأول: حقيقة الروح .

المبحث الثاني: الموت .

المبحث الثالث: حياة البرزخ .

المبحث الأول: حقيقة الروح

1 . الروح في القرآن:

تأتي كلمةُ الروحِ في القرآن على عِدّة أوجه[(4)]:

المعنى الأول: القرآن؛ كقوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلاَ الإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ *﴾ **[الشورى: 52]** .

المعنى الثاني: الوحي؛ كقوله تعالى: ﴿رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ﴾ **[غافر: 15]** .

المعنى الثالث: جبريل: كقوله تعالى: ﴿فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا *﴾ **[مريم: 17]** ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ *﴾ **[الشعراء: 193]** .

المعنى الرابع: القوة والثبات والنصرة؛ التي يؤيد الله بها من شاء من عباده المؤمنين، كما قال تعالى: ﴿لاَ تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ اللَّهُ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ﴾ **[المجادلة: 22]** .

المعنى الخامس: المسيح ابن مريم، قال تعالى: ﴿يَاأَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلاَ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلاَّ الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾ **[النساء: 171]** .

المعنى السادس: تطلق الروح؛ ويراد بها ما به حياة الإنسان، كقوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً*﴾ **[الإسراء: 85]** فهي الجزءُ الذي به تحصلُ الحياةُ، والتحرُّك، واستجلابُ المنافع، واستدفاعُ المضار[(5)]، وهذا هو المعنى المقصود في كتابنا هذا .

فالروحُ جسمٌ مخالِفٌ بالماهية لهذا الجسم المحسوس، وهو: جسم نوراني علوي خفيف حي متحرك، ينفذ في جوهر الأعضاء، ويسري فيها سريان الماء في الورد، وسريان الدهن في الزيتون، والنار في الفحم .

فما دامت هذه الأعضاءُ صالحةً لقبول الاثار الفائضة عليها من هذا الجسم اللطيف، بقي هذا الجسمُ اللطيف متشابكاً بهذه الأعضاء، وأفادها هذه الاثار من الحس والحركة والإرادة .

وإذا فسدت هذه الأعضاءُ بسبب استيلاء الأخلاط عليها، وخرجت عن قبول تلك الاثار، فارقَ الروحُ البدن، وانفصل إلى عالم الأرواح[(6)] .

2. هل الروح قديمة أم مخلوقة:

الروحُ مخلوقةٌ مبتدعة، باتفاق العلماء وسائر أهل السنة، وقد حكى إجماعَ العلماءِ على أنها مخلوقة غيرُ واحدٍ من أئمة المسلمين، مثل محمد بن نصر المروزي الإمام المشهور، الذي هو أعلمُ أهل زمانه بالإجماعِ، أو من أعلمهم .

والأدلةُ من الكتاب والسنة الدالة على خلقها كثيرة، مثل قوله تعالى: ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الرعد: 16] فهذا عام لا تخصيصَ فيه بوجهٍ ما[(7)]، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا *﴾ [الإنسان: 1] وقوله جلّ وعلا لزكريا: ﴿وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا *﴾ [مريم: 9] .

والإنسان اسمٌ لروح الإنسان وبدنه، وخطابُ الله لزكريا لروحه وبدنه[(8)] ، فالإنسانُ عبارة عن البدن والروح معاً، بل الروح أخصُّ منه بالبدن، وإنّما البدن مطيةٌ للروح[(9)] .

وقد جاء الكثير من النصوص عن النبي (ﷺ) أنّ الأرواح تُقْبَضُ، وتُوْضَعُ في كفنٍ وحَنوطٍ تأتي بها الملائكة، ويُصْعَدُ بها، وتُنَعَّمُ، وتُعَذَّبُ، وتُمْسَكُ بالنوم، وتُرْسَلُ، وكلُّ هذا شأنُ المخلوق المحْدَثِ[(10)] .

ولو لم تكن الروحُ مخلوقةً مربوبةً لما أقرّت بالربوبية، وقد قال الله للأرواح حين أخذ الميثاق على العباد وهم في عالم الذر: ألستُ بربكم؟ قالوا: بلى، وذلك

ما قرره الحق في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى﴾ **[الأعراف: 172]** وما دام هو ربّهم، فإنّهم مربون مخلوقون[(11)] .

ولو كانت الروحُ غيرَ مخلوقةٍ فإنها لا تدخلُ النار، ولا تعذَّب، ولا تُحْجَبُ عن الله، ولا تغيَّبُ في البدن، ولا يَمْلِكُها ملكُ الموت، ولما كانت صورةً توصف، ولم تحاسبْ، ولم تعذّبْ، ولم تتعبّد، ولم تخف، ولم ترجُ، ولأنّ أرواحَ المؤمنين تتلألأ، فأرواح الكفّار سودٌ مثل الفحم[(12)] .

والردُّ على مَنْ زعمَ أنَّ الروحَ غيرُ مخلوقةٍ وأنَّها جزءٌ من ذات الله تعالى كما يقال هذه الخرقةُ من هذا الثوب، فالمراد بقوله: ﴿قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ **[الإسراء: 85]**، أي إنّها تكوّنت بأمره، أو لأنّها بكلمته كانت، و(الأمرُ) في القرآن يذكر، ويراد به المصدرُ تارةً، ويرادُ به المفعولُ تارةً أخرى، وهو (المأمور به) كقوله تعالى: ﴿أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلاَ تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ **[النحل: 1]** أي المأمور به .

ويمكن أن يقال أيضاً: إنّ لفظة (من) في قوله لابتداء ﴿مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾، وليس نصّاً في أنّ الروحَ بعضُ الأمرِ ومن جنسه، بل هي لابتداء الغايةِ، إذ كونت بالأمر، وصدرت عنه، وهذا مثل قوله: أي من أمره كان ﴿وَرُوحٌ مِنْهُ﴾، وكقوله تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا

مِنْهُ﴾ [الجاثية: 13] ونظير هذا أيضاً قوله تعالى: ﴿وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾ [النحل: 53] أي منه صدرت ولم تكن بعض ذاته[(13)] .

وأما قوله تعالى في ادم: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾ [الحجر: 29] وقوله في مريم: ﴿فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا﴾ [الأنبياء: 91] فينبغي أن يُعْلَمَ أنَّ المضافَ إلى الله تعالى نوعان :

الأول: صفاتٌ لا تقوم إلا به، كالعلم والقدرة، والكلام، والسمع، والبصر، فهذه إضافة صفة إلى موصوف بها، فعلمه وكلامه وقدرته وحياته صفاتٌ له، وكذا وجهه ويده سبحانه .

والثاني: إضافة أعيان منفصلة عنه، كالبيت، والناقة، والعبد، والرسول، والروح. كقوله تعالى: ﴿نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا *﴾ [الشمس: 13] وكقوله: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ﴾ [الفرقان: 1] وقوله: ﴿وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ﴾ [الحج: 26] فهذه إضافةُ مخلوقٍ إلى خالقه، لكنَّها إضافةٌ تقتضي تخصيصاً وتشريفاً، يتميّزُ بها المضافُ إلى غيره[(14)] .

3. هل النفس هي الروح؟

إنّ النفسَ تُطلقَ على أمور، وكذلك الروحُ، فيتّحدُ مدلولهما تارةً، ويختلفُ تارةً، فالنفس تطلَقُ على الروح، ولكنْ غالب ما تسمّى نفساً إذا كانت

متصلةً بالبدن، وأمّا إذا أُخذت مجردةً فتسميةُ الروح أغلبُ عليها، وتطلق على الدم، ففي الحديث: « ما لا نَفْسَ له سائلةٌ لا يَنْجِّسُ الماءَ إذا ماتَ فيه» [(15)] .

والنفس: العين، يقال: أصابت فلاناً نفس: أي عين .

والنفس: الذات ﴿فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ﴾ [النور: 61] ﴿وَلاَ تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ [النساء: 29] ونحو ذلك .

وأما الروح، فلا تطلقُ على البدن، لا بانفراده، ولا مع النفس، وتطلق الروحُ على القرآن ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا﴾ [الشورى: 52] وعلى جبريل ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ *﴾ [الشعراء: 193] وتطلق الروحُ على الهواء المتردد في بدن الإنسان أيضاً، وأمّا ما يؤيد الله به أولياءه، فهي روحٌ خرى، كما قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ﴾ [المجادلة: 22] .

وكذلك القوى التي في البدن، فإنّها تسمى أرواحاً، فيقال: الروحُ الباصر، والروحُ السامع، والروح الشام .

وتطلق الروح على أخصّ من هذا كله وهو: قوة المعرفة بالله، والإنابة إليه، ومحبته، وانبعاث الهمة إلى طلبه وإرادته، ونسبة هذه الروح إلى الروح كنسبة

الروح إلى البدن، فللعلم روحٌ، وللإحسانِ روحٌ، وللمحبةِ روحٌ، وللتوكّلِ روحٌ، وللصدقِ روحٌ، والناس متفاوتون في هذه الروح: فمن الناسِ مَنْ تغلب عليه هذه الأرواحُ فيصير روحانياً، ومنهم من يفقدها فيصير أرضياً بهيمياً[(16)] .

4 . مراتب النفوس:

أخبرنا الحق سبحانه وتعالى أنّ النفوسَ ثلاثةُ أنواع :

النفس الأمارة بالسوء ﴿إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلاَّ مَا رَحِمَ رَبِّي﴾ **[يوسف: 53]**.

والنفس اللوّامة ﴿وَلاَ أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ *﴾ **[القيامة: 2]** .

والنفس المطمئنة ﴿يَاأَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ *ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَةً *فَادْخُلِي فِي عِبَادِي *وَادْخُلِي جَنَّتِي *﴾ **[الفجر: 27 . 30]** .

والتحقيق: أنها نفسٌ واحدة، لها صفاتٌ، فهي أمارة بالسوء، فإذا عارضها الإيمانُ صارت لوّامةً، تفعل الذنبَ، ثم تلومُ صاحبها، وتلوم بين الفعل والترك، فإذا قوي الإيمانُ صارت مطمئنة[(17)] .

5. هل تموت الأرواح؟

الأرواحُ مخلوقةٌ بلا شك، وهي لا تعدم ولا تفنى، ولكنَّ موتَها بمفارقة الأبدان، وعند النفخة الثانية تعادُ الأرواح إلى الأبدان[(18)]، وقد دلت على ذلك الأحاديثُ الدالة على نعيم الأرواح وعذابها بعد مفارقة الأجساد إلى أن يرجعها الله إليها، وقد أخبر سبحانه أنَّ أهل الجنة ﴿لاَ يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلاَّ الْمَوْتَةَ الأُولَى﴾ [الدخان: 56] وتلك الموتة هي مفارقةُ الروحِ الجسدَ[(19)] .

6. هل للروح كيفية تُعْلَمْ؟

لما كانت الروحُ مخلوقةً من جنسٍ لا نظيرَ له في عالم الموجودات، فإننا لا نستطيعُ أن نعرفَ صفاتها، فقد عرّفنا الله أنها تصعدُ وتهبِطُ، وتسمع، وتبصر، وتتكلم ... إلى غير ذلك، إلا أنَّ هذه الصفاتِ مخالفةٌ لصفات الأجسام المعروفة، فليس صعودُها وهبوطُها وسمعُها وبصرُها وقيامُها وقعودُها من جنسِ ما نعرفه ونعلمه، فقد أخبرنا الرسول الكريم (ﷺ) أنَّ الروحَ يُصْعدُ بها إلى السماوات العلا، ثم تُعاد إلى القبر، ساعةً من الزمن، كما أخبرنا أنها تنعّم أو تعذّب في القبر، ولا شك أنَّ هذا النعيمَ على نحوٍ مخالِفٍ لما نعلمه ونعرفه[(20)] .

7. قبض الروح بالنوم:

من أحكام الروحِ أنَّها تُقْبَضُ عند النوم، وهي ما تسمّى الوفاة الصغرى، وقد ذكر الله تعالى ذلك في كتابه الكريم قال تعالى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الآخرى إِلَى أَجَلٍ مُسَمّىً إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ *﴾ **[الزمر: 42]** .

وعن عبد الله بن أبي قتادة عن أبيه قال: سرنا مع النبيّ (ﷺ) ليلةً، فقال بعضُ القوم: لو عرّستَ بنا يا رسول الله .

قال (ﷺ): « أخافُ أنْ تناموا عن الصلاة » .

قال بلال: أنا أوقظكم فاضجعوا، وأسندَ بلالٌ ظهرَه إلى راحلته، فغلبته عيناه فنام، فاستيقظ النبي (ﷺ) وقد طلعَ حاجبُ الشمس فقال (ﷺ): « يا بلالُ أينَ ما قلتَ؟ » .

قال: ماألقيتْ عليّ نومةٌ مثلها قط .

قال (ﷺ): « إنَّ اللهَ قبضَ أوراحَكم حينَ شاءَ، وردَّها عليكم حين شاءَ، يا بلالُ قم فأذِّنْ بالناسِ بالصلاةِ » فتوضأَ، فلمّا ارتفعتِ الشمسُ، وابيضتْ، قام فصلى [(21)] .

8. فتح باب التوبة إلى الغرغرة:

الغرغرةُ: هي لحظة نزع الروح وخروجها، وهناك علاقةٌ بين الروح والتوبة، فما دامتِ الروحُ مستقرّةً في البدنِ فبابُ التوبة مفتوح[(22)]، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا *وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الآنَ وَلاَ الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا *﴾ **[النساء: 17 . 18]** .

ومعنى قوله تعالى: ﴿ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ﴾: ما كان دونَ الموت فهو قريب، وقال الحسن البصري: ما لم يغرغر[(23)] .

ولقد دلت الأحاديث الصحيحة على أنَّ مَنْ تابَ إلى الله عزّ وجلّ وهو يرجو الحياة، فإنّ توبته مقبولةٌ، ولهذا قال تعالى: ﴿فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا *﴾

وأما متى وقع اليأسُ من الحياةِ، وعاينَ ملكَ الموتِ، وخرجتِ الروحُ إلى الحلق، وضاق بها الصدرُ، وبلغتِ الحلقومَ، وغرغرت النفس صاعدة للخروج من البدن، فلا توبةَ مقبولةٌ حينئذٍ، ولهذا قال تعالى:

﴿يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الآنَ﴾ **[النساء: 18]**[(24)] .

وعن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبيِّ (ﷺ) قال: « إنّ اللهَ يقبلُ توبةَ العبدِ ما لَمْ يُغَرْغِرْ »[(25)] .

9. كيفية نزع الروح:

قال تعالى: ﴿فَلَوْلاَ إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ *وَأَنْتُمْ حِينَئِذٍ تَنْظُرُونَ *وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لاَ تُبْصِرُونَ *﴾ **[الواقعة: 83 . 85]** .

أي: ﴿فَلَوْلاَ إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ *﴾، والحلقومُ: هو الحلق، وذلك حين الاحتضار أي إلى ﴿وَأَنْتُمْ حِينَئِذٍ تَنْظُرُونَ *﴾، وما يكابدُه من سكرات الموت أي بملائكتنا أي ولكن لا تروهم

وقال تعالى: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لاَ يُفَرِّطُونَ *ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلاَهُمُ الْحَقِّ أَلاَ لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ *﴾ **[الأنعام: 61 . 62]** .

وقال تعالى: ﴿كَلاَّ إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ *وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ *وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ *وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ *إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ *﴾ **[القيامة: 26 . 30]** .

أي: ﴿إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ *﴾، والتراقي جمع تُرْقُوة، وهي العظام المكتنفة لنُقْرَةِ النَّحْر، وهو مقدّمُ الحلقِ من أعلى الصدر موضع الحشرجة، ويُكَنَّى ببلوغ النفس التراقي عن الإشفاءِ على الموت، مثله قوله: ﴿فَلَوْلاَ إِذَا بَلَغَتِ

الْحُلْقُومَ*﴾: ﴿كَلاَّ إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ *﴾، أي حقّاً أنَّ المساقَ إلى الله أي إذا ارتفعتِ الروحُ إلى ﴿كَلاَّ إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ *﴾، والمقصودُ تذكيرهم شِدَّةَ الحال عند نزولَ الموت .

وقال تعالى: ﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا *وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا *﴾ [النازعات: 1 . 2] .

والمقصود الملائكة، يعنون حين تنزِعُ أرواحَ بني ادم، فمنهم مَنْ تَأْخذُ روحَه بعسرٍ، فتغرق في نزعهم، ومنهم من تَأْخُذُ روحَه بسهولةٍ، وكأنما حلّته من نشاطٍ وهو قوله .

وقال تعالى: ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ *﴾ [ق: 19] . ﴿سَكْرَةُ الْمَوْتِ﴾، وقوله: سكرةُ الميتِ التي تدل الإنسانَ على أنّه ميت .

عن عائشة رضي الله عنها: أنَّ رسولَ الله (ﷺ) كان بين يديه رَكوةٌ، أو علبةٌ فيها ماءٌ، فجعلَ يُدْخِلُ يديه في الماءِ، فيمسحُ بِهما وَجْهَه ويقول: « لا إلهَ إلاّ الله، إنَّ للموتِ سكراتٍ » ثم نصبَ يدَهُ، فجعلَ يقولُ: « في الرفيقِ الأَعْلَى » حتى قُبِضَ، ومالت يدُه[(26)] .

إنَّ الإنسانَ إذا اقتربَ أجلُه، فإنَّ الروحَ ترتقي إلى أعلى الجسم عند النحر، حتى تَخرجَ من جسده، وهذا الخروجُ للروح ليس بالأمر الهيِّن ـ حتى للمؤمن ـ

بل له سكراتٌ وغمراتٌ ومشقّاتٌ، ثم تنتزعِ الملائكةُ الروحَ، وهذا النزعُ يختلِفُ شدةً ويُسراً بحسبِ إيمانِ الرجل[(27)] .

10 . خروج روح المؤمن واحتضاره :

قال تعالى: ﴿أَلاَ إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ *الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ *لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخرة لاَ تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ *﴾ **[يونس: 62 . 64]**، وفي قوله تعالى: ﴿لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخرة﴾ :

الأول: الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو تُرَى له[(28)] .

والثاني: المراد بذلك بشرى الملائكة للمؤمن عند احتضاره بالجنة والمغفرة، ويدلُّ على هذا حديث البراء رضي الله عنه عن رسول الله (ﷺ): « إنّ المؤمنَ إذا حَضَرَهُ الموتُ، جاءه ملائكةٌ بيضُ الوجوهِ، بيضُ الثيابِ، فقالوا: اخرجي أيتُها الروحُ الطيّبةُ إلى رَوْحٍ وريحانٍ وربٍّ غيرِ غضبان، فتخرجُ تَسِيْلُ كما تسيلُ القَطْرَةُ مِنْ في السقاءِ »[(29)] .

وكلا المعنيين صحيح، ولا تعارضَ بين هذين التفسيرين[(30)] .

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلاَئِكَةُ أَلاَّ تَخَافُوا وَلاَ تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ *نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ

الدُّنْيَا وَفِي الآخرة وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ *﴾ [فصلت: 30 ـ 31]، وفي قوله تعالى: أي: أخلصوا ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ﴾، وقوله: أي: على ﴿ثُمَّ اسْتَقَامُوا﴾ رسولِ الله (ﷺ) باتباعه[(31)]، وفي قوله تعالى: يبشَّرون عند ﴿تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلاَئِكَةُ﴾، وفي القبر، ويوم خروجهم من قبورهم[(32)]، قال تعالى: ﴿لاَ يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلاَئِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ *﴾ [الأنبياء: 103] وقوله: أي: ممّا تقدمون عليه من أمر الآخرة على ﴿أَلاَّ تَخَافُوا وَلاَ تَحْزَنُوا﴾ خلفتموه من أمرِ الدنيا من ولدٍ وأهلٍ ومالٍ أو دَيْنٍ، فإنّا نخلفكم فيه فيبشرونهم بذهاب الشر وحصول الخير قال تعالى: ﴿كَذَلِكَ يَجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلاَئِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلاَمٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ *﴾ [النحل: 31 ـ 32] .

يخبرُ الله تعالى عن حالهم عند الاحتضار أنّهم طيبون، أي: مخلَصون من الشرك والدنس وكل سوء، وأنَّ الملائكة تسلِّمُ عليهم، وتبشرهم بالجنة[(33)]، وأن وفاتهم تكون طيبة سهلة، لا صعوبة فيها ولا ألم، بخلاف ما تقبض به روح الكافر والمخلِّطِ[(34)] .

وقال تعالى: ﴿يَاأَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ *ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَةً *﴾ [الفجر: 27 ـ 28]، وهذا يقالُ لها عند الاحتضار، وفي يوم القيامة أيضاً، كما

أنَّ الملائكة يبشّرون المؤمنَ عند احتضاره، وعند قيامه من قبره، فكذلك ها هنا[(35)] .

وقال تعالى: ﴿فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ *فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ *وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ *فَسَلامٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ *﴾ **[الواقعة: 88-91]** .

هذه الأحوالُ الثلاثةُ: هي أحوالُ الناسِ عند احتضارهم: إما أن يكون من المقربين، أو يكون ممّن دونهم من أصحاب اليمين، وإمّا أن يكون من المكذبين بالحق، الضالين عن الهدى، الجاهلين بأمر الله، ولهذا قال تعالى: أي المحتضر وهم من فعلوا الواجباتِ ﴿فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ *﴾، وتركوا المحرّمات والمكروهاتِ وبعضِ المباحاتِ، قوله: أي فلهم رَوحٌ ﴿فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ﴾، وتبشرهم الملائكة بذلك عند الموت ﴿فَرَوْحٌ﴾، أو الراحة من الدنيا، والروح: الفرح جنةٌ ورخاءُ فرحمة ﴿فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ﴾ . وكلُّ هذه الأقوال متقاربةٌ صحيحةٌ، فإنَّ مَنْ مات مقرَّباً حصل له جميع ذلك من الرحمة، والراحة، والاستراحة، والفرح، والسرور، والرزق الحسن[(36)] أي: لا يموتُ أحدٌ من الناسِ حتّى يعلمَ مِنْ أهلِ الجنّةِ هو أَمْ مِنْ أهل النار بذلك، تقول لأحدهم: سلامٌ لك، أي لا باسَ عليك، أنتَ إلى سلامةٍ، أنتَ من أصحاب اليمين[(37)] .

ويكون السلام على المؤمنين عند ثلاثة مواضع: عند قبض روحه في الدنيا، يسلم عليه ملك الدنيا، وعند مساءلته في القبر، يسلم عليه منكرٌ ونكيرٌ، وعند بعثه في القيامة، تسلِّمُ عليه الملائكةُ قبلَ وصوله إلى الجنة، ويكونُ ذلك إكراماً بعد إكرام[(38)] .

11 . خروجُ روحِ الكافرِ واحتضارُه :

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلاَئِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ *﴾ [الأنعام: 93]، قوله تعالى: أي كرباته ﴿فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ﴾، وقوله جوابه محذوف تقديرُه: لرأيتَ أمراً ﴿وَلَوْ تَرَى﴾، وهذه عبارةٌ عن التعنيف في السياق والشدّة في قبض الأرواح[(39)]، وقوله تعالى: أي ﴿بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ﴾، كقوله: ﴿لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي﴾ [المائدة: 28] وقوله: ﴿وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُمْ بِالسُّوءِ﴾ [الممتحنة: 2] وكقوله: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ﴾ [الأنفال: 50] . ولهذا قال: أي بالضربِ ﴿وَالْمَلاَئِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ﴾، حتى تخرجَ أنفسُهم من أجسادِهم، ولهذا يقولون لهم: وذلك أنّ الكافرَ إذا احتُضِرَ بشَّرته الملائكة بالعذاب ﴿أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمْ﴾، والأغلال والسلاسل، والجحيم والحميم،

وغضب القهار العظيم، فتفرق روحُه في جسده، وتتعصَّى، وتأبى الخروجَ، فتضربهم الملائكة حتى تخرجَ أرواحُهم من أجسادِهم، قائلين لهم: أي كنتم تهانون غاية الإهانة كما كنتم تكذبون ﴿أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمْ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ﴾ الله وتستكبرون عن اتّباع آياته ، والانقياد لرسله[(40)]، ثم يبشرون بالعذاب ﴿الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ﴾ .

وقال تعالى: ﴿يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلاَئِكَةَ لاَ بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَحْجُورًا *﴾ [الفرقان: 22] أي حرامُ ومحرَّمٌ عليكم دخولُ الجنة[(41)]، وفي حديث البراء الطويل، قال رسول الله (ﷺ): «وإنّ العبدَ الكافِرَ إذا كانَ في انقطاعٍ عن الدنيا، وإقبالٍ من الآخرة، نزلَ إليه مِنَ السماءِ ملائكةٌ، سودُ الوجوهِ، معهم المسوحُ، فيجلسون منه مدَّ البصر، ثم يجيءُ مَلَكُ الموتِ، حتى يجلسَ عندَ رأسِهِ، فيقول: أيتُها النفسُ الخبيثةُ، اخرجي إلى سخطٍ مِنَ اللهِ وغضبٍ، قال: فتفرق في جسدِهِ، فينتزعُها كما ينتزع السفود من الصوفِ المبلول »[(42)] .

قال تعالى: ﴿رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ *﴾ [الحجر: 2] .

في الآية إخبار عنهم أنهم سيندمون على ما كانوا فيه من الكفر، ويتمنَّون لو كانوا في الدنيا مع المسلمين، وقيل: إنَّ المرادَ أَنَّ كُلَّ كافرٍ يودُّ عند احتضارِهِ أَنْ لو كان مؤمناً[(43)] .

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ تَتَوفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ فَأَلْقَوُا السَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ﴾ **[النحل: 28 . 29]** .

وقال تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ *لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلاَّ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ*﴾ **[المؤمنون: 99 . 100]**، وهم لا يكفّون عن طلبِ الرجعة، فيطلبونها في كلِّ وقتٍ، وفي كلِّ حينٍ[(44)] . ولهذا قال تعالى: ﴿وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلاَ أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ﴾ **[المنافقون: 10]** .

وقال تعالى: ﴿وَأَنْذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ نُجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرُّسُلَ أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِنْ قَبْلُ مَا لَكُمْ مِنْ زَوَالٍ *﴾ **[إبراهيم: 44]** وقال تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ﴾ **[الأعراف: 53]** .

وقال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُؤُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ *﴾ **[السجدة: 12]** .

وقال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَالَيْتَنَا نُرَدُّ وَلاَ نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ *بَلْ بَدَا لَهُمْ مَا كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ *﴾ [الأنعام: 27 . 28]

وقال تعالى: ﴿وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَى مَرَدٍّ مِنْ سَبِيلٍ*﴾ [الشورى: 44] وقال تعالى: ﴿قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ *﴾ [غافر: 11] .

وقال تعالى: ﴿وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ *﴾ [فاطر: 37] فذكر تعالى أنّهم يسألون الرجعة فلا يجابون: عند الاحتضار، ويوم النشور، ووقت العرض على الجبار، وحين يعرضون على النار، وهم في غمرات عذاب الجحيم[(45)] .

قال تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلاَئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ *﴾ [محمد: 27] هذه الآية فيها التصريح بضرب وجوه الكافرين وأدبارهم عند النزع[(46)] .

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لاَ تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلاَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ *﴾ [الأعراف: 40] .

وقد فسر النبيُّ (ﷺ) هذه الآية في حديث البراء السابق[(47)]، وفيه أنّه قال: « ... إنّ العبدَ الكافِرَ إذا كانَ في انقطاعٍ من الدنيا، وإقبالٍ من الآخرة (يعني عند الاحتضار) نزل إليه من السماءِ ملائكةٌ سودُ الوجوه، معهم المسوحُ، فيجلسون مِنْهُ مَدّ البصرِ، ثم يجيءُ ملكُ الموتِ حتى يجلسَ عند رأسه، فيقول: أيتُّها النفسُ الخبيثةُ اخرجي إلى سخطٍ من الله وغضبٍ، قال: فتفرق في جسده، فينتزعُها كما ينتزعُ السفود من الصوف المبلول، فيأخذها في تلك المسوح، ويخرجُ منها كأنتنِ ريحِ جيفةٍ وُجِدَتْ على وجه الأرض، فيصعدون بها، فلا يمرّون بها على ملأٍ من الملائكة إلا قالوا: ما هذا الروحُ الخبيثُ؟ فيقولون: فلانُ بنُ فلانٍ بأقبح أسمائه التي كان يسمّى بها في الدنيا، حتى ينتهي بها إلى السماء الدنيا، فيُستَفْتَحُ له فلا يُفتحُ له، ثم قرأ رسول الله ﴿لاَ تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلاَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾ [الأعراف: 40] . فيقول الله عز وجل: اكتبوا كتابَهُ في سجّين في الأرضِ السفلى، فتُطْرَحُ روحُه طَرْحاً، ثم قرأ: ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ *﴾ [الحج: 31]، فتعادُ روحُه في جسدِهِ، ويأتيه ملكانِ، فيجلسانِهِ، فيقولانِ له: مَنْ ربُّكَ ؟ فيقول: هاه هاه، لا أدري، فيقولان له: ما دِيْنُكَ ؟ فيقول: هاه هاه، لا أدري،

فيقولان له: ما هذا الرجلُ الذي بُعِثَ فيكم ؟ فيقول: هاه هاه لا أدري، فينادي منادٍ من السماء أَن كذَب، فافرشوا له من النار، وافتحوا له باباً إلى النار، فيأتيه مِنْ حَرّها وسَمُومها، ويضيَّقُ عليه قبرُه، حتى تختلَ فيه أضلاعُه، ويأتيه رجلٌ قبيحُ الوجهِ، قبيحُ الثيابِ، مُنْتِنُ الريحِ، فيقول: أبشر بالذي يسوءك، هذا يومك الذي كنتَ توعدُ، فيقول: مَنْ أنتَ؟ فوجهُك الوجهُ يجيءُ بالشرِّ، فيقول: أنا عملُكَ الخبيثُ فيقول: ربِّ لا تُقِمِ الساعةَ»[(48)].

* * *

المبحث الثاني: الموت

إنّ الحياة ايةٌ من ايات الله، فالموتُ كذلك ايةٌ أخرى تضادُ الحياة، ولكنّها لا تقلُّ عنها عجباً، قال تعالى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ *﴾ **[البقرة: 28]** .

والتفكُّر في هذه الآية تفكُّر في خلق مِن خَلْقِ الله وعجائبه، الدالّ على عظيم قدرته، وعجيبِ أمره[(49)] .

إنّ لتذكرِ الموتِ أثرٌ كبيرٌ في إصلاح النفوس وتهذيبها، ذلك أنَّ النفوسَ تؤثر الدنيا وملذّاتها، وتطمعُ في البقاء المديد في هذه الحياة، وقد تهفو إلى الذنوب والمعاصي، وقد تقصّر في الطاعات، فإذا كان الموتُ دائماً على بال العبد، فإنّه يصغّر الدنيا في عينه، ويجعله يسعى في إصلاح نفسه، وتقويم المعوجّ من أمره[(50)]، قال رسول الله (ﷺ): « أكثروا ذكرَ هاذِمِ اللذّاتِ: الموتِ، فإنّه لم يذكره في ضيقٍ مِنَ العيشِ إلاّ وَسّعَهُ عليه، ولا ذكره في سَعَةٍ إلا ضيّقَها»[(51)] .

قال العلماءِ: تذكر الموتِ يردعُ عن المعاصي، ويليّنُ القلبَ القاسي، ويذهبُ الفرحَ بالدنيا، ويهوّن المصائبَ .

وقال العلماء: ليس للقلوبِ أنفعُ من زيارة القبور، وخاصّةً إن كانت قاسيةً، فعلى أصحابها أن يعالجوها بثلاثة أمور :

أحدها: الإقلاعُ عمّا هي عليه، بحضور مجالس العلم: بالوعظ، والتذكير، والتخويف، والترغيب، وأخبار الصالحين، فإنّ ذلك مما يليّن القلوب .

الثاني: ذِكْرُ الموتِ، فيكثر من ذكر هاذم اللذات، ومفرّق الجماعات، وميتّم البنين والبنات .

الثالث: مشاهدة المحتضرين، فإنَّ النظر إلى الميتِ، ومشاهدة سكراته ونزعاته، وتأمل صورته بعد مماته، مما يقطع عن النفوسِ لذّاتها، ويطردُ عن القلوب مسرّاتها، ويمسحُ الأجفانَ من النوم، والأبدانَ من الراحة، ويبعثُ على العمل، ويزيدُ في الاجتهاد والتعب[(52)] .

وذُكِرَ عن الحسن البصري أنّه دخل على مريضٍ يعوده، فوجده في سكرات الموت، فنظر إلى كُربه وشدّة ما نزل به، فرجع إلى أهله بغير اللون الذي خرجَ به من عندهم، فقالوا له: الطعام يرحمكم الله، فقال: يا أهلاه، عليكُم بطعامكم وشرابكم، فواللهِ رأيتُ مصرعاً لا أزالُ أعملُ له حتّى ألقاه[(53)] .

قال أبو الدرداء: مَنْ أكثر ذكر الموت قلّ فرحه، وقَلَّ حسده[(54)] .

قال الشاعر :

مشـــيناها خُطـــاً كُتِبَــتْ علينـــا ... ومَـنْ كُتِبَتْ عليه خُطاً مشـاها

وأرزاقٌ لنـــــــا متفرّقـــــــاتٌ ... فَمَــــنْ لَمَ تأْتِــــهِ منّــــا أتاهـــا

وَمَــــنْ كُتِبَـــتْ منيتُــــه بأرضٍ ... فلـيسَ يمـوتُ في أرضٍ سِـوَاهَا

وقال الشاعر :

وإذا وُلّيــــــتَ قومــــاً ليلــــةً ... فــاعلمْ بأنَّــكَ بعـدَها مَسْـؤُولُ

وإذا حَمَلْـتَ إلى القبــورِ جَنَـازةً ... فــاعْلَمْ بأنَّــكَ بعــدَهَا مَحْمُــوْلُ

وقال اخر:

هَـبِ الـدُّنيا تُسـاقُ إليـكَ عَفْـواً ... أَلَـيْسَ مصـيرُ ذاكَ إلى انتِقَــالِ

وَمَـــا دُنيــــاكَ إلاّ مِثْــــلُ فَيْءٍ ... أَظلَّـــكَ ثُمَّ اذنَ بالـــزَّوَالِ[(55)]

أولاً . الحكمة من الموت :

إنّ الموتَ مرحلةٌ يمرُّ بها الإنسانُ، ومنزلةٌ يَرِدُها، وحقيقةٌ لا يتخطّاها، وكأسٌ يتجرَّعها، ومنهلٌ يستقي منه، فمن حِكَمِ الموتِ :

1 . في الموت تتجلى كمال قدرة الله الخالصة سبحانه، وعظيم حكمته في تصريف أطوار الخلق: فهو الذي أنشأ هذا الإنسان من عدم، ثم أوجده طوراً

بعد طور، وخَلْقاً بعد خَلْقٍ، حتى صار بشراً سوياً، يسمع، ويبصر، ويعقل، ويتكلَّم، ويتحرك، ويسالم، ويخاصم، ويتزاوج، ويتناسل، يعيشُ على أرضِ الله، وينالُ من رزق الله، ثم بعد ذلك كلِّه يميتُه الله تعالى، فلا يأكلُ، ولا يشربُ، ولا يسمعُ، ولا يبصرُ، ولا يعقلُ، ولا يتحرّكُ، فيزولُ بعدَ بقاءٍ، وينتفي بعد وجودٍ، وكلُّ ذلك بتصريفِ الله وقدرته، وبالغ حكمته في خلق الأمور المختلفة، والأحوال المتضادّة[(56)].

قال تعالى: ﴿فَلَوْلاَ إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينِ *تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ *﴾ **[الواقعة: 86 . 87]** تضمّنتِ الايتان تقريراً وتوبيخاً واستدلالاً على أصول الإيمان: من وجودِ الخالق سبحانه، وكمالِ قدرته، ونفوذِ مشيئته وربوبيّته، وتصرّفِهِ في أرواح عباده، حيث لا يقدرون على التصرف فيه بشيء، وأنّ أرواحَهم بيدِه، يذهبُ بها ذا شاء، ويردّها إليهم إذا شاء، ويُخْلِي أبدانهم منها تارةً، ويجمع بينها وبينهم تارة[(57)] .

2 . إن الله تعالى خلق الموت والحياة ابتلاءً لعباده واختباراً لهم ليعلمَ من يطيعه ممن يعصيه: قال سبحانه: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ **[الملك: 2]** .

3 . لم يخلق الله البشر في الدنيا على خلقة قابلة للدوام: بل جعلهم خلائفَ في الأرض، يخلفُ بعضُهم بعضاً، فلو أبقاهم لفاتتِ المصلحةُ والحكمةُ في جعلهم خلائف[(58)] .

4 . في الموت نعمٌ عظيمةٌ لا تتأتى للناس إلا به: فلولا الموت لما هنأ لهم العيش، ولا طابَ في هذه الأرض، ولا وسعتهم الأرزاقُ، ولضاقتْ عليهم المساكنُ والمدنُ، والأسواقُ والطرقاتُ .

5 . الموت يخلّص المؤمن من نكد هذه الحياة التي حشيت بالغصص: وحفّت بالمكاره والالام الباطنة والظاهرة، إلى نعيم لا ينفد، وقرة عين لا تنقطع، وسعادة لا تنتهي، في ظلال وارفة، وبساتين مؤنقة، وجنات دائمة، مع خيرة الرفقاء، وأطيب الأصفياء[(59)] .

عن أبي الدرداء رضي الله عنه كان يقول: ما مِنْ مؤمن إلا والموتُ خيرٌ له، وما مِنْ كافرٍ إلا والموتُ خيرٌ له، ومَنْ لم يصدّقني فإن الله يقول: ﴿وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلأَبْرَارِ *﴾ **[آل عمران: 198]** ويقول: ﴿وَلاَ يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لأَنْفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ *﴾ **[آل عمران: 178]**[(60)] .

6 . بالموت تصل النفس إلى اليقين: وتتعرّف على حقيقتها من حيث إنّها مخلوقةٌ للخالق سبحانه، وإنّها مخلوقةٌ لغاية[(61)] .

ثانياً . ساعة الموت أخطرُ لحظةٍ في عمر الإنسان :

إنّ ساعةَ الموتِ أخطرُ ساعةٍ في رحلة الإنسان الطويلة إلى ما لا نهاية للأسباب الاتية :

1 . لأنها بداية الانتقال من عالم الشهادة المحسوس، الذي عرفه الإنسان وألفه، إلى عالمٍ كان غيباً في الحياة الأولى، ويصيرُ محسوساً في الحياة الجديدة، التي تبدأُ بالموتِ الجسدي، ليحدث للإنسان في عالم البرزخ لأول مرة عوالمُ تختلف كل الاختلاف عن عوالم الدنيا التي عايشَها، وائتلف أو تنافر معها .

2 . في ساعة الموت يرى الإنسان ملائكة الله، ويسمع منهم الكلمة الفاصلة النازلة إليه من عند الله تعالى، وهي الكلمةُ التي تدلُّ على نعيمه الأبدي أو شقائه الأبدي، ولو كان يملكُ العالم كلَّه في هذه الساعة، وقُبِلَ منه أن يضحي به، أو كان يملك ملء الأرض والسماء ذهباً، وقبل منه أن يتصدق به في سبيل أن يسمعَ كلمةَ الرضى والعفو من الله في هذه الساعة لفعل، وكان في منتهى السعادة، وفي هذا يقول الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ مِن سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَبَدَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ﴾ [الزمر: 47] .

3 . كلُّ ما جمعه الإنسان وكدَّ فيه، وسهرَ من أجله، وقضى عمره في تخزينه وكنزه، وكل ما زرعه من حدائق غناء، وبساتين فيحاء، وكلَّ ما شيّده من دور، وما زخرفه من قصور، وكل من يحيط به من أهل وخدم وأتباع، كلُّ ذلك ينظر إليه الإنسان حين تأتيه ملائكةُ الموت بحسرةٍ وفزعٍ، ويأسٍ وجزعٍ، فإنّه مفارقٌ للجميع، ومحرومٌ حرماناً مطلقاً من كلِّ ماجمعَ فأوعى، وكنز فأبقى.

إنّ شيئاً واحداً هو الذي يبحثُ عنه هذا الإنسانُ في لحظةِ موته، ويوقنُ أنَّ فيه نجاته وسعادته، هو (العمل الصالح)، فإن كان قدّمه فلا يضرّه ما ترك، وإن كان لم يقدّم صالحاً فهو القائل: ﴿يَالَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ *مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَهْ *هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ *﴾ [الحاقة: 27 . 29] .

4 . تزداد حسرةُ الميت ومصيبته وفجيعته حين يكون منكراً للحياة الآخرة، أو مغرور بمسلكه المضاد لدين الله، أو القائم على البدع والخرافات التي أبعدته عن الإيمان الصحيح، والطريق السوي الموافق للكتاب والسنة:

إنّ مثل هذا النوع لم يكن يتوقع حياةً أُخرى بعد الموت، أو كان يتوقعها ولكنّه لغروره ظنَّ أنّه على الحق، وأنّ غيرَه على الباطل، اعتماداً على أوهام وخيالات، أو اتباعاً للضالين والمغضوب عليهم من دونِ نظر أو بحث، أو تشبعاً بهواه، واستسلاماً لشياطين الإنس والجن، وهو في كلِّ ذلك رافضٌ

لكتاب الله وحكمته، فإذا جاءه الموتُ، كُشِفَتْ له الحقيقةَ، ورأى عكس ما قَدَّرَ، وفوجىء بأنَّ جميعَ مقاييسه كانت مغلوطةً، وجميعَ حقائقه كانت باطلاً وزيفاً، وفي هؤلاء وأمثالهم يقول تعالى:

﴿الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا *﴾ **[الكهف: 103 . 104]** وقال تعالى: ﴿وَبَدَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ*﴾ **[الزمر: 47]**[(62)] .

5 . إن ساعة الموت فاصلة بين عمر مهما طال في عصرنا فلن يزيدَ عن مئة وخمسين سنة، وهو يعتبر صفراً إذا قيس بآلافِ السنين في القبر، وخمسينَ ألفَ سنةٍ في الموقف، ثم إلى ما لا نهاية في نعيم لا يوصف، أو في شقاءٍ لا يتصور، ففي هذا العمر القصير جداً يحدَّدُ المصيرُ بالنسبة للمستقبل اللانهائي، وليس في عمر الدنيا كلِّه يحدد مصير المستقبل، بل في سنينَ معدودةٍ منه، وقد تكونُ أياماً، وقد تكون ساعةً واحدةً أو أقلَّ، يتوبُ الإنسان فيها، ويندمُ على ذنوبه، ويضرَعُ إلى ربه، ويتخلّص من مظالمه، فينال رضاء الله عند موته، ويطمئن على مستقبله، فيا لها من سعادة في متناول الجميع، ومن مستقبل لا نهائي يحدّدُ الإنسان مصيرَه في دقائق، وصدق الله القائل: ﴿سَيَذَّكَّرُ مَنْ يَخْشَى *وَيَتَجَنَّبُهَا الأَشْقَى *الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَى

﴿ثُمَّ لاَ يَمُوتُ فِيهَا وَلاَ يَحْيَا ﴾ [الأعلى: 10 . 13] لذلك كلّه ولغيره كانت ساعةُ الموت أخطرَ ساعةٍ في رحلة الإنسان[(63)] .

ثالثاً. حسن الخاتمة أسبابها وعلاماتها:

أ. أسبابُ حُسن الخاتمة:

هناك أسبابٌ يُسْتَدلُّ به على حسن الخاتمة منها :

1. إقامة التوحيد لله جلّ وعلا:

إنّ إقامة التوحيد في قلبِ المسلم يجني ثماره في حياته، وعند موته، وفي قبره، ويوم حشره، ويكون سبباً في دخول جنات ربه ورضوانه، قال رسول الله (ﷺ): « فإنّ الله حرَّم على النارِ مَنْ قالَ لا إلهَ إلاّ الله يبتغي بذلك وَجْهَ الله»[(64)] .

2. الاستقامة:

الاستقامةُ أعظمُ كرامةٍ، وسببٌ عظيم في حُسن الخاتمة، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [الأحقاف: 13] .

والاستقامة كلمةٌ جامعةٌ، اخذةٌ بمجامع الدين، قال الصدّيُق لما سئل عنها: «أنْ لا تشركَ باللهِ شيئاً» فأرادَ بها الاستقامةَ على محضِ التوحيد، وقال عمر بن الخطاب: الاستقامةُ أن تستقيمَ على الأمرِ والنهي، ولا تروغَ رَوَغانِ الثعالب[(65)] .

3 . التقوى:

قال تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ *﴾ **[آل عمران: 102]** وحَقَّ تقاته أن يطاعُ فلا يُعصى، وأن يذكر فلا يُنسى، وأن يَشْكُرَ فلا يُكفر[(66)] .

وأصل التقوى: أن يجعل العبدُ بينه وبين مَنْ يخافه ويحذَرَه وقايةً تقيه منه، فتقوى العبدِ لربه أن يجعلَ بينه وبين ما يخشاه من ربِّه من غضبه وسخطه وعقابه وقايةً تقيه من ذلك، وهو فعل طاعته، واجتناب معصيته[(67)] .

فالتقوى سببٌ للخروج من كلِّ ضيق، كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَحْتَسِبُ﴾ **[الطلاق: 2 . 3]** ولا شك أنّ العبدَ عند السكراتِ يكونُ في ضيق وشدة، فتكونُ التقوى سبباً لنجاته .

والتقوى سببٌ لتيسير السكرات على العبد المؤمن، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا *﴾ **[الطلاق: 4]** .

والتقوى سببٌ للنجاة من المهالك، قال تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا *ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا *﴾ [مريم: 71 . 72] .

وهي سببٌ لدخول الجنة، قال تعالى: ﴿تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا *﴾ [مريم: 63] .

4 . الصدق:

قال تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ*﴾ [التوبة: 119] وقال رسول الله (ﷺ): «ما يزالُ الرجلُ يَصْدُقُ ويتحرَّى الصدقَ، حتّى يكتبَ عند اللهِ صدّيقاً »[(68)] .

الصدقُ أساسُ بناءِ الدين، وعمودُ فسطاطِ اليقين، مَنْ لم يكن معه الصدقُ فهو من المنقطعين الهالكين، ومنْ كان معه الصدق أوصله إلى حضرة ذي الجلال، وكان سبباً في حُسن خاتمته وطيب المال[(69)] .

5 . التوبة:

قال تعالى: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ*﴾ [النور: 31] .

وقال تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ يَوْمَ لاَ يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ﴾ [التحريم: 8] .

وقال رسول الله (ﷺ): «إنّ الله عزّ وجلّ يَقْبَلُ توبةَ العبدِ ما لم يُغَرْغِرْ»[(70)].

وقال رسول الله (ﷺ): «إنّ الله عز وجل يبسطُ يدَه بالليل ليتوبَ مسيءُ النهار، ويبسطُ يدَهُ بالنهارِ، ليتوبَ مسيءُ الليلِ حتى تطلعَ الشمسُ مِنْ مغربها»[(71)] .

وأما عن شروط التوبة فهي ستة:

- الشرط الأول: الإقلاع عن الذنوب .
- الشرط الثاني: الندم على فعل تلك الذنوب .
- الشرط الثالث: العزمُ على أنْ لا يعودَ إليها أبداً .
- الشرط الرابع: الإخلاصُ في التوبةِ .
- الشرط الخامس: التحلُّلَ مِنَ المظالِمِ، لقوله (ﷺ): «مَنْ كانَ لأخيه عندَه مظلمةٌ مِنْ مالٍ أو عِرْضٍ فليتحلّلْهُ اليومَ قَبْلَ ألاّ يكونَ دينارٌ ولا درهمٌ إلا الحسناتُ والسيئاتُ»[(72)] .

● الشرط السادس: أن تقع التوبة قبل الدخول في سياق الموت، قال رسول الله (ﷺ): «إنّ الله يقبلُ توبةُ العبدِ ما لم يُغَرْغِرْ»[(73)] .

6 . الدعاء:

كان من دعاء الصالحين أن يتوفّاهم الله حين انقضاء اجالهم، وهم متمسكون بالطاعات، ملازمون لها، ومجانبون للمعاصي، مفارقون لها، مصاحبون للأبرار، معدودون في زمرتهم، مجافون للفجار، حائدون عن صحبتهم، وفي ذلك يقول عنهم المولى عز وجل: ﴿رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الأَبْرَارِ *﴾ [آل عمران: 193] .

لقد كان ذلك مطلب يوسف رضي الله عنه حين دعا ربه عند انقضاء أجله ؛ وذهاب عمره ؛ أن يميته على الإسلام، ويثبّته عليه[(74)]، قال تعالى: ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالآخرة تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ *﴾ [يوسف: 101] .

7. قصر الأمل والتفكّر في حقارةِ الدنيا:

قال تعالى: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلاَدِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الآخرة عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ *﴾ [الحديد: 20] وقال رسول الله (ﷺ): «الدُّنيا ملعونةٌ ؛ ملعونٌ ما فيها ؛ إلا ذكر الله، وما والاه، أو عالماً أو متعلماً»[(75)] .

فالمؤمن يعلم يقيناً أنّ الدنيا لا تساوي عند الله جناحَ بعوضة، وأنّه سينسى كلَّ شقاءٍ بغمسة واحدة في جنة الرحمن جلّ وعلا، فهو لذلك لا يتعلّق قلبه بأي شيء من حطام الدنيا، بل يمسي ويُصبحُ وهو مشغول بالعمل لهذا الدين، ولا يرى أمام عينيه إلاّ الجنة والنار، فهو يعلمُ يقيناً أنّه لا راحةَ إلا في جنّةِ العزيز الغفار[(76)] .

8. الإكثار من ذكر الموت:

ذكرُ الموت ينغّص اللذات، ويحقّر الشهوات، ويجعل الآخرة نُصبَ العين . ومشاهدةُ المحتضرين ؛ والنظر إلى سكراتهم ونزعاتهم ؛ ومعالجتهم في طلوع

الروح ؛ وشِدّة كربهم ؛ أعظمُ عبرة، وبتغسيل الموتى يرق القلب، وتذرف العينان، ورؤيةُ القبور وسكونها تعجِّل بالتوبة، فتكون سبباً لحُسْنِ الخاتمة[(77)].

وكان عثمان بن عفان رضي الله عنه إذا وقفَ على قبرٍ بكى حتّى يبلَّ لحيته، فقيل له: تذكر الجنة والنار فلا تبكي وتبكي من هذا؟ فقال: إنّ رسولَ اللهِ(ﷺ) قال: « إنَّ القَبرَ أوّلُ منزلٍ من منازلِ الآخرة، فإنْ نجا منه، فما بعدَه أيسرُ منه، وإنْ لم ينجُ منه، فما بعده أشدُّ منه »[(78)] .

وقال رسول الله (ﷺ): «ما رأيتُ منظراً قطُّ إلا القبرُ أفظعَ منه »[(79)] .

وزيارةُ القبور تذكّر بالموت، فيزهد في الدنيا، ويرغب في الآخرة، ويتّعظ بها ويعتبر، وقد بيّن القرطبي [6] بعباراتٍ مؤثرة كيف تتحقق للزائرِ العبرةُ والعظةُ، فقال: يعتبر بمن صار تحت التراب، وانقطع عن الأهل والأحباب، بعد أن قاد الجيوش والعساكر، ونافسَ الأصحاب والعشائر، وجمعَ الأموال والذخائر، فجاءه الموتُ في وقتٍ لم يحتسبه، وهولٍ لم يرتقبه، فليتأمل الزائرُ حالَ من مضى من إخوانه، ودرجَ من أقرانه، الذين بلغوا الامال، وجمعوا الأموال، كيف انقطعت اماِلهم، ولم تغن عنهم أموالهم، ومحا الترابُ محاسنَ وجوههم، وافترقت في القبورِ أجزاؤهم، وترمّلت بعدهم نساؤهم، وشمل ذُلُّ اليتمِ أولادهم، واقتسم غيرُهم طريفهم وتلادهم .. وعند هذا التذكر والاعتبار يزولُ عنه جميع الأغيار

الدنيوية، ويقبل على الأعمال الآخروية، فيزهدُ في دنياه، ويقبل على طاعة مولاه، ويلينُ قلبه، وتخشع جوارحه[(80)] .

9 . غلبة الرجاء وحسن الظن بالله:

قال تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ*﴾ [العنكبوت: 5] ومدح أهله وأثنى عليهم، قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخر وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا *﴾ [الأحزاب: 21] .

والخوف والرجاء كجناحي طائر، إذا استويا استوى الطائر، وتمّ طيرانه، وإن نقص أحدُهما، وقع في الطائر النقصُ، وإن ذهب أحدُهما أو كلاهما صارَ الطائرُ عُرضةً للهلاك[(81)] .

ولذا جمع الله بينهما في غير موضع، فقال عزّ شأنه: ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ﴾ [الإسراء: 56 . 57] .

وقال سبحانه: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الآخرة وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الأَلْبَابِ *﴾ [الزمر: 9] .

ولا يجتمعُ الخوفُ والرجاء في قلب العبدِ عند سكرات الموت ومفارقة الحياة إلا أعطاه الله ما يرجوه من الرحمة والمغفرة[(82)]، وامنه مما يخافه من العقوبة، ولكن ينبغي أن يغلبَ عندَ الموت جانبُ الرجاء على الخوف، وأن الله تعالى يرحمه، ويعفو عنه، ويتجاوز عن سيئاته، وذلك حُسْنُ الظن الذي عناه النبي(ﷺ) في حديث جابر بن عبد الله الأنصاري حين قال: سمعتُ رسول الله (ﷺ) قبل موته بثلاثة أيام يقول: « لا يموتَنَّ أحدُكم إلاّ وهو يُحْسِنُ الظنَّ باللهِ عز وجل »[(83)] . وذلك عند انقطاع العمل، وتبدّد الأمل في بقاءٍ وحياةٍ، ولم يتبقَّ له إلا التعلق بعفو الله ورحمته، وعظيم فضله، ورجاء كرمه، ورحمة الله تسبق غضبه، والعفو أحبُّ إليه من الانتقام[(84)] .

10 . البعد عن أسباب سوء الخاتمة:

فإنّ من أسبابِ حُسن الخاتمةِ الخوفُ من سوءِ الخاتمة، والبعد عن أسبابها، وهي، فساد المعتقد، والانغماس في البدع، النفاق، ومخالفة الباطن للظاهر، والتسويف بالتوبة، وطول الأمل، وحب الدنيا، وتعلق القلب بغير الله، وإلف المعاصي، والإصرار عليها، والانتحار، واليأس من رحمة الله، ومصاحبة أهل الفساد، وعدم الاستقامة على الطاعة[(85)] .

ب ـ علامات حسن الخاتمة:

علامات حسن الخاتمة التي جاءت في أحاديث رسول الله (ﷺ) كثيرةٌ، منها: من كان اخرُ كلامه لا إله إلا الله، الموتُ برشحِ الجبين، الموتُ يومُ الجمعة، القتلُ في سبيل الله، الموتُ غازياً في سبيل الله، الموتُ بالطاعونِ، الموتُ بداءِ البطن، الموتُ بالغرقِ، الموتُ بالهدمِ، الموتُ في سبيل الدفاع عن المال والدين والنفس، موتُ المرأة في نفاسها بسبب ولدها، الموتُ مرابطاً في سبيل الله، الموتُ على عملٍ صالحٍ[(86)] .

رابعاً ـ سوء الخاتمة وعلاماتها:

أ ـ أسباب سوء الخاتمة:

أسباب سوء الخاتمة كثيرة، نذكر منها على سبيل الإجمال :

الشك والجحود، والتعبد بالبدع، وتسويف التوبة، وعدم الاستقامة على الطاعة، وطول الأمل، وحب الدنيا، وصحبة الأشرار، ومخالفة الباطن الظاهر، وتعلق القلب بغير الله، وسوء الظن بالله، والإصرار على الذنوب والمعاصي، ونسيان الآخرة، وعدم ذكر الموت، والظلم[(87)] .

ب ـ علامات سوء الخاتمة:

تحدّث العلماءُ عن علامات سوء الخاتمة وذكروا منها: الأمن من مكر الله عز وجل، كأنّ بعضهم اتاهم الله ميثاقاً أن لا يعذّبه، والغفلة عن ذكر الله عز وجل، والنفاق، والرياء، وحب السمعة، وغير ذلك من العلامات[(88)] .

خامساً: قبض أرواح العباد:

قال تعالى: ﴿وَقَالُوا أَإِذَا ضَلَلْنَا فِي الأَرْضِ أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ *قُلْ يَتوفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ*﴾ **[السجدة: 10 . 11]** .

وقال تعالى: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لاَ يُفَرِّطُونَ *ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلاَهُمُ الْحَقِّ أَلاَ لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ *﴾ **[الأنعام: 61 . 62]** .

وقال العلماء للجمع بين الآيات السابقة: إنّ الملائكة الذين هم أعوانُ ملك الموت ينزعون الأرواحَ، وملكُ الموتِ ـ الذي هو رئيسُهم ـ يقبِضُها إذا بلغتِ الحلقوم، وهناك رأيٌ اخر وهو أنّ أعوانَ ملك الموت يقومون بقبض الأرواحِ بأمرِ ملكِ الموتِ[(89)] .

سادساً . الموت مكتوب على الخلائق ولا ينجو منه هارب:

إنّ الله تعالى خلقَ عباده، وقدّر لهم اجالاً إليها ينتهون، فلا يتقدّمون عنها ولا يتأخرون، كما قال سبحانه: ﴿نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ*﴾ [الواقعة: 60] وكتب أجل كل منهم في كتاب عنده لا يُزاد فيه ولا ينقص منه، كما قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُؤَجَّلاً﴾ [آل عمران: 145] .

وجعله حتماً لازماً لا بدّ لكلّ نفسٍ من تتجرعِ غصصه، ولو كان الميتُ رسولاً أو نبياً أو ولياً، حيث قال تعالى:

﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ *﴾ [آل عمران: 185] وقال: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ *﴾ [العنكبوت: 57] إذ لا باقي إلا هو سبحانه: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ﴾ [القصص: 88] .

وهو الوارثُ لجميع خلقه بعد فنائهم، وانقضاء اجالهم: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ *﴾ [مريم: 40] .

وهو المحيي والمميت الذي بيده الإحياء والإماتة لا بيدِ العباد، وليس في ملكهم ومقدرتهم، كما قال عز وجل: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَكُونُوا كَالَّذِينَ

كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًّى لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ *﴾ [آل عمران: 156] .

والعبدُ لا يمكنه أن يدفعَ غائلة الموت عن نفسِه مهما بلغ حرصُه عليها، ولذا عابَ الله على أهل النفاق تثبيطَهم عن الجهاد، بزعمهم أنَّ القعود عنه ينجي من الموت[(90)]، فقال سبحانه في شأنهم: ﴿الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا قُلْ فَادْرَأُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ *﴾ [آل عمران: 168] .

فالموتُ لا ينجي منه هربٌ، ولا يغني عنه جَزَعٌ، ولا يدفع عنه حَذَرٌ، ولو تُحصِّن منه بالقصور المنيعة، والمساكن الرفيعة، قال تعالى: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ﴾ [النساء: 78] .

ولا ينجو منه فار، ولا يسلم منه هارب، وقد أبان الله ذلك لليهود مع كراهيتهم له، وخوفهم منه، في قوله: ﴿قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلاَقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ *﴾ [الجمعة: 8] .

وأنذر المنافقين بأنّ فرارهم منه لا يزيدُ في أعمارهم، ولا يؤخِّرُ في اجالهم، بل بقاؤهم في الدنيا إلى قدر مقدور، وأجل مكتوب[(91)]، كما قال سبحانه:

﴿قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذًا لاَ تُمَتَّعُونَ إِلاَّ قَلِيلاً*﴾ [الأحزاب: 16] .

ولم يطمّعِ الله بشراً في الخلود في الأرض، ولو فعل لكان أولى الناس بذلك رسولُ الله (ﷺ)[(92)]، قال تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ *ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ *﴾ [الزمر: 30 ـ 31] .

سابعاً ـ الآجال محدودة :

إن الله تعالى جعل لكلِّ أحدٍ من الخلق أجلاً معيناً، ووقتاً محدوداً، فإذا جاء أجله، وحل وقت زواله، لا يتقدّم عنه برهةً من الزمن ولا يتأخر، لا الأمم مجتمعة ولا أفرادها، قال تعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لاَ يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلاَ يَسْتَقْدِمُونَ *﴾ [الآعراف:34] وقال سبحانه: ﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلاَّ وَلَهَا كِتَابٌ مَعْلُومٌ *مَا تَسْبَقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ*﴾ [الحجر: 4 ـ 5] .

فهذا عن الأمم، وأمّا عن الأفراد فقد قال: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُؤَجَّلاً﴾ [آل عمران: 145] أي بأجلٍ محدودٍ مقيّد، إلى وقت معلومٍ بقضاء من الله مبروم، وقدر محكم، فالاجالُ محدودةٌ بأزمنة وأمكنة لا يتخّطاها المرءُ، ولا يتعداها، ولو سلك كلَّ سبيل[(93)] .

ولو أنّ العبادَ استحقوا الهلاك والفناء بسبب ظلمهم ما بادرهم الله بذلك حتى يبلغوا منتهى أعمارهم وغاية اجالهم، وفي ذلك يقول سبحانه: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَآبَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمّىً فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لاَ يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلاَ يَسْتَقْدِمُونَ *﴾ **[النحل: 61]** .

ويقول تعالى: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَآبَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمّىً فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيراً*﴾ **[فاطر: 45]** .

والمرءُ لا يدري متى يحلُّ به ذلك الأجلُ ؟ لأنّ ذلك من علم الغيب، الذي طواه الله عن خلقه، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ *﴾ **[لقمان: 34]** .

وقد بيّنَ النبيُّ (ﷺ) أنّ هذه الخمسُ هي مفاتيح الغيب التي أخفاها عن عباده[(94)]، فالإنسان لا يعلم متى ينقضي أجلُه، وفي أي بقعةٍ يكونُ مضجعه، أفي برٍ أم في بحرٍ ؟ وفي سهلٍ أم حَزَنٍ ؟ وقريبٌ ذلك أم بعيدٌ ؟ كما قال سبحانه: ﴿أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ

شَيْءٍ وَأَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ *﴾ **[الأعراف: 185]** .

ولقد دعا الرسول (ﷺ) إلى المبادرة بالطاعة، وذلك باستنفاد العمر في ملازمةِ التقوى، وبذل الصحة قبل حلول العلل، ومجاهدة النفس قبل وقوع الأجل[(95)]، عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: أخذَ رسولُ اللهِ (ﷺ) بمنكبي فقال: « كُنْ في الدُّنيا كأنَّكَ غريبٌ أو عابِرُ سبيلٍ » وفيه: « خُذْ مِنْ صِحَّتِكَ لِمَرَضِكَ، وَمِنْ حَيَاتِكَ لموتِك »[(96)]، وكان ابن عمر يقول: « إذا أمسيتَ فلا تَنْتَظِرِ الصباحُ، وإذا أصبحتَ فلا تَنْتَظِرِ المساءَ»[(97)]، وفي رواية: « وعُدَّ نفسَك في أهلِ القبورِ »[(98)] . والمعنى استمر سائراً ولا تفتر، فإنّكَ إن قصّرتَ انقطعتَ وهلكتَ[(99)] .

* * *

المبحث الثالث: حياة البرزخ

البرزخ: اسمُ ما بينَ الدُّنيا والآخرة من وقتِ الموت إلى البعثِ، قال تعالى: ﴿وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ *﴾ [المؤمنون: 100] .

وجاءت النصوصُ بإثبات الحياة في البرزخ، وهي حياةٌ تخالِفُ الحياة المعهودة في الدنيا، فالله سبحانه جعل الدُّورَ ثلاثاً: دارَ الدنيا، ودارَ البرزخ، ودارَ القرار، وجعل لكلّ دارٍ أحكاماً تختصُّ بها، وركّبَ هذا الإنسانَ من بدن ونفس، وجعل أحكام دار الدنيا على الأبدان والأرواح تبعاً لها... وجعل أحكام البرزخِ على الأرواحِ والأبدانِ تبعاً لها... فإذا كان يومُ حشرِ الأجساد، وقيام الناس من قبورهم صار الحكم والنعيمُ والعذابُ على الأرواح والأجساد ظاهراً أبدياً أصلاً[(100)].

ومما ينبغي أن يُعلم أنَّ عذابَ القبر ونعيمه، اسمٌ لعذاب البرزخ ونعيمِه، وهو ما بين الدنيا والآخرة[(101)]، قال تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ *لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلاَّ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ *﴾ [المؤمنون: 99 ـ 100] .

أولاً ـ الآيات القرآنية الدّالةُ على عذاب القبر:

1 ـ قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوْحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنَزلَ اللهُ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلآئِكَةُ بَاسِطُواْ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُواْ أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الأنعام: 93] ففي قوله: ﴿الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ﴾ فالآية تبيّنُ المحتضرِ الكافر، وأنّه تأتيه الملائكةُ، وتخبره أنّه سوف يعذَّبُ اليومَ، يعني يومَ موته، وهذا يدلُّ أنَّ العذابَ يكون قبلَ يوم القيامة، ففي الآية دليلٌ واضحٌ على عذاب القبر، ولو تأخّر عنهم العذابُ إلى انقضاء الدنيا لما صحَّ أن يقال لهم:

2 ـ قال تعالى: ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِنَ الأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لاَ تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ *﴾ [التوبة: 101] قوله تعالى: ﴿سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ﴾: المرّةُ الأُولى في الدنيا من المصائبِ في النفس أو المالِ أو الولدِ أو غير ، وأمّا المرةُ الثانيةُ ففي القبرِ، وأمّا عذابُ الآخرة فذكره بقوله: ﴿ثم يردون إلى عذاب عظيم﴾.

3 ـ قال تعالى: ﴿فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ *النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ *﴾ [غافر: 45 ـ 46] وهذا النصُّ من النصوص الصريحةِ في عذاب

القبر، فإنَّ هذا العذابَ الذي حصل لآلِ فرعون إنّما كانَ بعدَ موتهم، وأمّا عذابُ الآخرة فهو المذكورُ بعدَه بقوله: ﴿أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ*﴾.

4 ـ قال تعالى: ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ *﴾ [السجدة: 21] وقد احتجَّ جماعةٌ منهم عبد الله بن عباس بهذه الآية على عذابِ القبرِ، فإنّه سبحانه أخبرَ أنَّ له فيهم عذابين: أدنى وأكبر، فأخبرَ أنّه يذيقُهم بها بعد عذابَ الدنيا[(102)]، ولهذا قال: يعني به عذاب القبر.

5 ـ قال تعالى: ﴿كَيْدُهُمْ شَيْئًا وَلاَ هُمْ يُنْصَرُونَ * وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ *﴾ [الطور: 45 ـ 47] عن قتادةَ أنَّ ابنَ عباسٍ كان يقول: إنّكم لتجدون عذابَ القبرِ في كتاب الله.

6 ـ قال تعالى: ﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ *حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ *﴾ [التكاثر: 1 ـ 2] فيها الحديثُ عن عذابِ القبرِ[(103)] .

7 ـ قال تعالى: ﴿مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا *﴾ [نوح: 25] قوله: ﴿فَأُدْخِلُوا نَارًا﴾ بعد ، وهذا يدلُّ على عذاب القبر[(104)] .

ثانياً ـ فتنة القبر وسؤال الملكين:

لقد جاءت الأحاديثُ بفتنةِ القبرِ وسؤالِ الملكينِ، وممّا يُستَدَلُّ به من القرآن على سؤال الملكين قول الله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخرة وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ *﴾ [إبراهيم: 27] .

وعن البراء بن عازب رضي الله عنه أنّ رسولَ اللهِ (ﷺ) قال: « المسلمُ إذا سُئِلَ في القبرِ يشهدُ أنْ لا إله إلاّ الله، وأنْ محمَّداً رسولُ اللهِ، فذلك قولُه تعالى: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخرة﴾ [إبراهيم: 27] »[(105)] .

وفي (الصحيحين)[(106)] عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال نبيُّ الله(ﷺ): « إنّ العبدَ إذا وُضِعَ في قبرِه، وتولّى عنه أصحابُه، إنّه يسمَعُ قرعَ نعالِهم، قال: يأتيه ملَكانِ فَيَقْعُدانِ، فيقولانِ لَهُ: ما كنتَ تقولُ في هذا الرجلِ، قال: فأمّا المؤمنُ فيقولُ: أشهدُ أنّه عبدُ اللهِ ورسولُه، قال: فيقالُ لهُ: انظرْ إلى مقعدِكَ مِنَ النّارِ، قد أبدلَكَ اللّهُ به مقعداً من الجنّةِ » قال نبيُّ الله(ﷺ): « فيراهما جميعاً » .

«وأما المنافقُ والكافرُ فيقالُ له: ما كنتَ تقولُ في هذا الرجلِ ؟ فيقولُ: لا أدري، كنتُ أقولُ ما يقولُ الناسُ، فيقال: لا دَرَيْتَ ولا تَلَيْتَ، ويُضْرَبُ بمطارقَ من حديدٍ ضربةً، فيصيحُ صيحةً يسمعُها مَنْ يليه غيرَ الثقلين» .

1 . اسمُ الملكين (منكر ونكير):

عن أبي هريرةَ ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسولُ اللهِ (ﷺ): «إذا قُبِرَ الميتُ، أتاه ملكانِ أسودانِ أزرقانِ، يقال لأحدِهما المنكرُ، وللاخرِ النكيرُ، فيقولانِ: ما كنتَ تقولُ في هذا الرجلِ ؟ فيقولُ ما كان يقولُ: هو عبدُه ورسولُه، أشهدُ أنْ لا إلهَ إلاّ الله، وأنّ محمّداً عبدُه ورسولُه، فيقولانِ: قد كُنّا نعلمُ أنّكَ تقولُ هذا، ثم يُفْسَحُ له في قبرِه سبعونَ ذراعاً في سبعين، ثم ينوَّرُ له فيه، ثم يقالُ له: نَمْ، فيقولُ: أرجعُ إلي أهلي فأخِبرُهم، فيقولانِ: نم كنومةِ العروسِ الذي لا يوقظُه إلاّ أحبُ أهلِه إليه، حتّى يبعثَه اللهُ مِنْ مضجعِه ذلك .

وإنْ كانَ منافِقاً قال: سمعتُ الناسَ يقولونُ فقلتُ مثلَه لا أدري، فيقولانِ: قد كنّا نعلمُ أنّكَ تقولُ ذلك، فيقالُ للأرضِ التئمي عليه، فتلتئِمُ عليه، فتختلِفُ فيها أضلاعُه، فلا يزالُ فيها معذَّباً حتى يبعثَه الله مِنْ مضجعِه ذلك»[(107)] .

2. عودة الروح إلى الميت عند السؤال:

وممّا يستدلُّ به على عودةِ الروح إلى جسدِ الميّتِ عند السؤال حديث البراء بن عازب رضي الله عنه الذي قال: خرجنا مع النبيّ (ﷺ) في جنازةِ رجلٍ من الأنصارِ، فانتهينا إلى القبرِ، ولما يُلْحَدُ، فجلسَ رسولُ اللهِ (ﷺ)، وجلسنا حولَهُ، وكأنَّ على رؤوسنا الطيرَ، وفي يدِهِ عُوْدٌ ينكتُ في الأرضِ، فرفعَ رأسه فقال: « استعيذوا باللهِ مِنْ عذابِ القبرِ » (مرتين أو ثلاث) .

ثم قال: « إنّ العبدَ المؤمنَ إذا كانَ في انقطاعٍ من الدنيا، وإقبالٍ من الآخرة، نزلَ إليهِ ملائكةٌ من السماءِ، بيضُ الوجوهِ، كأنَّ وجوهَهم الشمسُ، معهم كفنٌ من أكفانِ الجنةِ، وحَنوطٌ من حَنوطِ الجنّةِ، حتى يَجْلِسوا منه مَدَّ البصرِ، ثم يجيءُ ملكُ الموتِ [5]، حتى يجلسَ عندَ رأسِهِ، فيقولُ: أيتُها النفسُ الطيّبةُ، اخرجي إلى مغفرةٍ مِنَ اللهِ ورضوانٍ، قال: فتخرجُ تَسِيْلُ كما تسيلُ القَطْرَةُ مِنْ في السقّاءِ، فيأخُذُها، فإذا أخذَها لم يَدَعوها في يدِهِ طرفةَ عينٍ، حتّى يأخذَوها، فيجعلوها في ذلك الكفنِ، وفي ذلكَ الحنوطِ، ويخرجُ منها كأطيبِ نفحةِ مسكٍ وُجِدَتْ على وجهِ الأرضِ، قال: فيصعدون بها، فلا يمرّونَ (يعني بها) على ملأ من الملائكةِ إلا قالوا: مَا هذا الروحُ الطيِّبُ ؟ فيقولون: فلانُ بنُ فلانٍ، بأحسنِ أسمائهِ التي كانوا يسمّونه بها في الدنيا، حتّى ينتهوا بها إلى السماءِ الدُّنيا، فَيَسْتَفْتِحُوْنَ له، فَيُفْتَحُ لهم، فيشيّعهُ مِنْ كلِّ سماءٍ مقرَّبوها إلى

السماءِ التي تليها، حتّى يُنتهى به إلى السماءِ السابعةِ، فيقولُ اللهُ عزَّ وجلَّ: اكتبوا كتابَ عَبْدِي في عليّين، وأعيدوه إلى الأرضِ، فإنِّي منّها خلقتُهم، وفيها أُعيدُهم، ومنها أُخرجُهم تارةً أُخرى .

قال: فتعادُ روحُه في جسدِه، فيأتيه ملكانِ فيُجْلِسَانه فيقولانِ له: مَنْ ربُّكَ ؟ فيقولُ: ربِّيَ اللهُ . فيقولانِ له: ما دينُكَ ؟ فيقول: دينيَ الإسلامُ . فيقولان له: ما هذا الرجلُ الذي بُعِثَ فيكم؟ فيقولُ: هو رسولُ اللهِ (ﷺ) . فيقولان له: وما عملُكَ؟ فيقول: قرأتُ كتابَ اللهِ، فامنتُ به وصدّقتُ، فينادى منادٍ في السماءِ: أنْ صدقَ عبدي، فأفرشوه مِنَ الجنّةِ، وألبسوه من الجنّةِ، وافتحوا له باباً إلى الجنّةِ، قال: فيأتيه من رَوْحِها وطيبها، ويفسحُ له في قبرِهِ مدُّ بصره .

قال: ويأتيه رجلٌ حَسَنُ الوجهِ، حَسَنُ الثيابِ، طيّبُ الريح، فيقول: أبشرْ بالذي يسرُّكَ، هذا يومُكَ الذي كنتَ توعدُ . فيقول له: مَنْ أنتَ؟ فوجُهَك الوجهُ يجيءُ بالخيرِ، فيقول: أنا عملُكَ الصالحُ، فيقول: ربِّ أقمِ الساعةَ، حتَّى أرجعَ إلى أهلي ومالي .

قال: وإنّ العبدَ الكافِرَ إذا كانَ في انقطاعٍ من الدنيا، وإقبالٍ من الآخرة، نزلَ إليه مِنَ السماءِ ملائكةٌ، سودُ الوجوهِ، معهم المسوحُ، فيجلسون منه مدَّ البصرِ، ثم يجيءُ ملكُ الموتِ، حتى يجلسَ عند رأسِهِ، فيقول: أيتُها النفسُ الخبيثةُ، اخرجي إلى سخطٍ مِنَ اللهِ وغضبٍ، قال: فتفرَّقُ في جسدِهِ، فينتزِعُها

كما يُنْتَزَعُ السفودُ من الصوفِ المبلول، فيأخذها، فإذا أخذَها لم يدعوها في يده طرفةَ عينٍ حتّى يجعلوها في تلكَ المسوحِ، ويخرجُ منها كأنتنِ ريحِ جِيْفَةٍ وُجِدَتْ على وجهِ الأرضِ، فيصعدونَ بها، فلا يمرّون بها على ملأٍ من الملائكةِ إلاّ قالوا: ما هذا الروحُ الخبيثُ ؟ فيقولونَ: فلانُ بنُ فلانٍ، بأقبحِ أسمائه التي كان يسمَّى بها في الدنيا، حتى يُنْتَهَى به إلى السماءِ الدُّنيا، فيُستفتَحُ له، فلا يُفْتَحُ له، ثم قرأ رسولُ اللهِ (ﷺ): ﴿لاَ تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلاَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾ **[الأعراف: 40]** فيقول الله عزّ وجلّ: اكتبوا كتابه في سجّين، في الأرضِ السُّفلى، فتُطرَحُ روحُه طرحاً، ثم قرأ: ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ *﴾ **[الحج: 31]** فتعادُ روحُه في جسدهِ، ويأتيه ملكانِ فيُجْلِسَانِه، فيقولان لَهُ: مَنْ ربُّكَ؟ فيقولُ: هاه هاه لا أدري، فيقولان له: ما دينُكَ ؟ فيقول: هاه هاه، لا أدري، فيقولان: ما هذا الرجلُ الذي بُعِثَ فيكم ؟ فيقول: هاه هاه، لا أدري، فينادِي منادٍ منَ السماءِ أنْ كذبَ، فأفرشوا له من النار، وافتحوا له باباً إلى النار، فيأتيه مِنْ حرِّها، وسَمُومها، ويُضيَّقُ عليه قبرُه، حتّى تختلفَ فيه أضلاعُه .

ويأتيه رجلٌ قبيحُ الوجه، قبيحُ الثيابِ، منتنُ الرِّيحِ، فيقول: أبشر بالذي يسوؤك، هذا يومُكَ الذي كنتَ توعَدُ، فيقول: مَنْ أنَت؟ فوجهُك الوجهُ يجيءُ بالشرِّ، فيقول: أنا عملُك الخبيثُ، فيقول: ربِّ لا تُقِمِ الساعَة»[(108)].

3. ما ينتفِعُ به الميتُ مِنْ عملِ الأحياء:

ينتفعُ الأمواتُ مِنْ سعي الأحياء بأمرين :

أحدُهما: ما تسبّبَ إليه الميتُ في حياته .

والثاني: دعاءُ المسلمين واستغفارهم له، والصدقةُ والحجُّ .

والأدلة على ذلك منها :

أ ـ قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ﴾ **[الحشر: 10]** فأثنى الله عليهم باستغفارهم للمؤمنين قبلهم، فدلَّ على انتفاعهم باستغفارِ الأحياء .

ب ـ والأدعيةُ التي وردت بها السنّةُ في صلاة الجنازة مستفيضةٌ . وكذا الدعاءُ له بعدَ الدفن، ففي (سنن أبي داود)[(109)] من حديث عثمان بن عفان رضي الله عنه ، قال: كان النبيُّ (ﷺ) إذا فرغَ مِنْ دفنِ الميّتِ وقفَ عليه فقال: « استغفروا لأخيكم، وأسألوا له التثبيتَ، فإنَّه الانَ يُسْأَلُ » .

وكذلك الدعاءُ لهم عندَ زيارة قبورهم، كما في (صحيح مسلم)[(110)] من حديث بُريدةَ بن الحَصِيْب، قال: كان رسولُ اللهِ (ﷺ) يعلّمهم إذا خرجوا إلى المقابر أن يقولوا: « السلامُ عليكم أهلَ الديارِ مِنَ المؤمنينَ والمسلمينَ، وإنّا إنْ شاءَ الله بِكُم لاحقون، نَسْأَلُ الله لنا ولكم العافيةَ » .

وأما وصول ثواب الصدقة ففي (الصحيحين)[(111)] عن عائشةَ رضي الله عنها: أنّ رجلاً أتى النبيَّ (ﷺ) فقال: يا رسول الله، إنَّ أُمي افتُلتت نفسُها، ولم توصِ، وأظنُّها لو تكلّمتْ تصدّقتْ، أفلها أجرٌ إنْ تصدّقتُ عنها ؟ قال: « نعم » .

وأما وصولُ ثوابِ الصوم، ففي (الصحيحين)[(112)] عن عائشة رضي الله عنها، أنَّ رسولَ الله (ﷺ) قال: « مَنْ ماتَ وعليه صيامٌ صامَ عنه وليُّه » .

وأما وصول ثواب الحج ففي (صحيح البخاري)[(113)] عن ابنِ عباسٍ رضي الله عنهما: أنَّ امرأةً من جُهينةَ جاءتْ إلى النبيِّ (ﷺ)، فقالتْ: إنِّ أُمي نذرتْ أن تحجَّ فلم تحجَّ حتّى ماتتْ، أفأحجُّ عنها ؟ قال: « نعم حُجّي عنها، أرأيتِ لَوْ كانَ على أُمُّكِ دَيْنٌ، أكنتِ قاضيتَهُ ؟ اقضوا اللهَ، فاللهُ أحقُّ بالوفاءِ» .

وقد دل على انتفاعِ الميّتِ بالدعاءِ إجماعُ الأمةِ على الدعاءِ له في صلاةِ الجنازةِ .

وأجمعَ المسلمونَ على أنَّ قضاءَ الدَّينِ يُسقطه من ذمّةِ الميت، ولو كان من أجنبي، ومن غير تركته، وقد دلَّ على ذلك حديثُ أبي قتادة حيثُ ضَمِن الدينارينِ عن الميت، فلمّا قضاهما قال النبيُّ (ﷺ): « الان برّدتْ عليه جِلْدُتُه»[(114)] . وهذا جارٍ على قواعد الشرع، وهو محضُ القياس، فإنَّ الثوابَ حقُّ العامل، فإذا وهبه لأخيه المسلم لم يُمنع من ذلك، كما لم يمنعْ من هبةِ ماله له في حياته، وإبرائه له منه بعد وفاته[(115)]، وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنّ رسولَ اللهِ (ﷺ) قال: « إذا ماتَ الإنسانُ انقطعَ عنه عملُه إلاّ مِنْ ثلاثةٍ، إلاّ مِنْ صدقةٍ جاريةٍ، أو علمٍ يُنْتَفَعُ بهِ، أو ولدٍ صالحٍ يدعو له»[(116)] .

وقد تحدّث العلماءُ في الصدقاتِ الجارية، وأنّ بابها واسعٌ وكبيرٌ، من بناء المساجد، والابار، والمدارس، والمعاهد، وطباعة العلوم النافعة، وكفالة الأيتام والأرامل، وطلاب العلم ... إلخ .

4 . بكاء السماء على الميت:

قال رسول الله (ﷺ): « ما مِنْ مؤمنٍ إلا وله بابانِ، بابٌ يَصْعَدُ منه عملُه، وبابٌ يَنْزِلُ منه رزقُه، فإذا ماتَ بكيا عليه، فذلك قوله عزّ وجلّ: ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ*﴾ **[الدخان: 29]**[(117)] .

5. ما يتبع الميت إلى قبره:

قال رسول الله (ﷺ): « يتبعُ الميّتَ ثلاثةٌ، فيرجِعُ اثنانِ، ويبقى واحدٌ، يتبعه أهلُه ومالُه وعملُه، فيرجِعُ أهلُه وماله، ويبقى عملُه»[(118)] .

6. القبر أولُ منازل الآخرة:

قال رسول الله (ﷺ): « إن القبرَ أولُ منزلٍ من منازلِ الآخرة، فإن نجا منه، فما بعدَه أيسرُ منه، وإنْ لم ينجُ منه فما بعدَه أشدُّ منه »[(119)]، وقال رسول الله: « ما رأيتُ منظراً قطُّ إلا القبرُ أفظعُ منه»[(120)] .

7. نعيمُ القبر أوعذابُه ينالُ مَنْ دُفَنَ ومَنْ لم يُدْفَنْ:

عذابُ القبرِ ونعيمُه ينالُ مَنْ دُفِنَ ومن لم يدفن، وأنَّ من أكلته السباعُ أو مُزّقَ جسدُه، أو أُحْرِقَ وذُرَّ رمادُ جسمهِ في البرِّ أو البحر، أو منْ كانَ في ثلاّجاتِ الموتى فترات طويلة، أو مَنْ أُغرق أو صُلِبَ، أو كلُّ من لم يُدْفَنْ بحالٍ من الأحوالِ، فإنّه يناله عذابُ القبرِ أو نعيمُه، وأنه يحيا حياةً برزخيةً حتّى يوم القيامة[(121)] .

8. الحكمةُ من عذابِ القبرِ ونعيمُه:

هناك مجموعةٌ من الحِكَمِ في عذاب القبر ونعيمِه منها :

ــ إظهارُ فضلِ الله تعالى على عباده المؤمنين الصالحين في تنعيمهم في الحياة البرزخية، وإذلال وتعذيب المكذبين العاصين والعياذ بالله .

ــ إظهارُ قدرة الله تعالى في تعذيب العصاة والكافرين، وتنعيم المؤمنين الصّادقين في القبر دون أن يشعرَ بذلك سائرُ البشر .

ــ إنَّ المكلّفين عندما يعلمون أنّ هناك عذاباً في القبرِ أو في الحياة البرزخية، فإنَّ ذلك يكونُ رادعاً ومانعاً لهم عمّا يسوءُ ويشينُ فعلُه في الآخرة.

ــ التحذيرُ من بعضِ الذنوب والمعاصي، والتي يكونُ لها عقوبات خاصة تناسِبُها، كعدم التنزّه من البولِ، والنميمةِ وغير ذلك .

ــ إنّه قد يكونُ العذاب في القبر أو في الحياة البرزخية مكفِّراً لبعضِ الذنوب والمعاصي التي ألَمَّ بها العبدُ في الحياة الدنيا، فيأتي يومَ القيامةِ ولا ذنبَ له .

ــ إنه قد يكون العذابُ في القبر تخفيفاً لعقوبة ذلك العبد في النار يومَ القيامةِ[(122)] .

9 . هل عذابُ القبرِ دائمٌ أم منقطعٌ ؟:

يختلفُ عذابُ العصاةِ من المؤمنين، فمنهم من يعفو الله عنهم فلا يعذّبهم في قبورهم، ومنّهم من تكون معاصيه صغيرةً، فيعذّبون بقدرها، ثم يُرفع عنهم العذاب، وقد ينقطع أو يرتفع بدعاءٍ أو صدقةٍ، أو استغفارٍ، أو ثوابِ حجٍّ[(123)]، أو غيرِها من أعمال الخير، ومنهم من تكونُ معاصيه كبيرةً،

فيستمرُّ به العذابُ لقول النبي (ﷺ): «بينما رجلٌ يجرُّ إزاره من الخيلاء، خُسِفَ به، فهو يَتَجَلْجَلُ في الأرضِ إلى يومِ القيامةِ »[(124)] .

وأمّا الكافرُ والمنافِقُ فيستمرُّ عذابه إلى يوم القيامة، ولا يتوقّفُ، والدليل على ذلك قوله الله تعالى: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ *﴾ [غافر: 46] وفي حديث البراء بن عازب في قصة الكافر: « ثم يُفْتَحُ له بابٌ إلى النارِ، فينظرُ إلى مقعدِهِ فيها حتّى تقومَ الساعةُ »[(125)] .

وأما قول الله تعالى: ﴿يَاوَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا﴾ [يس: 52] قال العلماء: إنّ الكفارَ إذا عاينوا جهنم وأنواعَ عذابها صارَ عذابُ القبرِ في جنبها كالنّوم[(126)] .

وقال الإمام الطبري في قوله تعالى: : هؤلاء المشركون لما نُفخ في الصور نفخة البعث لموقف القيامة فردّت أرواحهم إلى ﴿قَالُوا يَاوَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا﴾، وذلك بعد نومة ناموها: وقد ﴿قَالُوا يَاوَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا﴾: إنّ ذلك نومةٌ بين النفختين[(127)] .

وقال العلامة الشنقيطي عن هذه الآية: والتحقيقُ أنّ هذا قولُ الكفّار عند البعث، والآية تدلُّ دِلالةً لا لُبْسَ فيها على أنّهم ينامون نومةً قبلَ البعث، كما قال غيرُ واحد، وعند بعثهم أحياء من تلك النومة التي هي نومةُ موتٍ، يقول

لهم الذين أُوتوا العلمَ والإيمان: ﴿هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَانُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ *﴾، أي هذا البعثُ بعدَ الموتِ[(128)] .

وقال رسول الله (ﷺ): « ما بين النفختين أربعون » قالوا: يا أبا هريرة، أربعونَ يوماً ؟ قال: أبيتُ، قالوا: أربعون سنةً ؟ قال: أبيتُ، قال: أربعون شهراً ؟ قال: أبيتُ . « ويبلى كلُّ شيءٍ من الإنسانِ إلا عُجْبَ ذَنَبِهِ، فيه يركَّبُ الخلقُ »[(129)] وفي هذا الحديثِ دلالةٌ على أنّهم يموتون بين النفختين مقدارَ أربعون، ولم تُحدَّد تلك الأربعون، وإن ذهب بعض أهل التفسير إلى أنها أربعون سنة[(130)] .

وقال النبيُّ (ﷺ): « لا تخيّروني على موسى، فإنَّ الناسَ يُصْعقون يومَ القيامةِ، فأُصعقُ معهم، فأكونُ أولَ من يُفيقُ، فإذا موسى باطِشٌ جانبَ العرشِ، فلا أدري كانَ فيمن صُعِقَ فأفاقَ قبلي، أو كان ممّن استْثَنَى اللهُ»[(131)] .

إنَّ الآيات والأحاديثَ الدّالة على استمرار العذاب، من باب العموم، وقد خُصّصت بآيةِ (يس) وبالأحاديث السابقةِ الذكر في هذا القول[(132)] .

ثالثاً ـ أسباب عذاب القبر :

ما الأسباب التي يُعذَّب بها أصحابُ القبور ؟ الجواب من وجهين، مجمل ومفصل :

أما المجمل: فإنّهم يُعذَّبون على جهلهم بالله، وإضاعتهم لأمره، وارتكابهم لمعاصيه، فلا يعذِّبُ الله روحاً عرفتْه، وأحبتْه، وامتثلتْ أمره، واجتنبتْ نهيه، ولا بدناً كانت فيه أبداً، فإنّ عذابَ القبرِ وعذاب الآخرة أثرُ غضبِ الله وسخطه على عبده، فَمَنْ أغضبه وأسخطه في هذه الدار، ثم لم يتبْ، ومات على ذلك، كان له من عذابِ البرزخِ بقدر غضبَ اللهِ وسخط عليه، فمستقلٌّ ومستكثِرٌ، ومصدّق ومكذّب .

وأما الجواب المفصل: فقد أخبر النبيُّ (ﷺ) عن الرجلينِ اللذين راهما يعذّبان في قبريهما يمشي أحدُهما بالنميمة بين الناس، ويترك الآخر الاستبراءَ من البولِ، فعذابُ القبرِ من معاصي القلب، والعين، والأذن، والفم، واللسان، والبطن، والفرج، واليد، والرجل، والبدن كله .

فالنمّام، والكذّاب، والمغتاب، وشاهِدُ الزور، وقاذِفُ المحصن، والداعي إلى البدعة، والقائل على اللهِ ورسوله (ﷺ) ما لا عَلِمَ له، والمجازِفُ في كلامه، واكلُ الربا، واكلُ أموال اليتامى ظلماً، واكلُ السُّحتِ من الرشوة، واكلُ مال

أخيه المسلم بغيرِ حقٍّ أو مالِ المعاهَدِ، وشاربُ المسكر، واكلُ لقمة الشجرة الملعونة (الحشيش)، والزَّاني، واللوطي، والسارق، والخائن، والغادر، والمخادع، والماكر، واخذ الربا، ومعطيه، وكاتبه، وشاهداه، والمحلِّل، والمحلَّل له، والمحتالُ على إسقاطِ فرائض الله، وارتكابِ محارمه، ومؤذي المسلمين، ومتتبع عوراتهم، والحاكم بغيرِ ما أنزل الله، والمفتي بخلاف ما شرعه الله، والمعينُ على الإثم والعدوان، وقاتِلُ النفس التي حرّم الله، والمُلْحِدُ في حرم الله، والمعطِّلُ لحقائق أسماء الله وصفاته، الملحِدُ فيها، والمقدِّمُ رأيه وذوقه وسياسته على سنة رسول الله (ﷺ)، والنائحةُ، والمستمع إليها، ونوّاحي جهنم، وهم المغنّون الغناءَ الذي حرّمه الله ورسوله (ﷺ)، والمستمِعُ إليهم، والذينَ يبنون المساجدَ على القبور، يوقدون عليها القناديل والسُّرج، والمطففون في استيفاء ما لهم إذا أخذوا، وهَضْمِ ما عليهم إذا بذلوه، والجبّارون، والمتكبّرون، والمراؤون، والهمّازون، واللّمازون، والطاعنون على السلف، والذينَ يأتون الكهنةَ والمنجّمين والعرّافين، فيسألونهم، ويصدّقونهم، وأعوانُ الظلمةِ الذين باعوا اخرتهم بدنيا غيرهم، والذي يفتخرُ بالمعصية، ويتكثّر بها بين إخوانه وأضرابه وهو المجاهر، والذي لا تأمنه على مالِكَ وحرمتك، والفاحشُ اللسانِ البذيءُ الذي تركه الخلق اتقاء شرّه وفحشه، والذي يؤخِّرُ الصلاةَ إلى اخر وقتها، وينقرها، ولا يذكر الله فيها إلا قليلاً، ولا يؤدّي زَكاةَ ماله طيّبةً بها نفسُه، ولا

يحجُّ مع قدرته على الحجِّ، ولا يؤدّي الحقوقَ مع قدرته عليها، ولا يتورّع مِنْ لحظةٍ ولا لفظةٍ ولا أكلةٍ ولا خطوةٍ، ولا يبالي بما حَصّل المال من حلالٍ أو حرامٍ، ولا يصلُ رَحِمَه، ولا يرحمُ المسكينَ، ولا الأرملةَ، ولا اليتيمَ، ولا الحيوانَ البهيمَ، بل يدعُّ اليتيمَ، ولا يحضُّ على طعام المسكين، ويرائي العالمين، ويمنعُ الماعونَ، ويشتغلُ بعيوب الناس عن عيبه، وبذنوبهم عن ذَنْبه، فكلُّ هؤلاء وأمثالهم يُعذبون في قبورهم بهذه الجرائم، بحسب كثرتها وقلتها، وصغيرها وكبيرها، ولما كان أكثرُ الناس كذلك، كان أكثرُ أصحاب القبور معذّبين، والفائز منهم قليل، فظواهِرُ القبور ترابٌ، وبواطنها حسراتٌ وعذاب . . . وظواهرها بالتراب والحجارة المنقوشةُ مبنيّاتٌ، وفي باطنها الدواهي والبليّات تغلي بالحسرات، كما تغلى

القبورُ بما فيها، ويحقُّ لها وقد حيل بينها وبين شهواتها وأمانيها[(133)] .

وهذه بعض أسباب عذاب القبر :

1 . الشرك بالله والكفر به:

من أعظم أسباب عذاب القبر الإشراكُ بالله، قال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلاَئِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمْ الْيَوْمَ

تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ *﴾ [الأنعام: 93] .

2. النفاق:

قال تعالى: ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لاَ تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ *﴾ [التوبة: 101] سنعذّبهم مرّتين: إحداهما في الدنيا، والآخرى هي عذاب القبر .

3 . النميمةُ وعدم الاستتار من البول:

عن ابن عباس رضي الله عنهما، مرَّ النبيُّ (ﷺ) على قبرين فقال: «إنّهما ليعذّبانِ، وما يعذّبانِ في كبيرٍ»، ثم قال: «بلى، أمّا أحدُهما فكان يسعى بالنميمةِ، وأما أحدُهما فكان لا يَسْتَتِرُ مِنْ بوله» . قال: ثم أخذَ عوداً رطباً فكسره باثنتين، ثم غرز[(134)]كلَّ واحدٍ منهما على قبرٍ، ثم قال: « لعلّه يخفّفُ عنهما ما لم يَيْبَسَا »[(135)] .

4 . الغُلول[(136)]:

عن أبي رافع رضي الله عنه قال: مررتُ مع رسولِ اللهِ (ﷺ) بالبقيع، فقال: « أُفٍّ لكَ، أفٍّ لَكَ » فظننتُ أنّه يريدني فقلتُ: يا رسول الله أحدثتُ شيئاً ؟

قال: « وما ذاك؟ » قلت: أفَّفتَ منّي . قال: « لا، ولكنّ صاحبَ هذا القبرِ فلانٌ، بعثتُه ساعياً على بني فلانٍ فغلّ درعاً، فَدُرّع الان مثلَها مِنَ النّارِ»[(137)] .

5. جَرُّ الإزارِ من الخيلاء:

عن ابن عمر رضي الله عنهما أنَّ النبيَّ (ﷺ) قال:

« بينما رجلٌ يجرُّ إزاره من الخيلاءِ خُسِفَ به، فهو يُجَلْجِلُ[(138)] في الأرضِ إلى يوم القيامة »[(139)]، وإنما خُصّ الإزارُ بالذكر، لأنّه هو الذي يظهرُ به الخيلاء غالباً[(140)] .

6. حبسُ المدين في قبره بدينه:

روى سعد بن الأطول رضي الله عنه، أنّ أخاه ماتَ، وترك ثلاثمئة درهم وترك عيالاً، قال: فأردتُ أن أنفقَها على عياله، قال: فقال لي نبيُّ الله (ﷺ): «إنّ أخاكَ محبوسٌ بِدَيْنِار، فَاذْهَبْ فاقضِ عنه» فذهبتُ فقضيتُ عنه ثم جئتُ، قلت: يا رسول الله، قد قضيتُ عنه إلا دينارينِ ادّعتْهما امرأةٌ، وليست لها بينةٌ، قال: « أعطِها فإنّها محقَّةٌ » وفي رواية « صادقة »[(141)] .

7 . عقوبةُ الاخذِ بكتاب الله، ثم رفضه، والنائم عن الصلاة المكتوبة:

فقد جاء في حديث سَمُرَةَ بن جُنْدب رضي الله عنه الطويل جواب الملكين عن سؤال النبي (ﷺ) عمّا رأى في ليلته معهما، فقالا له: « أمّا الرَّجُلُ الأوّلُ الذي أتيت عليه يُثْلَغُ رأسُه بالحَجَرِ[(142)] فإنّه الرجلُ يأْخُذُ بالقرآن فيرفُضُهُ، وينامُ عن الصلاةِ المكتوبة »[(143)] .

فالجزاءُ من جنس العمل، فلأنّ هذا الرجلَ رفضَ القرآن، وجعلَه وراءَ ظهره، وتثاقَل عنه، وكذلك عن الصلاة المكتوبة، فلم يصلِّها مع عبادِ الله في جماعة المسلمين، بل ثقل رأسه على الفراش، فجزاؤه أن يُثْلَغَ ويرضَخَ هذا الرأسُ الذي هذا فعلُه وشأنه، وهكذا يعذَّبُ إلى قيامِ الساعةِ، فقد جاء في بعض الرواياتِ: « . . . فيفعلُ به إلى يومِ القيامةِ »[(144)] .

8 . عقوبةُ الكذّاب:

وفي حديث سمرة أيضاً ما أجابَ الملكانِ عن عقوبة ذلك الرجل الذي يُشَرْشَرُ، ويمزَّقُ، ويقطّعُ شِدْقُه وعينُه ومِنْخَرُه إلى الخلفِ، إنّه الكذَّابُ الذي يفشو كذبه، وينتشر على الملأ، حيث قالا للنبيّ (ﷺ): «..وأمّا الرجلُ الذي أتيتَ عليه يُشَرْشِرُ شِدْقُه إلى قفاه، ومنخره إلى قفاه، وعينه إلى قفاه، فإنّه الرَّجُلُ يغدو من بيته فيكذِبُ الكذبةَ تبلغُ الافاق»[(145)] فانظر إلى عقوبة

هذا الداء العضال والمرض الاجتماعي الذي يجب على المسلم تحاشيه، فإنّه من صفات المنافقين عياذاً بالله من كلِّ سوءٍ[(146)] .

9. عقوبةُ الزّناة والزواني:

في حديث سمرة أيضاً المتقدِّمِ جاء فيه: «...فانطقنا، فأتينا على مثل التنّورِ » قال: فأحْسِبُ أنّه كان يقول: « فإذا فيه لغطٌ وأصواتٌ قال: فاطّلعنا فيه، فإذا فيه رجالٌ ونساءٌ عراةٌ، وإذا هم يأتيهم لهبٌ من أسفلِ منهم، إذا أتاهم ذلك اللهبُ ضَوْضَوْا» أي صاحوا. وفي آخر الحديث: «وأمّا الرجالُ والنساءُ العراةُ الذين هم في مثل بناءِ التنور، فإنّهم الزُناةُ والزواني»[(147)].

ومناسبة العري لهم لاستحقاقهم أن يفضحوا، لأنّ عادتهم أن يستتروا في الخلوة، فعوقبوا بالهتك، والحكمةُ في إتيان العذاب من تحتهم كونُ جنايتهم من أعضائهم السفلى[(148)] .

10. عقُوبة اكل الربا:

وفي الحديث السابق أيضاً: «... فانطلقنا فأتينا على نهرٍ حسبتُ أنّه كانَ يقول أحمر مثل الدم، وإذا في النهرِ رجلٌ سابحٌ يَسْبَحُ، وإذا على شطِّ النهرِ رَجُلٌ قد جمع عِنْدَه حجارةً كثيرةً، وإذا ذلك السابحُ يَسْبَح ما يَسْبَحُ، ثم يأتي ذلك الذي قد جمعَ عندَهُ الحجارةَ، فَيَفْغَرُ[(149)] (أي يفتح) له فاه، فيُلْقِمَه

حَجَراَ، فينطلِقُ يسبحُ ثم يرجعُ إليه، كلّما رجعَ إليه فغرَ فاهُ، فألقمه حَجَراً...» الحديث، وفي اخر الحديث: « وأمّا الرجلُ الذي أتيتَ عليه يسبحُ في النهرِ ويُلْقَمُ الحجرُ فإنّه اكلُ الربا »[(150)] .

11 . الإفطارُ في رمضان من غير عُذرٍ:

عن أبي أمامة رضي الله عنه قال سمعتُ رسول الله (ﷺ) يقول: « بينما أنا نائمٌ أتاني رجلانِ، فأخذا بضبعيَّ، فأتياني جبلاً وعراً، فقالا: اصعد، فقلتُ: إنِّي لا أطيقُه، فقالا: إنا سنسهّله لك، فصعدتُ حتى إذا كنتُ في سواءِ الجبلِ إذا بأصواتٍ شديدةٍ، قلتُ: ما هذه الأصواتُ؟ قالوا: هذا عواءُ أهلِ النارِ، ثم انطلقَ بي، فإذا أنا بقومٍ معلّقين بعراقيبهم، مشققة أشداقُهم دماً، قال: قلت: مَنْ هؤلاء؟ قال: الذين يُفْطِرونَ قبل تحلّة صومهم»[(151)].

12 . مَنْ حَرَمَتْ رضيعَها من ثديها:

إذا عمدت الأم إلى حرمان ابنها مِنْ هذا اللبن الذي خلفه الله تعالى في ثديها، وأعطته بدلاً منه لبناً صناعياً لا يقومُ مقامه، ولا يماثله . وهل يصنع الناس كما يصنع بهم؟ فإنَّ النتيجة أنَّ الوليدَ سينشأُ ضعيفاً، وتعاقب الأم على ذلك في قبرِها بعد موتها، ففي حديث أبي أمامة: «... ثم انطُلِقَ بي،

فإذا أنا بنساءٍ تَنْهَشُ ثُدْيُهنَّ الحياتُ قلت: ما بالُ هؤلاءِ؟ قال: هؤلاء يمنعنَ أولادهن ألبانهن »[(152)] .

13 . حبس الحيوان وتعذيبه:

ففي حديثِ جابرٍ في صلاة الكسوف قال النبيُّ(ﷺ): «... وحتى رأيتُ فيها صاحبة الهرّة التي ربطتْها، فلم تطِعْمها، ولم تَدَعْها تأكلُ مِنْ خَشَاشِ[(153)] الأرضِ، حتى ماتتْ جوعاً »[(154)] .

14 . الذين يقولون ما لا يفعلون:

قال تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ *﴾ [البقرة: 44] .

وقال تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لاَ تَفْعَلُونَ *كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لاَ تَفْعَلُونَ *﴾ [الصف: 2 . 3] .

وقال رسول الله (ﷺ): « رأيتُ لَيْلَةَ أُسرِيَ بي رجالاً تُقْرَضُ شِفَاهُهُم بِمَقَارِيْضَ مِنْ نارٍ، فَقُلْتُ: مَنْ هؤلاءِ يا جِبْرِيْلُ ؟ فقالَ: الخطباءُ مِنْ أُمَّتِكَ، يأمُرُوْنَ النَّاسَ بِالبِرِّ وَيَنْسَوْنَ أَنْفُسَهُمْ وَهُمْ يَتْلُوْنَ الكِتَابَ، أفلا تَعْقِلُوْنَ»[(155)].

15 . النياحة على الميت:

قال (ﷺ):«الميّتُ يُعذَّبُ في قبرِهِ بما نِيْحَ عليه»[(156)] .

وعن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله (ﷺ): «ما مِنْ مَيّتٍ يموتُ فيقومُ باكِيْهِم فيقولُ: واجبلاه، وَاسَنَدَاهُ، أَوْ نحو هذا، إلاّ وُكِّلَ به ملكانِ يَلْهَزانِهِ: أهكَذَا كُنْتَ؟!»[(157)] . وهذا محمولٌ على أنّه أوصاهم بذلك، أو علم أنّهم سينوحون عليه ثم لَمْ يَنْهَهُمْ، قال ابن المبارك: إذا كان ينهاهم في حياته ففعلوا شيئاً من ذلك بعدَ وفاته لم يكن عليه شيءٌ، والعذابُ عندَهم بمعنى العقاب .

16 . السرقة:

وأمّا عذابُ السارقِ في البرزخِ ففيه حديثُ رسول الله (ﷺ)، عن جابرٍ حيث قالَ رسولُ اللهِ: « ... وحتّى رأيتُ فيها صاحِبَ المِحْجَنِ[(158)] يجرُّ قُصْبَهُ في النارِ، كان يسرقُ الحاجَّ بِمِحْجَنِهِ، فَإِنْ فُطِنَ له قال: إنّما تعلّق بِمِحْجَنِي، وإنْ غُفِلَ عنه ذهبَ بِهِ »[(159)] .

17 . الإعراض عن ذكر الله:

قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى *﴾ **[طه: 124]** وفسرتِ المعيشةُ الضَّنْكُ بعذاب القبر، ولا ريبَ أنّه من

المعيشةِ الضنكِ[(160)]، فالمعيشةُ الضنكُ لازمةٌ لمن أعرض عن ذكر الله الذي أنزله على رسوله (ﷺ) في دنياه، وفي البرزخ، وفي يوم معاده[(161)] .

والآية تتناول ما هو أعمُّ منه[(162)] .

رابعاً ـ الأسباب المنجية من عذابَ القبر:

من السباب المنجية من عذاب القبر، تجنّب تلك الأسباب التي تقتضي عذابَ القبر، ومن أنفعها أن يجلسَ الرجلُ عندما يريدُ النومَ لله ساعةَ يحاسِبُ نفسه فيها على ما خسره وربحه في يومه، ثم يجدّدُ توبةً نصوحاً بينه وبين الله، فينامُ على تلك التوبة، ويعزِمُ على أن لا يعاوِدَ الذنبَ إذا استيقظَ، ويفعل هذا كلَّ ليلةٍ، فإنْ ماتَ من ليلته مات على توبة، وإن استيقظَ مستقبِلاً للعملِ مسروراً بتأخير أجلِه حتّى يستقبلَ ربَّه، ويستدركَ ما فاته، وليس للعبدِ أنفعُ من هذه النومة، ولا سيّما إذا ذلك عقّب ذكرِ الله، واستعمال السُّنَنِ التي وردتْ عن رسولِ اللهِ (ﷺ) عندَ النومِ حتّى يغلبه النومُ، فمن أرادَ اللّهُ به خَيْراً وفّقه لذلك، ولا قوة إلا بالله[(163)] .

أما الجواب المُفصّل فنذكر أنّ مما ينجي من عذاب القبر :

1 . توحيد الله تعالى:

لقد كان توحيدُ الله سبحانه دوماً في مقدّمةِ الأعمال الصالحة، لأنّه أساسها وأصلها الذي تنبني عليه، وإذا فُقِدَ أو خُرِمَ انهارَ صرحُها، وتهاوى بنيانُها، وهو أعظمُ عاملٍ للثبات في جميع المواطن، وفي هذا الموطنِ جاء الدليلُ من الكتاب والسنة على أهميةِ التوحيدِ في ثباتِ المؤمن في القبر[(164)]، قال الله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخرة وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ *﴾ [إبراهيم: 27] والقولُ الثابتُ هو كلمةُ التوحيدِ، وهي شهادةُ ألاّ إله إلا الله، وأنّ محمّداً رسولُ اللهِ . فلا يثبتُ في القبرِ إلا الموحّدُ الذي عرف الله حقَّ المعرفةِ، وامنَ به إيماناً صادقاً، ولم يعرف عبادة لسواه، بل وحّده في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته[(165)] .

2 . الاستقامة على طاعة الله عزّ وجلّ:

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلاَئِكَةُ أَلاَّ تَخَافُوا وَلاَ تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ *﴾ [فصلت: 30] . فلقد أجرى اللهُ الكريمُ عادته بكرمه أنّ مَنْ عاشَ على شيءٍ مات عليه، ومن ماتَ على شيءٍ بُعِثَ عليه، فمن عاش على الطاعةِ مُخْلصاً لله، ومتّبعاً له، ومتّبِعاً

لهديِ رسول الله (ﷺ)، فإنّه يموتُ على الطاعة ، وينوّرُ الله له قلبه بتلك الطاعة، بل يصبحُ قبرُهُ روضةً من رياضِ الجنةِ جزاءً لكلِّ لحظةٍ عاشها في طاعة الله جلّ وعلا[(166)] .

3 . الصلاة والزكاة والصيام وفعل الخيرات:

قال النبيُّ (ﷺ): «إنّ الميتَ إذا وُضِعَ في قبرِهِ إنَّه يسمعُ خَفْقَ نعالِهِمْ حينَ يولوّن عَنْهُ، فإنْ كانَ مؤمناً كانت الصلاةُ عندَ رأسِهِ، وكانَ الصيامُ عن يمينِهِ، وكانتِ الزكاةُ عن شمالِهِ، وكان فِعْلُ الخيراتِ مِنَ الصَّدَقَةِ والصِّلَةِ والمعروفِ والإحسانِ إلى الناسِ عِنْدَ رِجْلَيْهِ، فَيُؤْتَى مِنْ قِبَلِ رَأْسِهِ، فتقولُ الصلاةُ: ما قِبَلِي مَدْخَلٌ، ثم يُؤْتّى مِنْ قِبَلِ رِجْلَيْهِ، فيقولُ فعْلُ الخَيْرَاتِ من الصّدَقَةِ والصِّلَةِ والمعروفِ والإحسانِ إلى الناسِ: ما قِبَلِي مَدْخَلٌ، فيقالُ له: اجلِسْ، فَيَجْلَسُ، وقد مُثِّلَتْ لهُ الشمسُ، وقد أُدنيتْ للغروبِ، فيقالُ له: أرأيتُكَ هذا الرجلُ الذي كانَ فيكُم، ما تقولُ فيه، وماذا تشهدُ بِهِ عليه؟ فيقولُ: دعوني حتّى أُصلِّي، فيقولون: إنَّك سَتَفْعَلُ، أخبرْنا نسألُكَ عنه، أرأيتُكَ هذا الرجلَ الذي كانَ فيكم ما تقولُ فيه، وماذا تشهدُ عليه ؟ قال: فيقول: محمَّدٌ، أشهدُ أنَّه رسولُ اللهِ، وأَنَّه جاءَ بالحقِّ مِنْ عندِ اللهِ، فيقال له: على ذلك حييت، وعلى ذلك مت، وعلى ذلك تبعث إن شاء الله، ثم يفتح له باب من أبواب الجنة، فيقالُ له: هذا مقعدُكَ منها، وما أعدَّ اللهُ لكَ فيها، فيزدادُ غبطةً وسروراً، ثم

يُفْتَحُ له بابٌ من أبوابِ النَّارِ، فيُقالُ له: هذا مقعدُكَ منها، وما أعدَّ الله لكَ فيها لو عصيتَهُ، فيزدادُ غبطةً وسروراً، ثم يُفْسَحُ له في قبرِهِ سبعونَ ذراعاً، وينوَّرُ له فيه، ويُعَادُ الجسدُ لِمَا بَدَأَ منه، فَتُجعْلُ نسمتُه[(167)]، في النسيم الطيِّبِ، وهو طيرٌ يعلّق[(168)] في شَجَرِ الجنةِ، قال: فذلك قوله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخرة وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ *﴾ [إبراهيم: 27]»[(169)].

لقد بيَّنتِ الأحاديثُ أنَّ لهذه الطاعاتِ أثراً عظيماً في القبر، فهي تحيطُ بالمؤمن من جميع جوانبه، وتحميه وتدافع عنه[(170)] .

4 . الشهادة في سبيل الله تعالى:

قال تعالى: ﴿وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ *فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلاَّ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ*﴾ [آل عمران: 169 . 170] .

وقد جاء بيانُ ذلك في حديث ابن مسعود رضي الله عنه عندما سأله مسروقٌ عن معنى الآية الأُولى فقال: أمّا إنّا قد سألنا عن ذلك رسولَ اللهِ (ﷺ) فقال: « أرواحُهم في جوفِ طيرٍ خُضْرٍ، لها قناديلُ معلقةٌ بالعرشِ، تسرحُ مِنَ الجنَّةِ حيثُ شاءتْ، ثم تأوي إلى تلك القناديل، فأطّلعَ عليهم ربُّهم اطّلاعةً،

فقالَ: هل تَشْتَهُوْنَ شَيْئاً ؟ فقالوا: أيْ شَيْءٍ نَشْتَهِي ونحنُ نَسْرَحُ من الجنّةِ حيثُ شئنا ؟ ففعل ذلك بهم ثلاثَ مرّاتٍ، فلمّا رأَوْا أنَّهم لن يُتْرَكُوا مِنْ أن يسألوا قالوا: يا ربِّ نريدُ أنْ تَرَدَّ أرواحنا في أجسادِنا حتى نُقْتَلَ في سبيلَك مرَّةً أُخرى، فلمّا رأى أنْ ليسَ لهم حاجةً تُرِكُوا »[(171)] .

فالشهداءُ أرواحُهم حيةٌ عند الله حياةً برزخيةً، مودعةٌ في أجوافِ طيرٍ خُضْرٍ تتنعّم بنعم الله، وترتزقُ برزقِ الله، تسرحُ من الجنّةِ حيثُ شاءتْ، تأكلُ من ثمارِها، وتلتذّ بنعيمِها، وهي مغتبطةٌ فرحةٌ بما نالت من أجر، وحَظِيَتْ من كرامةٍ، بل تتمنّى أن تعودَ إلى الدنيا لتُقْتَلَ في سبيل الله مرةً أُخرى لِمَا رأتْ من فضلِ الشهادةِ، وعظيمِ ثوابها[(172)] .

ولقد بيَّن النبيُّ (ﷺ) أنَّ مَنْ قُتِلَ في سبيل الله لإعلاء كلمة الله، وإعزاز دينه، أَمَن فتنةَ القبرِ، وسَلِمَ منها، فلمّا سُئِلَ رسول الله (ﷺ) وقيل له يا رسول الله: ما بالُ المؤمنين يُفْتَنون في قبورهم إلا الشهيدَ ؟ قال: « كَفَى ببارقةِ[(173)] السيوفِ على رأسهِ فتنةً »[(174)] .

وقال رسول الله (ﷺ): « مَنْ لَقِيَ العدوَّ، فصبرَ حتَّى يُقْتَلَ أو يَغْلِبَ لم يُفْتَنْ في قبرِهِ »[(175)] .

وقال رسول الله (ﷺ): « للشهيدِ عندَ اللهِ سِتُّ خصالٍ: يُغْفَرُ له في أوّلِ دفعةٍ، ويرى مقعدَه من الجنَّةِ، ويُجَارُ من عذابِ القبرِ، ويأمنُ من الفَزَعِ

الأكبرِ، ويوضَعُ على رأسِهِ تاجُ الوقارِ، الياقوتةُ منه خيرٌ من الدنيا وما فيها، ويزوَّجُ باثنتين وسبعينَ زوجةً من الحور العينِ، ويشفَّعُ في سبعينَ من أقاربه»[(176)] .

5 . الرباط في سبيل الله:

فعن فَضَالةَ بن عُبيدٍ رضي الله عنه أنَّ رسول الله(ﷺ) قال: « كُلَّ الميتِ يُخْتَمُ على عَمَلِهِ إلا المرابطُ، فإنَه ينمو له عملُه إلى يوم القيامةِ، ويُؤَمَّنُ من فتّانِ القبرِ »[(177)] .

وفي رواية قال: « يُنَمّى له عملُه إلى يومِ القيامةِ، ويُؤْمَنُ من فتنةِ القبرِ»[(178)].

وعن سلمان الفارسي رضي الله عنه قال: سمعتُ رسولَ اللهِ (ﷺ) يقول: «رباطُ يومٍ في سبيل اللهِ أفضلُ (وربما قال): خيرٌ من صيامِ شهرٍ وقيامِهِ، ومَنْ ماتَ فيه وُقِيَ فتنةَ القبرِ، ونُمّيَ له عملُه إلى يومِ القيامةِ »[(179)] .

فالمرابطُ في سبيل الله يأمنُ من فتنة القبر، ومن فتّاني القبر، فيَسْلَمُ منهما بثباتٍ وصبرٍ، فيضاعَفُ له الأجر، ولا ينقطعُ مدَّة الحياةِ وأبدَ الدهرِ إلى يوم القيامة والحشرِ[(180)] .

6 . التعوُّذُ باللهِ من عذاب القبر:

عن أنسِ بنِ مالك رضي الله عنه قال: كان النبيُّ (ﷺ) يقول: « اللهمَّ إِنِّي أعوذُ بكَ من العجزِ والكسلِ والجُبْنِ والبُخْلِ والهَرَمِ، وأعوذُ بِكَ من عذابِ القبرِ، وأعوذُ بِكَ مِنْ فتنةِ المحيا والمماتِ»[(181)].

وعن عُروة بن الزبير عن عائشةَ رضي الله عنها، أخبرتْه أنَّ رسول الله (ﷺ) كان يدعو في الصلاة: « اللهمَّ إِنّي أعوذُ بِكَ من عذابِ القبرِ، وأعوذُ بِكَ من فتنةِ المسيحِ الدَّجَالِ، وأعوذُ بِكَ من فتنةِ المحيا وفتنةِ المماتِ . اللهُمّ إِنّي أعوذُ بكَ من المأْثَمِ والمغْرَمِ »[(182)] .

وقال رسول الله (ﷺ): « إذا فرغَ أحدُكم مِنَ التشهُّدِ الآخر، فليتعوَّذْ باللهِ من أربعٍ: من عذابِ جهنَّمَ، ومِنْ عذابِ القبرِ، ومِنْ فتنةِ المحيا والمماتِ، ومن شرِّ المسيحِ الدَّجَالِ »[(183)] .

7 . الدعاء:

ولا ينبغي أبداً أن يَغْفَلَ المسلمُ عن الدُّعاءِ، فالدعاءُ من أعظمِ أسبابِ النّجاةِ في الدنيا والآخرة، سَمَعَ النبيُّ (ﷺ) رجلاً يقول في التشهُّدِ: اللهمَّ إِنّي أسألُكَ بأنَّ لكَ الحَمْدُ، لا إله إلا أنتَ، وحدَكَ لا شَرِيْكَ لكَ، المنانُّ، يا بديعَ

السماواتِ والأرضِ، يا ذا الجلالِ والإكرامِ، يا حيَّ يا قيوم إِنِّي أسألك الجنةَ، وأعوذُ بِكَ من النَّارِ، فقال (ﷺ) لأصحابه: « تدرون بما دعا؟ » . قالوا: اللهُ ورسولُه أعلم . قال: « والذي نفسي بيدهِ، لَقَدْ دَعَا اللهَ باسْمِهِ العَظِيْمِ (وفي رواية) الأعظمَ، الذي إذا دُعِيَ به أجابَ، وإذا سُئِلَ به أَعْطَى »[(184)] .

فعلينا أن نسألَ الله تعالى بأسمائه الحُسنى، وصفاته العليا، وباسمه الأعظم أن ينجيَنا مِنْ عذابِ القبرِ، ونحنُ موقنونَ بالإجابة[(185)] .

كما أنَّ الدعاءَ للميّت من أسباب التثبيت، فعن عثمانَ بنِ عفّانَ رضي الله عنه قال: كان النبيُّ (ﷺ) إذا فرغَ من دفنِ الميّتِ، وقفَ عليه، فقال: «استغفروا لأخيكم، وسَلُوا لهُ التثبيتَ، فإنَّه الانَ يُسْأَلُ »[(186)] .

8 . تجنُّبِ أسباب عذاب القبر:

ومن أسباب النجاة من عذاب القبر أن يتجنَّبَ العبدُ كلَّ الأسبابِ التي تؤدِّي إلى عذابِ القبرِ، مثل النميمةِ، وعدم الاستتار والتنزُّه من البول، والكذب، وهجر القرآن، وعدم العمل به، وأكل الربا، والوقوع في الزنا... الخ، فكلُّ هذه الأشياء مِنْ أسبابِ عذابِ القبر، فعلينا أن نتجنّبها للننجوَ جميعاً من عذاب القبر، وكذلك علينا أن نتجنّبَ الأسبابَ التي تؤدِّي إلى سوءِ الخاتمة، من الشكِّ، والجحودِ، وفساد المعْتَقَدِ، والنفاقِ، وحُبِّ المعاصي،

والإصرار عليها، وتعلّق القلب بغيرِ اللهِ، والانتحار، والعدول عن الاستقامة، وحُبِّ الدنيا، وطول الأمل وغير ذلك من الأسباب[(187)] .

ونسأل الله عزّ وجلّ بأسمائه الحسنى وصفاته العلا أنْ ينجِّيَنا جميعاً من عذاب القبر وعذابِ النارِ، وأن يجمعنا في مستقرِّ رحمته مع النبيينَ والصديقينَ والشُّهداءِ والصالحينَ، وحَسُنَ أولئك رفيقاً .

خامساً . مستقر الأرواح في البرزخ:

تتفاوتُ أرواحُ العبادِ في البرزخ في منازلها، ومن خلال دراسةِ النصوص الواردةِ في ذلك يمكنُ التقسيمُ التالي :

1 . أرواح الأنبياء:

وهذه تكونُ في خيرِ المنازلِ في أعلى عليين، في الرفيق الأعلى، وقد سمعتْ السيدةُ عائشة الرسولَ (ﷺ) في اخرِ لحظاتِ حياته يقول: « اللهمَّ الرفيقَ الأعلى »[(188)] .

2 . أرواح الشهداء:

قال تعالى: ﴿وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ *﴾ **[آل عمران: 169]** وأرواحُهم في أجوافِ طيرٍ خُضْرٍ لها قناديلُ

معلّقةٌ بالعرش، تسرحُ من الجنةِ حيثُ شاءت، ثم تأوى إلى تلك القناديل[(189)] .

3 . أرواحُ المؤمنين الصالحين:

تكونُ طيوراً تعلّق في شجرِ الجنّةِ، قال رسول الله (ﷺ): « إنّما نسمةُ المسلمِ طيرٌ يعلّقُ في شجرِ الجنةِ، حتى يرجعَها اللهُ إلى جسدِهِ إلى يومِ القيامةِ» [(190)] .

والفرقُ بين أرواحِ المؤمنين وأرواحِ الشهداءِ، أنَّ الشهداءَ في حواصلِ طيرٍ خُضْرٍ تسرحُ متنقلةً في رياض الجنة، وتأوي إلى قناديلَ معلّقةٍ في العرش، أمّا أرواحُ المؤمنينَ، فإنّها في أجوافِ طيرٍ يعلّق في ثمرِ الجنةِ، ولا ينتقل في أرجائها[(191)] .

4 . أرواح العصاة:

سبق وأنْ ذكرتُ بعضَ النصوصِ التي تبيّنُ ما يلاقيه العصاةُ من العذاب، فمن ذلك أنَّ الذي يكذِبُ الكذبةَ تبلغُ الافاقَ، يعذَّبُ بكلوبٍ من حديدٍ، يدخلُ في شِدْقِهِ حتى يبلغَ قفاه، والذي نامَ عن الصلاةِ المكتوبةِ يُشْدَخُ رأسُه بصخرةٍ، والزناة والزَّوَانِي يعذَّبونَ في ثُقْبٍ مثل التنورِ، ضيّقٌ أعلاه، وأسفلُه

واسعٌ، تُوْقَدُ النارُ تحته، والمرابي يَسْبَحُ في بحرٍ من الدمِ، وعلى الشطِّ مَنْ يلقمُه الحجارةَ [(192)] .

وقد ذكرنا الأحاديث التي تتحدّث عن عذاب الذي لم يكن يستنزه من بوله، والذي يمشي بالنميمة بين الناس[(193)]، والذي غلَّ من الغنيمة ونحو ذلك[(194)] .

5 . أرواحُ الكفّار:

في حديث رسول الله (ﷺ) بعدما وصفَ حالَ المؤمنِ إلى أن يبلغَ مستقرّه في الجنةِ، ذكر حال الكافر، وما يلاقيه عند النزع، وبعد أن تُقْبَضَ روحُه، تخرجُ منه كأنتن ريح، حتى يأتونَ به بابَ الأرضِ، فيقولن: ما أنتنَ هذه الريح حتى يأتونَ به أرواحَ الكفّار[(195)] .

* * *

الفصل الثاني: علامات الساعة الصغرى والكبرى والنفخ في الصور

المبحث الأول: علامات الساعة الصغرى .

المبحث الثاني: أشراط الساعة الكبرى .

المبحث الثالث: النفخ في الصور .

المبحث الأول: علامات الساعة الصغرى

أولاً ـ إخبار النبي (ﷺ) عن الغيوب المستقبلية:

أخبر النبيُّ (ﷺ) بما يكونُ إلى قيامِ الساعة، وذلك مما اطلعه الله عليه من الغيوبِ المستقبليّةِ، والأحاديثُ في هذا البابِ كثيرةٌ جداً، حتى بلغتِ التواترَ المعنويَّ[(196)]، فمنها :

1 ـ ما رواه حذيفة رضي الله عنه قال: لقد خطبنا النبيُّ (ﷺ) خطبةً ما ترك فيها شيئاً إلى قيام الساعة إلا ذكره، عَلِمَهُ مَنْ عَلِمَهُ، وجَهِلَهُ مَنْ جَهِلَهُ، إنْ كنتُ لأرى الشيءَ قد نسيتُ، فأعرفه كما يعرِفُ الرجلُ الرجلَ إذا غابَ عنه فراه فعرفه[(197)] .

2 ـ روى أبو زيد عمر بن أخطب الأنصاري رضي الله عنه، قال: صلّى بنا رسولُ اللهِ (ﷺ) الفجرَ، وصعدَ المنبر، فخطبنا حتى حضرتِ الظهرُ، فنزلَ، فصلّى، ثم صعدَ المِنْبَرَ، فخطَبنا حتّى حَضَرتِ العصرُ، ثم نزلَ، فصلّى، ثم صعدَ، فخطبنا حتّى غربتِ الشمسُ، فأخبرنا بما كان، وبما هو كائنٌ، فأعلمُنا أحفظنا[(198)] . فهذه أدلةٌ صحيحةٌ على أنَّ النبيَّ (ﷺ) قد أخبر أمته بكلِّ ما هو كائنٌ إلى قيام الساعة، فيما يخصُّهم .

ولا شكَّ أن أشراطَ الساعةِ كثيرةٌ جداً، ورُويتْ بألفاظٍ مختلفةٍ لكثرة مَنْ نقلها من الصحابةِ رضي الله عنهم[(199)] .

ثانياً ـ علم الساعة:

غيبٌ لا يعلمه إلاّ الله تعالى، كما دلّت على ذلك الآيات القرآنية، والأحاديثُ النبوية، فإنّ علمَ الساعة ممّا استأثر الله به، فلم يُطْلِعْ عليه مَلَكاً مقرباً ولا نبياً مرسلاً، قال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لاَ يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلاَّ هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لاَ تَأْتِيكُمْ إِلاَّ بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ *﴾ **[الأعراف: 187]** فالله تعالى يأمرُ نبيّه محمّداً(ﷺ) أن يخبرَ الناسَ أنَّ علمَ الساعةِ عند الله وحدَه، فهو الذي يعلمُ جليّة أمرها، لا يعلمُ ذلك أحدٌ من أهل السماوات والأرض[(200)]، وقال تعالى: ﴿يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا*﴾ **[الأحزاب: 63]** وقال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا *فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرَاهَا *إِلَى رَبِّكَ مُنْتَهَاهَا *﴾ **[النازعات: 42 ـ 44]** .

فمنتهى عِلمُ الساعةِ إلى الله وحدَه، ولهذا لما سأل جبريلُ عليه السلام رسولَ اللهِ (ﷺ) عن وقتِ الساعةِ ـ كما في حديثِ جبريل الطويل ـ قال النبيُّ

(ﷺ): « ما المسؤولُ عنها بأعلم من السائلِ »[(201)] . فجبريلُ لا يعلمُ متى تقومُ الساعة، وكذلك محمّدٌ (ﷺ)[(202)] .

ثالثاً . قرب قيام الساعة:

تدلُّ الآيات القرآنية الكريمة والأحاديثُ الصحيحة على قُرْبِ الساعة ودُنوِّها، فإنَّ ظهور أكثر أشراطِ الساعةِ دليلٌ على قربها، وعلى أننا في اخرِ أيّام الدنيا[(203)]، قال تعالى: ﴿إِقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ*﴾ [الأنبياء: 1]، وقال تعالى: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا *﴾ [الأحزاب: 63] وقال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ يرونه بعيدا* ونراه قريبا﴾ [المعارج: 6 . 7] وقال تعالى: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ *﴾ [القمر: 1] إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة الدّالّةِ على قُرْبِ نهايةِ هذا العالم الدنيوي، والانتقال إلى دار أخرى، ينالُ فيها كلُّ عاملٍ عمله، إنْ خيراً فخير، وإنْ شرّاً فشر[(204)] .

وقال رسول الله (ﷺ): « بُعِثْتُ أنا والساعة كهاتين، ويشيرُ بأصبعيه فيمدُّهما»[(205)] .

رابعاً . مجمل أشراط الساعة الصغرى:

تحدّث العلماءُ عن أشراط الساعة، وإليك أهمُّها ممّا ثبتَ بالسنّة النبوية منها :

1 . بعثة النبيِّ (ﷺ) .

2 . موتُ النبيِّ (ﷺ) .

3 . فتحُ بيت المقدس .

4 . طاعونُ عمواس[(206)] .

5 . استفاضةُ المالِ، والاستغناءُ عن الصدقة .

6 . ظهورُ الفتن، كظهورها من المشرق، ومقتل عثمان رضي الله عنه، وموقعة الجمل، وموقعة صفين[(207)] وظهور الخوارج، وموقعة الحَرَّة ، اتباع سنن الأمم الماضية.

7 – ظهور مدعي النبوة.

8 – ظهور نار الحجاز.

9- انتشار الأمن.

10 . قتالُ الترك .

11 . قتالُ العجم .

12 . ضياعُ الأمانةِ .

13 . قبضُ العلم، وظهورُ الجهل .

14 . كثرةُ الشُّرَطِ وأعوانُ الظلمة .

15 . انتشار الزنا .

16 . انتشارُ الربا .

17 . ظهورُ المعازِفِ واستحلالُها .

18 . كثرةُ شربِ الخمر واستحلالُها .

19 . زخرفةُ المساجدِ، والتباهي بها .

20 . التطاوُلُ في البنيانِ .

21 . ولادةُ الأمة لِربتّها .

22 . كثرةُ القتلِ .

23 . تقاربُ الزمان .

24 . تقاربُ الأسواقِ .

25 . ظهورُ الشرك في هذه الأمة .

26 . ظهورُ الفُحْشِ، وقطيعةُ الرحم، وسوءُ الجوار .

27 . تشبُّب المشيخة .

28 . كثرةُ الشح .

29 . كثرةُ التجارةِ .

30 . كثرةُ الزلازل .

31 . ظهورُ الخَسْفِ والمِسْخِ والقَذْفِ .

32 . ذهابُ الصالحين .

33 . ارتفاعُ الأسافل .

34 . التحيةُ للمعرفةِ: أي لا يطلَقُ السّلام إلا على مَنْ يعرفه .

35 . التماسُ العلمِ عندَ الأصاغر .

36 . ظهورُ الكاسياتِ العارياتِ .

37 . صدقُ رؤيا المؤمن .

38 . كثرةُ الكتابة وانتشارُها .

39 . التهاونُ بالسنن التي رغّبَ فيها الإسلام .

40 . انتفاخُ الأهلة[(208)] .

41 . كثرةُ الكذب، وعدمُ التثبّت في نقل الأخبار .

42 . كثرةُ شهادةِ الزور، وكتمانُ شهادة الحق .

43 . كثرةُ النساءِ وقلّةُ الرجالِ .

44 . كثرةُ موتِ الفجأة .

45 . وقوعُ التناكُرِ بين الناس[(209)] .

46 . عودُ أرضِ العرب مروجاً وأنهاراً .

47 . كثرةُ المطر، وقلّة النباتِ .

48 . حسرُ الفراتِ عن جبلٍ من ذهب .

49 . كلامُ السباعِ والجماداتِ للإنسان .

50 . تمنّي الموت من شدة البلاء .

51 . كثرةُ الروم، وقتالُهم للمسلمين .

52 . فتح القسطنطينية .

53 . قتالُ اليهود .

54 . نفيُ المدينةِ لشرارِها، ثم خرابُها في اخرِ الزمان .

55 . بعثُ الريح الطيبة لقبضِ أرواحِ المؤمنين .

56 . استحلالُ البيتِ الحرامِ، وهدمُ الكعبةِ .

هذه أهمُّ أشراطِ الساعة الصغرى التي جاءت في أحاديث النبي (ﷺ)، ومن أرادَ التوسُّعَ ومعرفة الأحاديث فليراجع كتاب (أشراط الساعة)[(210)] ففيه التفاصيل .

* * *

المبحث الثاني: أشراط الساعة الكبرى في القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة

أولاً ـ نزول عيسى عليه السلام:

نزولُ عيسى عليه السلام في اخر الزمان ثابتٌ في الكتاب والسنة الصحيحة المتواترة، وذلك علامةٌ من علامات الساعة الكبرى :

أ ـ الأدلة من القرآن الكريم على نزول عيسى عليه السلام:

1 ـ قال الله تعالى: ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلاً إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ *وَقَالُوا أَآلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلاَّ جَدَلاً بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ *إِنْ هُوَ إِلاَّ عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلاً لِبَنِي إِسْرَائِيلَ *وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلاَئِكَةً فِي الأَرْضِ يَخْلُفُونَ *وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ فَلاَ تَمْتَرُنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونِ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ*﴾ **[الزخرف: 57 ـ 61]** .

فهذه الآيات جاءت في الكلام على عيسى عليه السلام ، وجاء في اخرها قوله تعالى: أي نزول ﴿وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ﴾ قبل يوم القيامة علامة على قرب الساعة[(211)] .

2 . وقال تعالى: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلاَّ اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِيناً *بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا *وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلاَّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا *﴾ **[النساء: 157 . 159]** فهذه الآيات، كما أنها تدلُّ على أنَّ اليهودَ لم يقتلوا عيسى عليه السلام ، ولم يصلبوه، بل رفعه الله إلى السماء، كما في قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ﴾ **[آل عمران: 55]** فإنّها تدلُّ على أنَّ مِنْ أهل الكتاب مَنْ سيؤمنُ بعيسى عليه السلام اخرَ الزمان، وذلك عند نزوله، وقبل موته، كما جاءت بذلك الأحاديث المتواترة الصحيحة[(212)].

وعيسى عليه السلام حيٌّ، وقد ثبت في (الصحيحين)[(213)] عن النبيّ(ﷺ) أنه قال: «والذي نفسي بيده ليوشكنَّ أن ينزلَ فيكم ابنُ مريمَ حَكَماً عَدْلاً، وإماماً مُقْسِطاً، فيكسِرُ الصليبَ، ويقتلُ الخنزيرَ، ويضعُ الجزيةَ، ويفيضُ المالُ حتى لا يقبله أحدٌ» .

وثبت في (الصحيح)[(214)] عنه أنّه ينزل على المنارةِ البيضاء شرقي دمشق، وأنّه يقتلُ الدجّال، ومن فارقت روحُه جسدَه، لم ينزل جسدُه من السماءِ، وإذا أُحييَ، فإنَّه يقومُ من قبره .

وأما قوله تعالى: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [آل عمران: 55] فهذا دليلٌ على أنّه لم يعنِ بذلك الموتَ، إذ لو أراد بذلك الموت، لكان عيسى في ذلك كسائر المؤمنين، فإنَّ الله يقبِضُ أرواحهم، ويعرجُ بها إلى السماء، فعُلِمَ أنّه ليس له في ذلك خاصيةٌ، وكذلك قوله: ولو كان قد فارقت روحُه ﴿وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، لكان بدنه في الأرض، كبدن سائر الأنبياء، أو غيره من الأنبياء، وقد قال تعالى في الآية الآخرى ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلاَّ اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِيناً * بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾ [النساء: 157-158] فقوله هنا يبين أنّه رُفِعَ بدنُه ﴿بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾، كما ثبت في (الصحيح)[(215)] أنه ينزلُ ببدنه وروحه، إذا لو أيدَ موتُه لقال: وما قتلوه وما صلبوه بل مات .

وفي قوله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلاَّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ﴾ [النساء: 159] قال: قبل موت عيسى بن مريم[(216)] .

ب . والأدلة من السنة على نزول عيسى عليه السلام كثيرة ومتواترة منها:

1 . قال رسول الله (ﷺ): « والذي نفسي بيده، ليوشِكَنّ أنْ ينزلَ فيكم ابنُ مريمَ حَكَماً عَدْلاً، فيكسِرُ الصليبَ، ويقتلُ الخنزيرَ، ويضعُ الحربَ، ويفيضُ

المالُ حتّى لا يقبلَه أحدٌ، حتى تكونَ السجدةُ الواحدةُ خيراً من الدنيا وما فيها»[(217)].

2 . وقال رسول الله (ﷺ): « كيف أنتم إذا نزلَ ابنُ مريمَ فيكم وإمامُكم مِنْكُم »[(218)] ؟

3 . وقال رسول الله (ﷺ): « لا تزالُ طائفةٌ من أمتي يقاتِلُونَ على الحقِّ، ظاهرينَ، إلى يومِ القيامةِ، قال: فينزلُ عيسى بن مريم 4 فيقولُ له أميرُهم: صلِّ لنا، فيقول: لا، إنَّ بعضَكُم على بعضٍ أمراء، تَكْرُمة اللهِ هذه الأمةِ»[(219)] .

وقد جاءت الأحاديثُ في نزول عيسى عليه السلام في الصحاح والسنن والمسانيد وغيره من دواوين السنة، وهي تدلُّ دلالةً صريحةً على نزول عيسى عليه السلام ، ولا حجّةَ لمن ردّها[(220)] .

ثانياً . يأجوج ومأجوج :

خروج يأجوجَ ومأجوجَ في اخر الزمان علامةٌ من علامات الساعة الكبرى، وقد دلّ على ظهورِهم الكتابُ والسنةُ :

والآيات الدالة على ظهور يأجوج ومأجوج هي :

1 . قال تعالى في سياقه لقصة ذي القرنين :

﴿مُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا * قَالَ مَا مَكَّنْنِي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا *آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا *فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا *قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا *وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا *﴾ **[الكهف: 92 . 99]** .

2 . وقال تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ *وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا ياوَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ *﴾ **[الأنبياء: 96 . 97]** .

فهذه الآيات تدلُّ على أنّ الله تعالى سخّر ذا القرنين الملكَ الصالح لبناء السدّ العظيم، ليحجزَ بين يأجوج ومأجوج القوم المفسدين في الأرض وبين الناس، فإذا جاء الوقتُ المعلوم، واقتربتِ الساعةُ، اندكّ هذا السدُّ، وخرجَ يأجوجُ ومأجوجُ بسرعةٍ عظيمةٍ، وجمعٍ كبيرٍ، لا يقفُ أمامَه أحدٌ من البشر، فماجوا في الناس، وعاثوا في الأرض فساداً، وهذا علامةٌ على قرب النفخ في الصور، وخرابِ الدنيا، وقيام الساعة[(221)] .

والأحاديث الصحيحة الدّالةُ على ظهور يأجوج ومأجوج كثيرةٌ منها :

عن أم حبيبة بنت أبي سفيان عن زينب بنت جحش، أنّ رسول الله (ﷺ) دخلَ عليها يوماً فزعاً يقول: « لا إله إلا الله، ويلٌ للعربِ مِنْ شرٍّ قَدِ اقتربَ، فُتِحَ اليومَ مِنْ رَدْمِ يأجوجَ ومأجوجَ مُثْلُ هذِهِ » وحلّقِ بأصبعي الإبهامِ والتي تليها . قالت زينبُ بنت جحش: فقلتُ: يا رسول الله أفنهلكُ وفينا الصالحون، قال: « نعم، إذا كَثُرَ الخَبَثُ »[(222)] .

ثالثاً . الدخان:

قال تعالى: ﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ *يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ *﴾ **[الدخان: 10 . 11]** .

ومن علامات الساعة وأشراطها العظمى ظهورُ دخانٍ قَبْلَ قيام الساعة، يملأُ الأرضَ كلَّها، فتصبحُ كبيتٍ أوقد فيه، فيأخذُ بالمؤمنين كالزكمةِ، ويدخلُ في منافذِ الكفّار والمنافقين حتى يخرجَ من كلِّ مسمعٍ منهم[(223)] .

وعن حذيفة بن أُسيدٍ الغفاري أنه قال: اطّلع رسولُ الله (ﷺ) علينا، ونحن نتذاكَرُ فقال: « ما تذكرون ؟ » قلنا: نذكر الساعة، قال: « إنّها لَنْ تقومَ حتّى تروا قبلَها عشرَ آياتٍ، فذكر: الدخانَ، والدجّالَ، والدابةَ، وطلوعَ

الشمسِ من مغربها، ونزولَ عيسى بنِ مريم، ويأجوجَ ومأجوجَ، وثلاثةَ خسوفٍ، خسفٌ بالمشرق، وخسفٌ بالمغرب، وخسفٌ بجزيرة العرب واخرُ ذلك نارٌ تطردُ الناسَ إلى محشرهم »[(224)] .

رابعاً . طلوع الشمس من مغربها:

من أعظم أشراط الساعة الكبرى، وبه يُغْلَقُ بابُ التوبة .

الآية الدالة على ذلك :

قد ذكر الله تعالى طلوع الشمس من مغربها في قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلاَّ أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلاَئِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لاَ يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ *﴾ **[الأنعام: 158]** .

وقد دلّت الأحاديثُ الصحيحةُ أنَّ المراد ببعض الآيات المذكورة في الآية هو طلوعُ الشمسِ من مغربها، وهو قول أكثر المفسرين[(225)] .

قال الطبري بعد ذكره لأقوال المفسرين في هذه الآية: وأولى الأقوالِ بالصوابِ في ذلك ما تظاهرتْ به الأخبارُ عن رسول الله (ﷺ) أنه قال: « ذلك حينَ تطلعُ الشمسُ من مغربها »[(226)] .

والأحاديث الدالة على طلوع الشمس من مغربها كثيرة منها :

قال رسول الله (ﷺ): « لا تقومُ الساعةُ حتّى تطلعَ الشمسُ مِنْ مغربها، فإذا طلعتْ، فراها الناسُ، امنوا أجمعون، فذاكَ حينَ لا ينفعُ نفسَاً إيمانُها لم تكن امنتْ من قبلُ أو كسبتْ في إيمانها خيراً »[(227)] .

خامساً . خروج الدابة:

قال تعالى: ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِنَ الأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لاَ يُوقِنُونَ *﴾ **[النمل: 82]** .

فهذه الآية الكريمة جاء فيها ذكرُ خروج الدابة، وأنَّ ذلك يكون عند فساد الناس، وتركهم أوامرَ الله، وتبديلهم الدينَ الحقَّ، يُخرجُ لهم دابةً من الأرض، فتكلِّمُ الناسَ على ذلك[(228)] قال العلماء في معنى قوله تعالى: ﴿وَقَعَ الْقَوْلُ﴾: وجبَ الوعيدُ عليهم، لتماديهم في العصيان والفسوق والطغيان، وإعراضهم عن آيات الله، وتركهم تدبرها، والنزول على حكمها، وانتهائهم في المعاصي إلى ما لا تنجح معه فيه موعظةٌ، ولا تصرفهم عن غيهم تذكرةٌ، يقول عز من قائل فإذا صاروا كذلك: ﴿أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِنَ الأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ﴾:

دابة تعقِلُ وتنطق، والدواب في العادة لا كلامَ لها ولا عقل، ليعلم الناس أن ذلك اية من عند الله[(229)] .

روى مسلم في (صحيحه) عن أبي هريرة عن النبي (ﷺ) قال: « بادروا بالأعمال ستاً: الدجالَ، والدخانَ، ودابةَ الأرضِ، وطلوعَ الشَّمسِ من مغربها، وأمرَ العامة، وخويصةَ أحدكم »[(230)] .

سادساً . المهدي:

جاءت الأحاديثُ الصحيحةُ الدالّةُ على ظهور المهدي، وهذه الأحاديثُ منها ما جاء فيه النصُّ على المهدي، ومنها ما جاء فيه ذكر صفته فقط، ومن هذه الأحاديث :

1 . قال رسول الله (ﷺ): « يخرجُ في اخرِ أمتي المهديُّ، يسقيه اللهُ الغيثَ، وتُخرِجُ الأرضُ نباتها، ويُعْطَى المالَ صحاحاً، وتكثرُ الماشيةُ، وتعظُمُ الأمةُ، يعيشُ سبعاً أو ثمانياً » يعني: حِجَجاً[(231)] .

2 . وقال رسولُ الله (ﷺ): « أبشّرُكم بالمهدي، يُبْعَثُ على اختلافٍ من الناس وزلازلَ، فيملأُ الأرضَ قِسْطاَ وعَدْلاً كما مُلِئتْ جُوْراً وظُلْماً، يرضَى عنه ساكنُ السماء وساكنُ الأرضِ، يقسِمُ المال صحاحاً » . فقال له رجلاً: ما صحاحاً ؟ قال: « بالسويةِ بينَ الناسِ »[(232)] .

3 ـ وعن عليٍّ رضي الله عنه قال: قال رسولُ اللهِ (ﷺ): « المهديُّ منا أهلَ البيتِ، يُصْلِحُه الله عزّ وجل في ليلةٍ »[(233)] أي يتوب عليه، ويوفقه، ويلهمه، ويرشده، بعد أن لم يكن كذلك .

سابعاً ـ المسيح الدجال:

مسيحُ الضلالةِ، يفتنُ الناسَ بما يُعْطاه من الآيات، كإنزال المطرِ، وإحياءِ الأرضِ بالنبات وغيرهما من الخوارق، وسُمّي الدجُّال مسيحاً، لأنّ إحدى عينيه ممسوحةٌ، ولأنّه يمسحُ الأرضَ في أربعين يوماً، والقولُ الأوّل هو الراجحُ، لما جاء في الحديث النبوي: « إنّ الدجالَ ممسوحُ العينِ »[(234)] .

ومعنى الدجّال: المِمّوه الكذّاب بالمِمَخرِق، وهو من أبنية المبالغة، وهو على وزن فعّال، أي يكثرُ منه الكذبُ والتلبيسُ، وجمعه دجّالون، وجمعه الإمام مالك على دجاجلة وهو جمعُ تكسيرٍ[(235)] .

وسمي الدجال دجالاً: لأنه يغطِّي الحق بالباطل، أو لأنه يغطي على الناس كفره بكذبه وتمويهه وتلبيسه عليهم، وقيل لأنه يغطي الأمر بكثرة جموعه[(236)] .

ولفظةُ الدجال أصبحت علماً على المسيح الأعور الكذاب، فإذا قيل الدّجّالُ، فلا يتبادَرُ إلى الذهن غيره .

والدّجال رجلٌ من بني ادم، له صفاتٌ كثيرةٌ، جاءت بها الأحاديثُ لتعريفِ الناس به، وتحذيرهم من شرّه، حتى إذا خرجَ عرفه المؤمنون، فلا يُفْتَنون به، بل يكونون على علمٍ بصفاته، فلايغترُّ به إلا الجاهلُ الذي سبقت عليه الشِّقْوةُ، نسألُ الله العافية .

ومن هذه الصفاتِ أنَّه رجلٌ شابٌّ، أحمرُ، قصيرٌ، أَفْحَج جعدُ الرأسِ، أجلى الجبهةِ، عريضُ النحرِ، ممسوحُ العينِ اليُمنى، وهذه العينُ ليست بناتئة[(237)]، ولا جحراء[(238)]، كأنَّها عِنْبةٌ طافيةٌ، وعينهُ اليسرى عليها ظفرةٌ غليظةٌ[(239)]، ومكتوب بين عينيه (ك ف ر) بالحروف المقطعة، أو (كافر) بدون تقطيع، يقرؤها كلُّ مسلمٍ كاتبٍ وغيرِ كاتبٍ، ومن صفاته أنّه عقيمٌ لا يولد له .

وهذه بعضُ الأحاديث الصحيحة التي جاء فيها ذكر صفاته السابقة ومنها:

1 ـ قال رسول الله (ﷺ): « إنّ المسيحَ الدجّالَ رجلٌ قصيرٌ، أفحجُ جَعْدُ، أعورُ مطموسُ العينِ، ليست بناتئةٍ ولا حَجْراء »[(240)] .

2 ـ قال رسولُ الله (ﷺ): « الدجالُ أعورُ العينِ اليُسْرَى، جفالُ الشعرِ»[(241)] .

3 ـ وقال (ﷺ): « وإنّ بين عينيه مكتوبٌ كافر »[(242)] .

وحُرِّمَ على الدّجّالِ دخولُ مكة والمدينة حينَ يخرجُ في اخر الزمان، لورود الأحاديث الصحيحة بذلك، وأما سوى ذلك من البلدانِ، فإنَّ الدجالَ سيدخلُها واحداً بعدَ الآخر، وأكثرُ اتباع الدجال من اليهود والعجم والترك، وأخلاطٍ من الناس غالبُهم الأعرابُ والنساء[(243)] .

وفتنةُ الدجال عظيمةٌ، وذلك بسببِ ما يخلقُ الله معه من الخوارقِ العظيمة التي تبهرُ العقولَ، وتحيّرُ الألبابَ[(244)] .

الوقاية من الدجال: أرشدَ النبيُّ (ﷺ) أمته إلى ما يعصِمُها من فتنة المسيح الدجال، فقد ترك أمّتَه على المحجّةِ البيضاء، ليلِها كنهارِها، لا يزيغُ عنها إلا هالكٌ، فلم يدعْ (ﷺ) خيراً إلا دلَّ أُمته عليه، ولا شرًّا إلا حذّرها منه، ومن جملةِ ما حذّر منه فتنةُ المسيح الدجال، لأنّها أعظمُ فتنةٍ تواجهها الأمةُ إلى قيام الساعةِ .

وكان كلُّ نبيّ ينذِرُ أمته الأعورَ الدجال، وخَصَّ محمّدٌ (ﷺ) بزيادةِ التحذيرِ والإنذارِ، وقد بيّن الله له كثيراً من صفاتِ الدجّال ليحذِّرَ أمته، فإنّه خارجٌ من هذه الأمة لا محالة، لأنها اخرُ الأمم، ومحمّدٌ (ﷺ) خاتمُ النبيين .

ومن الإرشاداتِ النبوية التي أرشدَ إليها المصطفى (ﷺ) لتنجوَ من هذه الفتنةِ العظيمةِ الاتي :

1 . التمسك بالإسلام، والتسلّح بسلاح الإيمان، ومعرفة أسماء الله الحسنى التي لا يشاركه فيها أحدٌ، فيعلَم أنَّ الدجالَ بشرٌ يأكل ويشرب، وأنَّ الله تعالى منزَّهٌ عن ذلك، وأنّه لا أحدَ يرى ربَّه حتى يموتَ .

2 . التعوذ من فتنة الدجال، وخاصة في الصلاةِ، وقد وردت بذلك الأحاديثُ الصحيحةُ، فقد كان رسول الله (ﷺ) يدعو في الصلاة: « اللهم فإنّي أعوذُ بِكَ من فتنة النار وعذاب النار، وفتنة القبر وعذابِ القبرِ، وأعوذُ بِكَ من شرِّ فتنةِ المسيحِ الدَّجّال »[(245)] .

وروى مسلم[(246)] عن أبي هريرة، رضي الله عنه، قال: قال رسول الله (ﷺ): « إذا تشهَّد أحدُكم فليستعذْ باللهِ من أربعٍ، يقول: اللهمَّ إِنّي أعوذُ بِكَ من عذابِ جهنَّم، ومِنْ عذابِ القَبْرِ، ومن فتنةِ المحيا والمماتِ، ومِنْ شرِّ فتنةِ المسيح الدَّجّال » .

3 . حفظ آيات من سورة الكهف: فقد أمر النبيُّ (ﷺ) بقراءةِ فواتح سورة الكهف على الدجّال، وفي بعض الروايات خواتيمَها، وذلك بقراءةِ عشر آيات من أولها أو اخرها.

ومن الأحاديث الواردة، قوله (ﷺ): « من أدركَهُ مِنْكُم، فليقرأْ عليه فواتحَ سورةِ الكهف »[(247)] .

وقال رسول الله (ﷺ): « مَنْ حَفِظَ عَشْرِ آياتٍ مِنْ أوّلِ سورةِ الكَهْفِ عُصِمَ مِنَ الدَّجَّالِ[(248)]، أي: من فتنته، وهذا من خصوصياتِ سورة الكهف، فقد جاءت الأحاديثُ بالحثّ على قراءتها وخاصّةً يومَ الجمعة[(249)] .

وروى الحاكم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبيَّ (ﷺ) قال: « إنّ مَنْ قرأَ سورةَ الكهفِ يومَ الجمعةِ، أضاءَ له مِنْ النُّوْرِ بينَ الجُمُعَتَيْنِ» [(250)].

4 ـ الفرار من الدجال والابتعاد منه، قال رسول الله (ﷺ): « مَنْ سمعَ بالدّجّالِ، فلينأَ عَنْهُ، فواللهِ إنَّ الرَّجُلَ ليأتيه وهو يَحْسَبُ أنَّه مؤمنٌ، فيتبعُه مما يبعثُ به مِنَ الشُّبهاتِ، أو لما يبعثُ به من الشبهاتِ »[(251)] .

وأمّا هلاك الدجال على يدي المسيح عيسى بن مريم رضي الله عنهم، فقد دلت على ذلك الأحاديث الصحيحة[(252)] .

ثامناً ـ الخسوفات الثلاثة:

وهي من أشراط الساعة، جاء ذكرها في الأحاديث ضمن العلامات الكبرى، فعن حذيفة بن أُسيدٍ رضي الله عنه أنَّ رسول الله (ﷺ) قال: « إنّ الساعةَ لن تقومَ حتّى تَرَوْا عَشْرَ آياتٍ .. (فذكر منها) وثلاثةَ خسوفٍ، خَسْفٌ بالمشرقِ، وخَسْفٌ بالمغربِ، وخَسْفٌ بجزيرة العرب »[(253)] .

وهذه الخسوفُ تكونُ عظيمةً وعامةً لأماكنَ كثيرةٍ من الأرض، في مشارقها ومغاربها وفي جزيرة العرب . وقد وُجِدَ عبرَ التاريخ الخسفُ في مواضع، ولكن يحتمل أن يكون المراد بالخسوف الثلاثة قدراً زائداً على ما وُجِدَ، كأنْ يكونَ أعظمَ منه مكاناً وقدراً [(254)] .

تاسعاً ـ النار التي تحشر الناس:

ومنها خروجُ النارِ العظيمة، وهي من أشراطِ الساعة الكبرى، وأوّلُ الآيات المؤذنةِ بقيام الساعة، وجاءت الرواياتُ بأنَّ خروجَ هذه النارِ يكونُ من اليمنِ، من قعرة عدن، فقد جاء في حديثِ حذيفة بن أُسيد في ذكر أشراطِ الساعة الكبرى قوله (ﷺ): « واخِرُ ذلك نارٌ تخرجُ من اليمنِ، تطرُدُ الناسَ إلى محشرِهِم »[(255)]، وفي رواية له عن حذيفة أيضاً: « ونار تخرجُ من قعرةِ عدنٍ ترحّلُ الناسَ »[(256)] . وكون النار تخرجُ من قعرة عدن لا ينافي حشرها الناس من المشرق إلى المغرب، وذلك أنَّ ابتداءَ خروجِها من قعرةِ عدن، فإذا خرجتْ انتشرتْ في الأرضِ كلّها . . . وعندما تنتشرُ يكون حشرُها لأهلِ المشرقِ[(257)] .

المبحث الثالث: النفخ في الصور

أولاً ـ ما هو الصور؟

عرّف النبي (ﷺ) الصُّور ـ كما في حديث عبد الله بن عمرو بن العاص قال: جاء أعرابيٌّ إلى النبي (ﷺ) قال: ما الصورُ؟ ـ قال: « الصُّوْرُ قرنٌ يُنْفَخُ فيه»[(258)] قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ إِلاَّ مَنْ شَاءَ اللَّهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ *﴾ [النمل: 87] .وقد سمّاه الله تعالى أيضاً الناقور، كما قال تعالى: ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ *﴾ [المدثر: 8] والناقور هو الصور[(259)]، فالصور والناقور اسمان لمسمًّى واحد .

ثانياً ـ أسماء الصوت الذي يخرج من الصور:

وقد سمّى الله تعالى الصوتَ الذي يخرجه إسرافيل من الصور بأسماء هي :

1 ـ النفخة: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ *﴾ [الحاقة: 13] .

2 ـ الصيحة: ﴿مَا يَنْظُرُونَ إِلاَّ صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ *﴾ [يس: 49] .

3 ـ الراجفة: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ *تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ *﴾ [النازعات: 6 ـ 7] .

4 . الزجرة: ﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ *﴾ [النازعات: 13] .

فإسرافيل ينفخُ نفخةً، وزجرةً، وهي النفخةُ بغضبٍ تُحْدِثُ صيحةً عظيمةً ترجُفُ لها الأرضُ والقلوبُ[(260)] .

ثالثاً . عددُ النفخاتِ:

اختلف العلماء في عدد النفخات على أقوال :

القول الأول: أنها ثلاثُ نفخاتٍ، وذلك أنّ الله نصَّ على هذه الثلاث في كتابه وهي :

1 . نفخة الفزع:

قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ إِلاَّ مَنْ شَاءَ اللَّهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ *﴾ [النمل: 87] .

2 . نفخة الصعق:

قال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ إِلاَّ مَنْ شَاءَ اللَّهُ﴾ [الزمر: 68] .

3 . نفخة البعث:

قال تعالى: ﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ *﴾ [الزمر: 68] .

وقالوا: إن الفزع مغايِرُ للصعقِ، واستدلوا بحديثِ الصور الطويل، وفيه أنَّ النفخاتِ ثلاثٌ[(261)] .

القول الثاني: أنّهما نفختان: (نفخة الصعق) و(نفخة البعث)، وقالوا: هذا هو ظاهِرُ النصوص: كقوله تعالى: ﴿مَا يَنْظُرُونَ إِلاَّ صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ *فَلاَ يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلاَ إِلَى أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ *وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ *قَالُوا يَاوَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَانُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ *﴾ [يس: 49 . 52] .

وقوله: هذه هي النفخةُ ﴿مَا يَنْظُرُونَ إِلاَّ صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ﴾ . وقوله: هذه هي النفخةُ الثانية وكقوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ * يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ *تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ *﴾ [النازعات: 6 . 7] هما النفختان الأولى والثانية[(262)] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبيّ (ﷺ) قال: « بينَ النفختينِ أربعونٌ». قالوا: يا أبا هريرة أربعون يوماً، قال: أبيت، قالوا: أربعون سنة، قال: أبيت، قالوا: أربعون شهراً، قال: أبيت، « ويبلَى كلُّ شيءٍ من الإنسانِ إلاّ عُجْبُ ذَنَبِهِ، فيه يركَّبُ الخَلْقُ »[(263)] .

ويمكِنُ الجمعُ بين الفزع والصعق، وجعلهما نفخةً واحدةً، ولكنّها تبدأُ بالفزِع، وتنتهي بالصَّعْقِ، مع وجودِ مسافةٍ زمنيةٍ تفصِلُ بين بدايتها ونهايتها، أي إنَّ الله يأمرُ إسرافيلَ بالنفخِ، فينفخُ نفخةَ إفزاعٍ يطوّلها ويمدّها لا يفترُ (وهو ما يعني استمرار النفخ بلا انقطاع) فيما الناسُ في العذابِ يشاهدون أحداثَ الزلزلةِ إلى أنْ يأمرَ اللهُ بنفخةِ الصَّعْقِ الأشدِّ قوةً وهولاً، فيموتُ لشدّتها كلُّ من في السموات والأرض إلا من شاء الله[(264)] .

ومن هذا الباب يمِكنُ الاستدلالُ على ذلك بقول الرسول (ﷺ): « يخرجُ الدجّالُ في أمتي، فيمكثُ أربعينَ (ثم قال:) وهم في ذلك دارٌّ رزقُهم، حَسَنٌ عيشُهم، ثم ينفخُ في الصورِ، فلا يسمعُه أحدٌ إلا أصغى لِيْتاً، ورفع لِيْتاً، قال: وأول من يسمعُه رجلٌ يلوطُ حَوْضَ إبله، قال: فيُصعقُ ويُصعُقُ الناسُ» [(265)]، وأصغى في الحديث: يعني: أمال . (والليت) صفحةُ العنق، فهذا التسمُّعُ والإصغاءُ يدلُّنا على أنَّ بدايةَ النفخةِ ليستْ كنهايتها في القوّة والشّدةِ، حتى إنّ الصوتَ لم يشمل كلَّ الناسِ عند بدايته[(266)]، كما نجدُ في نص الحديث: « وأوّلُ مَنْ سمِعُه رجلٌ يلوطُ حَوْضَ إبله » فلو كانت بدايتُها (بالصعقة) المميتة لماتَ الناسُ على أثرِها، ولما بقيت فسحةٌ لهذا التسمُّعِ والإصغاء، وكأنّ الصوت يبدأُ رويداً، ثم يمضي في التدرّج الصاعدِ، إلى أن يملأ الكونَ دويّاً وإرعاداً، مصحوباً بالزلزلةِ العظيمةِ، وذلك التدرُّجُ في النفخِ والمدِّ

والتطويل أدعى لتصعيدِ حِدَّةِ الخوف، وإيقاع الرهبةِ في نفوس شرار الخلق، الذي يعذّبهم الله في الدنيا بأحداثِ الساعة ما شاءَ له أن يعذِّبَهم، إلى أن يأمرَ بنفخةِ الصعق فيصعقون[(267)].

1 ـ انتظار إسرافيلَ الأمرَ بالنفخ في الصور: قال رسول الله (ﷺ): « إنّ طَرْفَ صاحبِ الصُّوْرِ منذ وُكِّلَ به مستعدٌّ ينظُرُ نحو العرشِ مخافةَ أن يؤمرَ قبل أن يرتدَّ إليه طرفُه، كأنَّ عينيه كوكبانِ دُرّيان »[(268)] .

2 ـ كيف أنعمُ وقد التقمَ صاحِبُ القرنِ القرنَ؟ قال رسول الله (ﷺ): « كيف أنعمُ وقد التقمَ صاحبُ القَرْنِ القرنَ، وحَنَى جبهتَهُ، وأَصْغَى سَمْعَهُ ينتظِرُ أن يؤمرَ أن ينفخَ، فينفخَ »؟! . قال المسلمون: فكيف نقول يا رسول الله؟ قال: « قولوا حسبُنا الله ونعمَ الوكيل، توكلنا على الله ربنا »[(269)] .

3 ـ اليومُ الذي تكون فيه النفخة: قال رسول الله (ﷺ): « إنَّ مِنْ أفضلِ أيّامِكُم يومَ الجمعةِ، فيه خُلِقَ ادمُ، وفيه قُبِضَ، وفيه النفخةُ، وفيه الصعقةُ، فأكثروا عليَّ من الصلاةِ فيه، فإنَّ صلاتَكُم معروضةٌ عليَّ، إنّ الله حرّم على الأرضِ أنْ تأكلَ أجسادَ الأنبياءِ »[(270)] .

4 ـ مَنِ الذين استثناهم الله من الفزع والصعق؟ قال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ إِلاَّ مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ *﴾ **[الزمر: 68]** .

ذهب طائفةٌ من العلماء إلى أنّ الذين استثناهم الله في قوله: هم ﴿إِلاَّ مَنْ شَاءَ اللَّهُ﴾، ومنهم من قال: إنّهم الأنبياءُ أو الشهداءُ أو الحُور العين ... إلخ. والصحيحُ أنّه لم يردْ نصٌّ صريحٌ في كتاب الله أو في سُنَّةِ رسولِه (ﷺ) يحدّد لنا من الذين استثناهم الله في تلك الآية، وبذلك لا يمكننا أن نجزمَ بذلك، وصار مثل العلم بوقتِ الساعةِ، وأمثال ذلك ممّا لم يخبرِ الله به[(271)] .

رابعاً ـ الآيات التي يقصد بها النفخة الأولى:

1 ـ قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ إِلاَّ مَنْ شَاءَ اللَّهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ *﴾ [النمل: 87] .

2 ـ وقوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ إِلاَّ مَنْ شَاءَ اللَّهُ﴾ [الزمر: 68] .

3 ـ وقوله تعالى: ﴿وَمَا يَنْظُرُ هَؤُلاَءِ إِلاَّ صَيْحَةً وَاحِدَةً مَا لَهَا مِنْ فَوَاقٍ *﴾ [ص: 15] .

4 ـ وقوله تعالى: ﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ *﴾ [النازعات: 13] .

5 ـ وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ *﴾ [النازعات: 6] .

خامساً ـ الآيات التي يقصد بها النفخة الثانية:

1 . قال تعالى: ﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنْظُرُونَ *﴾ [الصافات: 19]
هي عبارة عن النفخة الثانية في الصور[(272)] .

2 . وقال تعالى: ﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا *﴾ [الكهف: 99] .

3 . وقال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ*﴾ [يس: 51] .

4 . وقال تعالى: ﴿إِنْ كَانَتْ إِلاَّ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ*﴾ [يس: 53] .

5 . وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا *﴾ [النبأ: 18] .

6 . وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا *﴾ [طه: 102] .

7 . وقال تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلاَ أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلاَ يَتَسَاءَلُونَ*﴾ [المؤمنون: 101] . قال الشنقيطي: إنها الثانية[(273)] .

8 . وقوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ *﴾ [ق: 20] قال الشوكاني: وهذه هي النفخةُ الآخرة للبعث[(274)] .

9 . وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ *﴾ [ق: 42] .

10 ـ وقوله تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ *﴾ [الحاقة: 13] لقوله بعدها: ﴿فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ *﴾ [الحاقة: 15] .

سادساً: الآيات التي تحتمل الأمرين:

1 ـ قال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ فَزِعُوا فَلاَ فَوْتَ وَأُخِذُوا مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ *وَقَالُوا آمَنَّا بِهِ وَأَنَّى لَهُمُ التَّنَاوُشُ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ *﴾ [سبأ: 51 ـ 54] .

2 ـ وقال تعالى: ﴿وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ *﴾ [الأنعام: 73] .

3 ـ وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِي إِلَى شَيْءٍ نُكُرٍ *﴾ [القمر: 6] قال القرطبي: الداعي هو إسرافيل[(275)] عليه السلام، وعليه فتكونُ الدعوةُ هي النفخُ في الصور، والله تعالى أعلم وأحكم[(276)] .

* * *

الفصل الثالث: البعث والحشر وأهوال يوم القيامة وأحوال الناس فيها

المبحث الأول: البعث .

المبحث الثاني: الحشر، وأهوال يوم القيامة، وأحوال الناس فيها.

المبحث الثالث: الشفاعة .

المبحث الرابع: الحساب والحوض والميزان، والصراط .

المبحث الأول: البعث

تعريف البعث ومنهج القرآن في الاستدلال عليه :

تعريف البعث: هو إعادة المخلوقات بعد فنائها للحساب والجزاء، من خير أو شر [(277)] قال تعالى: ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى *﴾ [النجم: 31] .

ولقد نهج القرآن الكريم في الاستدلال على البعث، وتحقُّقِ وقوعه منهجاً قوياً، يجمعُ بين ما فُطِرَتْ عليه النفوس من الإيمان، بما تشاهد وتحس ويقع منه تحت تأثير السمع والبصر، وبين ما تقرره العقول السليمة، ولا يتنافى مع الفطر المستقيمة، وتلك الطريقةُ التي تميّزَ بها القرآن الكريم[(278)] .

أولاً ـ الاستدلال بمن أماتهم الله ثم أحياهم:

كما أخبر الله تعالى عن ذلك ومنهم :

1 ـ قوم موسى: قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَامُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ *ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ *﴾ [البقرة: 55 ـ 56] .

2 . المضروب بعضوٍ، من أعضاء البقرة: كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ *فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلونَ *﴾ **[البقرة: 72 . 73]** .

3 . الذين أخبر الله عنهم بقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ﴾ **[البقرة: 243]** .

4 . ما حصل لعُزَير، كما قال تعالى: ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِئَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ ولِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ *﴾ **[البقرة: 259]** .

5 . سؤال إبراهيم عليه السلام عن كيفية إحياء الموتى: قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ *﴾ **[البقرة: 260]** .

6 . ما أخبر الله به عن عيسى عليه السلام من أنّه كان يحيي الموتى بإذن الله: قال تعالى: ﴿وَرَسُولاً إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ

لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِىءُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [آل عمران: 49] .

7 ـ ما أخبر الله من قصة أصحاب الكهف: كما قال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا *إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّءْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا *﴾[الكهف: 9 ـ 10].

إنّ هذه الأدلّة المتقدّمة أدلةٌ حسيةٌ ماديةٌ، وقعت كلّها لتدلَّ على إحياء الموتى بعد مماتهم، وهذا برهانٌ قطعيٌّ على القدرة الإلـهية، وقد أخبر الله ورسوله(ﷺ) عن وقوع البعث والحشر فوجب القطع بذلك[(279)] .

ثانياً ـ الاستدلال على البعث بالنشأة الأولى :

ومن الآيات الدالّة على ذلك ما يلي :

قال تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ﴾ [الحج: 5 ـ 7] .

وهذه الآيات تعطي تفصيلاً للمراحل التي يمرُّ بها خلقُ الإنسان، فقد قابل الله هذه المراحل بعدّةِ دلالات على قدرته سبحانه على البعث، فالله سبحانه يبيّنُ للناسِ إنْ كنتم في ريب من البعث، فلستم ترتابون في أنّكم مخلوقون،

ولستم ترتابون في مبدأ خلقكم من حال إلى حال إلى حين الموت والبعث الذي وُعْدِتُم به، نظير النشأة الأولى، فهما نظيران في الإمكان والوقوعُ، فإعادتكم بعدَ الموتِ خلقاً جديداً كالنشأة الأولى التي لا ترتابون فيها، فكيف تنكرون إحدى النشأتين مع مشاهدتكم لنظيرها[(280)] ؟! .

إنّ هذه الآيات لها دلالةٌ عقليةٌ على البعث، إنّها نقلةٌ ضخمةٌ بعيدةُ الأغوارِ والاماد، تشهدُ بالقدرة التي لا يعجزها البعثُ، وإنّ إنشاءَ الإنسان من التراب، وتطوَّرَ الجنينِ في مراحل حياته، وانبعاثَ الحياة من الأرض بعد الهمود، كلُّ ذلكَ متعلّقٌ بأنَّ الله هو الحق، فهو من السنن المضطردة التي تنشأ من أنَّ خالقها هو الحق، الذي لا تختل سننه، ولا تتخلف .

وأنَّ اتجاهَ الحياةِ في هذه الأطوارِ ليدلَّ على الإرادةِ التي تدفعُها، وتنسّقُ خطاها، وترتّب مراحلها، فهناك ارتباطٌ وثيقٌ بينَ أنّ الله هو الحق، وبين هذا الاضطرادِ والثباتِ، والاتجاه الذي لا يحيدُ .

وأنَّ إحياءَ الموتى هو إعادةُ للحياة، والذي أنشأ الحياةَ الأولى هو الذي ينشِئها للمرّة الآخرة، وأَنَّ اللهَ يَبْعَثُ مَن فِي الْقُبُورِ ليلاقوا ما يستحقّونه من جزاء، فهذا البعثُ تقتضيه حكمةُ الخلق والتدبير .

وإنَّ هذه الأطوارَ التي يمرُّ بها الجنينُ، ثم يمرُّ بها الطفلُ بعد أن يرى النور، لتشيرُ إلى أنَّ الإرادةَ المدبّرةَ لهذه الأطوار، ستدفعُ بالإنسان إلى حيث يبلغ

كماله الممكن في دار الكمال، إذ إنَّ الإنسانَ لا يبلغُ كماله في حياة الأرض، فهو يقفُ ثم يتراجعُ فلابدَّ مِنْ دارٍ أُخرى يتمُّ فيها تمامُ ﴿لِكَيْلاَ يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا﴾ .

فدلالة هذه الأطوار على البعثِ دلالةٌ مزدوَجةٌ، فهي تدلُّ على البعثِ من ناحيةِ أنَّ القادرَ على الإنشاءِ قادرٌ على الإعادةِ، وهي تدلُّ على البعثِ، لأنَّ الإرادةَ المدبّرَة تكمِّلُ تطويرَ الإنسان في الدار الآخرة، وهكذا تلتقي نواميسُ الخلقِ والإعادةِ ونواميسُ الحياةِ والبعثِ، ونواميسُ الحسابِ والجزاءِ، تشهدُ كلُّها بوجودِ الخالق المدبرِ القادرِ، الذي ليس في وجوده جدال[(281)] .

ثالثاً ـ الاستدلال على إمكان البعث بخلق الأكوان، مثل السماوات والأرض، فإنّ خلقها أعظمُ مِنْ خلق الإنسان.

ومن الآيات الدالة على ما يلي :

1 ـ قال تعالى: ﴿وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا * أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلاً لاَ رَيْبَ فِيهِ﴾ **[الإسراء: 98 ـ 99]** .

2 ـ قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى بَلَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ *﴾ [الأحقاف: 33] .

3 ـ وقال تعالى: ﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ﴾ [يس: 81] .

رابعاً ـ الاستدلال على إمكان البعث بخلق النباتات المختلفة:

ومن الآيات ما يلي :

1 ـ قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالاً سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ *﴾ [الأعراف: 57] .

2 ـ قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ *﴾ [فاطر: 9] .

3 ـ قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ *﴾ [فصلت: 39] .

4 ـ قال تعالى: ﴿وَفِي الأَرْضِ قِطَعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الأُكُلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآَيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ *﴾ [الرعد: 4] .

5 ـ وقوله تعالى: ﴿وَإِنْ تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَإِذَا كُنَّا تُرَابًا أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ [الرعد: 5] .

6 ـ قال تعالى: ﴿وَتَرَى الأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ * ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ *وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لاَ رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ *﴾ [الحج: 5 ـ 7] .

7 ـ وقوله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ *وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ *رِزْقًا لِلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ *﴾ [ق: 9 ـ 11] ﴿وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا﴾: يراد به الأرض التي كانت هامدةً، فلمّا نزلَ عليها الماءُ اهتزّت وربت، وأنبتت من كل زوجٍ بهيجٍ من أزاهير وغير ذلك، مما يحارُ الطرفُ في حُسنها، وذلك بعدما كانت لا نباتَ بها، فأصبحتْ تهتزُّ خضراً، فهذا مثالٌ للبعث بعد الموت والهلاك، كذلك يحيي الله الموتى، وهذا المشاهد من عظيم قدرته بالحسِّ أعظمُ مما أنكره الجاحدون للبعث[(282)].

فجعل الله سبحانه، إحياءَ الأرض بعدَ موتها نظيرَ إحياءِ الأموات، وإخراجَ النبات منها نظيرَ إخراجهم من القبور، ودلّ بالنظير على نظيره، وجعلَ ذلك آية ودليلاً على خمسة مطالب :

المطلب الأول: وجودِ الصانع، وأنّه الحقُّ المبين، وذلك يستلزِمُ إثبات صفات كماله وقدرته، وحياته وعلمه، وحكمته ورحمته، وأفعاله .

المطلب الثاني: أنه يحيي الموتى .

المطلب الثالث: عموم قدرته على كل شيء .

المطلب الرابع: إتيان الساعة، وأنها لا ريبَ فيها .

المطلب الخامس: أنه يخرِجُ الموتى من القبور، كما أخرجَ النباتَ من الأرض[(283)] .

خامساً . الاستدلال على البعثِ والإعادةِ بإخرجِ النارِ من الشجرِ الأخضرِ:

الشجرُ إذا قُطِعَ وأصبحَ حطباً يكونُ ميتاً، وليس فيه أثرٌ للحياة، فإذا أُوقدتْ به النارُ دبّت فيه حركة واضطراب، وهذه اثارُ الحياةِ، فَمَن قَدَرَ على هذا قدَرَ على إحياء الموتى .

وقد ذكر الله تعالى هذا الدليلَ في موضعين من كتابه سبحانه: قال تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ *أَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِؤُونَ *﴾ [الواقعة: 71 . 72] وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ*﴾ [يس: 77 . 82]

فردّ بهذه الآيات على مَنْ أنكرَ البعث بثلاثةِ أدلةٍ عقلية :

الدليل الأول: الاستدلال بالنشأة الأولى على النشأة الآخرى، قال تعالى: ﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ *﴾ [يس: 79] .

الدليل الثاني: الاستدلال بإخراج النار من الشجر الأخضر، مع أنّه أكثر بالضدية، لأنّ الشجرَ إنّما يكونُ أخضرَ إذا كان مليئاً بالماء، فمن قدرَ على إخراجِ النارِ من هذا الشجر الميّت المليء بالماء قادِرُ على إحياء الأموات من قبورهم، قال تعالى: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ *﴾ [يس: 80] .

الدليل الثالث: الاستدلال بخلق السماوات والأرض على خلق الإنسان، قال تعالى: ﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَى وَهُوَ الْخَلاَّقُ الْعَلِيمُ *إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ *﴾ [يس: 81 – 82] .

سادساً ـ الاستدلال على البعث بأن حكمة الله وعدله يقتضيان البعث والجزاء:

فإن الله تعالى لم يخلقِ الناسَ عبثاً، ولن يتركهم سدًى :

1 ـ قال تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لاَ تُرْجَعُونَ *فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ *﴾ **[المؤمنون: 115 ـ 116]** .

2 ـ وقال تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ الإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدىً *﴾ **[القيامة: 36]** فهل يظنُّ عاقِلٌ أنْ يتركَ الإنسانُ في هذه الدنيا لا يؤمر ولا يُنهى ويترك في قبره سدًى دونَ أن يبعث ؟ إنّ ذلك لا يليقُ بحكمة الله، فكلُّ شيء يصدر عنه سبحانه له حكمة تقتضيه[(284)] .

إننا نشاهد في حياتنا ظالمين ظلوا ظالمين حتّى لحظة الموت، ولم يأخذْ على أيديهم أحدٌ، ومظلومين ظلّوا مظلومين إلى اخرِ حياتهم، لم ينصفْهم أحدٌ، أفإنْ كانت الحياةُ هي نهايةَ المطاف، أيكونُ هذا عدلاً وحكمةً ؟ وأينَ هي الحكمةُ في خلق حياةٍ تجري أحداثُها على غير مقتضى العدل، ثم تنتهي دونَ حسابٍ؟

لذا يأتي التأكيدُ في القرآن على أنَّ البعثَ ضرورةٌ يقتضيها عدلُ اللهِ وحكمته في مواضعَ عديدةٍ من القرآن منها[(285)] :

3 ـ قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ *﴾ [الجاثية: 21] .

4 ـ وقوله تعالى: ﴿أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ *﴾ [ص: 28] .

5 ـ قال تعالى: ﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ *مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ *﴾ [القلم: 35 ـ 36] .

6 ـ قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلاً ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ *﴾ [ص: 27] .

سابعاً ـ إخبار العليم الخبير بوقوع القيامة :

أعظمُ الأدلّةِ على وقوع المعاد إخبارُ الحقِّ تبارك وتعالى بذلك، فَمَنْ امنَ باللّهِ، وصدّقَ برسولِه (ﷺ) الذي أرسلَ، وكتابِه الذي أنزل، فلا مناصَ له من الإيمانِ بما أخبرنا به من البعث والنشور، والجزاء والحساب، والجنة والنار، وقد نوَّعَ تبارك وتعالى أساليبَ الإخبارِ، ليكونَ أوقعَ في النفوس، واكد في القلوب.

1 . ففي بعض المواضع يخبرنا بوقوع ذلك اليوم إخباراً مؤكداً (بأنّ) أو (بإنّ واللام) كقوله تعالى: ﴿إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا﴾ **[طه: 15]** وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآَتِيَةٌ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ *﴾ **[الحجر: 85]** .

2 . وفي مواضع أخرى يقسمُ الله تعالى على وقوعه ومجيئه، كقوله تعالى: ﴿اللَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لاَ رَيْبَ فِيهِ﴾ **[النساء: 87]** ويقسمُ على تحقق ذلك بما شاء من مخلوقاته، كقوله تعالى: ﴿وَالطُّورِ *وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ *فِي رَقٍّ مَنْشُورٍ *وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ *وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ *وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ *إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ *مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ *﴾ **[الطور: 1 . 8]** .

3 . وفي بعض المواضع يأمرُ رسولَه (ﷺ) بالإقسام على وقوع البعث وتحققه: وذلك في معرض الردّ على المكذّبين به، المنكرين له، كقوله تعالى: ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ﴾ **[التغابن: 7]** .

4 . وفي مواضع أخرى يذمُّ المكذّبين بالمعاد: كقوله تعالى: ﴿خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ *﴾ **[يونس: 45]** .

5 . وأحياناً يمدح المؤمنين بالمعاد: قال تعالى: ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُولُو الأَلْبَابِ * رَبَّنَا لاَ تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ

إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ *رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لاَ رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ لاَ يُخْلِفُ الْمِيعَادَ *﴾ [آل عمران: 7 . 9] .

6 . وأحياناً يخبر أنه وَعْدٌ صادق، وخبرٌ لازمٌ . وأجلٌ لا شكَّ فيه: قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآَيَةً لِمَنْ خَافَ عَذَابَ الآخرة ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ *وَمَا نُؤَخِّرُهُ إِلاَّ لأَِجَلٍ مَعْدُودٍ *﴾ [هود: 103 . 104] .

7 . وفي بعض الأحيان يخبر عن مجيئه واقترابه: قال تعالى: ﴿أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلاَ تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ *﴾ [النحل: 1] [(286)].

8 . وفي مواضع أخرى يمدح نفسه تبارك وتعالى بإعادة الخلق بعد موتهم: ويذم الالهة التي يعبدها المشركون بعدم قدرتها على الخلق، كقوله تعالى: ﴿أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ﴾ [النمل: 64] .

9 . وبين في مواضع أخرى أن هذا الخلق وذاك البعث الذي يعجزُ العباد ويذلّهم سهل يسير عليه: قال تعالى: ﴿مَا خَلْقُكُمْ وَلاَ بَعْثُكُمْ إِلاَّ كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ [لقمان: 28] وقال تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ الإِنْسَانُ أَلَّنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ*﴾ [القيامة: 3 . 4] [(287)].

ثامناً ـ قياس البعث على النوم:

فالنومُ أخو الموتِ، بل هو موتةٌ صغرى، فالله تعالى يتوفّى الأنفسَ بالموت وبالنوم، فالقادر على إرجاع نفسِ النائم له بعد قبضها، قادِرٌ على إرجاع نفس الميت له بعد قبضها، قال تعالى: ﴿مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمّىً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ*﴾ [الزمر: 42] .

وعن حذيفة رضي الله عنه قال: كان النبيُّ (ﷺ) إذا أخذَ مضجعَه من الليل وضعَ يدَه تحت خَدِّهِ ثم يقول: « اللهمَّ باسمِكَ أموتُ وأحيا »، وإذا استيقظَ قال: « الحمدُ للهِ الذي أحيانا بعدَما أماتنا وإليه النشورُ »[(288)] .

وعن جابر بن عبد الله قيل: يا رسول الله أينامُ أهل الجنة ؟ قال: « لا، النومُ أخو الموتِ، والجنّةُ لا موتَ فيها »[(289)] .

تاسعاً ـ الفطرة تدل على البعث:

فطر الله تعالى الأنبياءَ على الإحساسِ بوجودِ عالمٍ اخر بعد الموت، وهذا من أقوى الأدلّةِ على وجود اليوم الآخر، لأنَّ الله تعالى إذا أرادَ أن يُقْنِعَ بني الإنسان بأمرٍ ما، فإنّه يغرسُ فكرةَ الاقتناع به في فطرِهم، ولذا فإنَّ الإنسانَ

يشتاق إلى حياةٍ خالدةٍ، ولو في عالم غير هذا العالم، وهذا الإحساسُ شائعٌ في نفوس البشر، بحيث لا يمكِنُ النظرُ إليه باستخفاف، ولذلك جاءت الأديانُ السماويةُ مبشرةً بحياة أخرى بعد الموت، وجعلت مصيرَ كلِّ إنسانٍ مرتهناً بما قدّمت يداه في الدنيا، وهذا مما يكسب زيادةَ إيمانٍ بربه، وبما جاءت به الرسل، فيقدّمُ الأعمالَ الصالحةَ استعداداً بها ليوم الميعاد[(290)] .

عاشراً . أسماء يوم القيامة:

وقد جاء الحديثُ عن يوم القيامة في القرآن الكريم مفصّلاً، وسمي بأسماء كثيرة، وهذا يدلُّ على تعظيم الشيء، كما هي العادةُ عند العرب، فقد كانوا إذا عظّموا شيئاً أكثروا له من السماء، ومن الأسماء التي ذُكِرَتْ في القرآن ليوم القيامة: اليوم الآخر، ويوم الازِفَة، ويوم البعث، ويوم التغابُن، ويوم التلاقي، ويوم التنادي، ويوم الجَمْع، والحاقّة، ويوم الحساب . ويوم الحسرة، واليوم الحقّ، ويوم الخروج، ويوم الدين، والساعة، والصاخة، والطامة الكبرى، والغاشية، والفزع الأكبر، ويوم الفصل، والقارعة، والمعاد، واليوم الموعود، والواقعة، والوعد الحق، ويوم الوعيد، والوقت المعلوم[(291)] .

وأمّا عن صفاتِ يوم القيامة، فقد وُصِفَ بأنّه عظيمٌ، ويوم عقيمٌ، ويومٌ عسيرٌ، ويومٌ ثقيلٌ، ويومٌ كبيرٌ، ويومٌ محيطٌ[(292)] .

المبحث الثاني: تعريف الحشر وأهوال يوم القيامة، وأحوال الناس

أولاً ـ الحشر :

أ ـ تعريف الحشر:

جمع الخلائق يوم القيام لحسابهم والقضاء بينهم .

1 ـ قال تعالى: ﴿وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَى رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلاَ شَفِيعٌ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ *﴾ [الأنعام: 51] .

2 ـ وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَنْ لَمْ يَلْبَثُوا إِلاَّ سَاعَةً مِنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ *﴾ [يونس: 45] .

3 ـ وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا *﴾ [الكهف: 47] .

4 ـ وقال تعالى: ﴿يَوْمَ تَشَقَّقُ الأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ *﴾ [ق: 44] .

5 ـ وقال تعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَآبَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلاَّ أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ *﴾ [الأنعام: 38].

6 ـ وقال تعالى: ﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ *﴾ [التكوير: 5] .

ب ـ مكان الحشر (أرض الحشر):

دلَّ الكتاب والسنة على أنّ أرضَ المحشر هي أرض الشام قال تعالى : ﴿الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الأَبْصَارِ *﴾ [الحشر: 2] .

وعن سمرة بن جندب أنَّ رسول الله (ﷺ) كان يقول « إنَّكم تحشرونَ إلى بيتِ المقدسِ، ثم تجتمعون يومَ القيامةِ »[(293)] .

ج ـ صفة الناس في الحشر:

1 ـ يحشر الناس حفاة عراة غرلاً: حفاةً غير متنعلين، عراةً غير لابسين، غرلاً غير مختونين، فكما أنّ الإنسانَ يولد حافياً عارياً أغرلاً فكذلك يبعث .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي (ﷺ) قال: «أيها الناسُ ؛ إنّكم تُحْشَرُوْنَ إلى الله حفاةً عراةً غرلاً، ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ *﴾ [الأنبياء: 104] ألا وإنّ أوَّل الخلائقِ يُكْسَى يومَ القيامة إبراهيمُ عليه السلام، ألا وإنَّه سَيُجَاءُ برجالٍ من أمتي، فيؤخَذُ بهم ذاتَ الشمالِ

فأقول: يا ربِّ أصحابي، فيُقَالُ: إنَّكَ لا تدري ما أحدثوا بَعْدَكَ، فأقولُ كما قالَ العَبْدُ الصَّالحُ: ﴿وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ * إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ *﴾ **[المائدة: 117 . 118]** قال: فيُقالُ لي: إنَّهم لم يزالوا مرتدينَ على أعقابهم منذُ فارقتَهُم»[(294)] .

وعن عائشة رضي الله عنها أنّ رسول الله (ﷺ) قال: « يُبْعَثُ الناسُ يومَ القيامةِ حُفاةً عُراةً، غُرْلاً »، فقالت عائشة: فكيف بالعوراتِ، قال: « لكلِّ امرىءٍ يومئذٍ شأنٌ يغنيه »[(295)] .

2 . **الوجوه**: قال تعالى: ﴿وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا *﴾ **[طه: 111]** أي ذلت وخضعت[(296)] .

3 . **الأبصار**: قال تعالى: ﴿خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ *﴾ **[القمر: 7]** وقال تعالى: ﴿فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ *﴾ **[القيامة: 7]** أي اضطربت وجالت العينُ من الخوفِ[(297)] .

4 . **أحوال الناس عموماً**: يعرضون صفّاً أمام الله تعالى، قال تعالى: ﴿وَعُرِضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفًّا لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا *﴾ **[الكهف: 48]** .

ولا يتكلمون، قال تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لاَ عِوَجَ لَهُ وَخَشَعَتِ الأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَانِ فَلاَ تَسْمَعُ إِلاَّ هَمْسًا *﴾ [طه: 108] وقال تعالى: ﴿هَذَا يَوْمُ لاَ يَنْطِقُونَ *وَلاَ يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ *﴾ [المرسلات: 35 ـ 36] .

وأحياناً يتكلمون، قال تعالى: ﴿يَقُولُ الإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ *﴾ [القيامة: 10] يدلُّ على أنّهم يتكلمون، فكيف يتكلّمون ولا يتكلمون ؟

الجواب: هذا بحسب اختلاف الأوضاع، فيومُ القيامة يومٌ طويلٌ، وفي موقفٍ يتكلّمون، وفي موقف يصمتون، والله تعالى يقول: ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلاَئِكَةُ صَفًّا لاَ يَتَكَلَّمُونَ إِلاَّ مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَانُ وَقَالَ صَوَابًا *﴾ [النبأ: 38] . فإثباتُ الكلام من الخلق يوم القيامة تبعٌ لإذن الله لهم، ونفيُه في الحالةِ التي لم يؤذَنْ فيها[(298)] .

5 ـ ذهول الناس وخوفهم وهلعهم:

قال تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ *يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ *﴾ [الحج: 1 ـ 2]

فإن كانت الأمُّ المرضعةُ ـ وهي أحرص ما يكون على ولدها ـ تذهلُ عنه، فغيرها من بابٍ أولى، وإن كان الطفلُ الصغيرُ الذي لم يذنب بعدُ يخاف حتى يشيبَ عارضاه فما بالك بغيره من الناس[(299)] .

6 . تُنسى الأنسابُ، فكلُّ إنسانٍ مشغولٌ بنفسه لأنه يأتي وحيداً:

قال تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلاَ أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلاَ يَتَسَاءَلُونَ *﴾ **[المؤمنون: 101]** قال تعالى: ﴿إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ إِلاَّ آتِي الرَّحْمَانِ عَبْدًا *لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا *وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا *﴾ **[مريم: 93 . 95]** وقال تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمًا لاَ يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلاَ مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلاَ تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلاَ يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ *﴾ **[لقمان: 33]** .

7 . يجثون على الرُّكبِ، قال تعالى: ﴿وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ﴾ **[الجاثية: 28]** .

8 . يعرضون على الله لا يخفى منهم شيء: قال تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لاَ تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ *﴾ **[الحاقة: 18]** وغير ذلك من أحوال الناس[(300)] .

ثانياً: أهوال يوم القيامة :

يحدّثنا القرآن عن أهوالِ ذلك اليوم التي تَشْدَه الناسَ، وتشدُّ أبصارَهم، وتملِكُ عليهم نفوسَهم، وتزلزل قلوبَهم .

ومن أعظم تلك الأهوال ذلك الدمارُ الكونيُّ الشاملُ الرهيبُ الذي يصيبُ الأرضَ وجبالها، والسماءَ ونجومَها، وشمسَها وقمرَها[(301)]، ومن أهوال ذلك اليوم :

1 . دكُّ الأرضِ ونسفُ الجبال:

قال تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ *وَحُمِلَتِ الأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً *فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ *﴾ [الحاقة: 13 . 15] وقال تعالى: ﴿كَلاَّ إِذَا دُكَّتِ الأَرْضُ دَكًّا دَكًّا *﴾ [الفجر: 21] وعند ذلك تتحوّلُ هذه الجبال الصلبة القاسية إلى رمل ناعم، كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَهِيلاً *﴾ [المزمل: 14] أي تُصْبِحُ ككثبان الرمل بعد أن كانت حجارةً صماءَ، والرمل المهيل: هو الذي إذا أخذتَ منه شيئاً تبعك ما بعده، يقال: أهلتُ الرمل أهيله هيلاً، إذا حركت أسفله انهال من أعلاه .

وأخبر في موضع اخر أنّ الجبال تصبحُ العهن، والعهنُ هو الصوف، كما قال تعالى: ﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ *﴾ [المعارج: 9] وفي نصٍّ اخر مثلها بالصوف المنفوش: ﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ *﴾ [القارعة: 5] .

ثم إنّ الحقَّ تبارك وتعالى يزيلُ هذه الجبال عن مواضعها، ويسوّي الأرضَ حتى لا يكونَ فيها موضعٌ مرتفعٌ ولا منخفضٌ، وعبّر القرآن عن إزالةِ الجبال بتسييرها مرة، وبنسفها مرة أخرى، قال تعالى: ﴿وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ *﴾

[التكوير: 3] ﴿وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا *﴾ [النبأ: 20] وقال في نسفه لها: ﴿وَإِذَا الْجِبَالُ نُسِفَتْ *﴾ [المرسلات: 10] .

ثم بين الحقُّ حال الأرض بعد تسيير الجبال ونسفها قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى﴾ [الكهف: 47]، أي ظاهرةً لارتفاع فيها ولا انخفاض[(302)]، كما قال تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا *فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا *لاَ تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلاَ أَمْتًا *﴾ [طه: 105 . 107] .

2 . قبضُ الأرض وطيُّ السماءِ:

قال تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ *﴾ [الزمر: 67] وقال تعالى: ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ *﴾ [الأنبياء: 104] وقال رسول الله (ﷺ): «يقبِضُ اللهُ الأرضَ يومَ القيامةِ، ويطوي السماءَ بيمينه، ثم يقول: أنا المِلِكُ أينَ ملوكُ الأرض ؟!»[(303)].

ومعنى الكلام أي على الكتاب بمعنى المكتوب.

3 . تفجير البحار وتسجيرها:

قال تعالى: ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ *﴾ [الانفطار: 3]

فُجّرت: فجر الله بعضها في بعض، وقيل: ذهبَ ماؤها، وقيل: اختلطَ عذبُها بمالحها، وقال تعالى: ﴿وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ *﴾ [الطور: 6] وقال تعالى: ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ *﴾ [التكوير: 6] أوقدت، فصارت ناراً تضطرِمُ، وقيل يَبِسَتْ[(305)] . والمعنى المتحصّل من أقوالهم أنّها يفجِّرُ بعضُها في بعضٍ، فتمتلىءُ، ثم تسجَّرَ، فتصبحُ ناراً، ثم يَذْهَبُ ماؤها[(306)] .

4 . موران السماء وانفطارها:

قال تعالى: ﴿فَإِذَا انْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ *﴾ [الرحمن: 37] فهي في أشدِّ ما تكونُ من الوهن، وقال تعالى: ﴿وَانْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ *﴾ [الحاقة: 16] وذلك أنها تضطربُ اضطراباً مَهُولاً، وقال تعالى: ﴿يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ﴾ [الطور: 9] تتحرّك تحريكاً هو تشقُّقها، تدور دوراً، وقيل استدارتها وتحرُّكها لأمر الله، وموجُ بعضها في بعض، ثم إنَّها تتشقَّق وتنفطِرُ وتنفرجُ، قال تعالى: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ *وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ *﴾ [الانشقاق: 1–2] وقال تعالى: ﴿فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا *السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولاً *﴾ [المزمل: 17–18] وقال تعالى: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ*﴾ [الانفطار: 1] وقال تعالى: ﴿وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ *﴾ [المرسلات: 9] وقال تعالى: ﴿فَإِذَا انْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ *﴾ [الرحمن: 37] يعني الدهان، فشبّه السماءَ في تلوُّنها بالدُّهن في اختلافِ ألوانه،

وهو كقوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ *﴾ [المعارج: 8] وهو دَرْدِيُّ الزيت[(307)].

5. تكويرُ الشمس:

قال تعالى: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ *وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ*﴾ [التكوير: 1 . 2]

قال ابنُ جريرٍ: والصوابُ عندنا من القولِ في ذلكَ أنّ التكويرَ جمعُ الشيءِ بعضُه على بعضٍ، ومنه تكوير العمامة، وجمع الثيابُ بعضُها على بعض، فمعنى قوله تعالى: جُمِعَ بعضُها إلى ﴿كُوِّرَتْ *﴾، ثم لُفَّت فرُميَ بها، وإذا فُعِلَ بها ذلك ذهبَ ضوؤها[(308)].

6. خسف القمر:

قال تعالى: ﴿وَخَسَفَ الْقَمَرُ *وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ *﴾ [القيامة: 8 . 9]

خسف: أظلمَ وذهبَ نوره وضوؤه[(309)]، وقوله تعالى: ﴿بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ*﴾ [القيامة: 9] فسّره النبيُّ (ﷺ) كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبيّ (ﷺ) قال: الشمسُ والقمرُ مكوّران يومَ القيامةِ، يعني مجموعان مظلمان[(310)].

7. تناثر النجوم:

والنجوم والكواكب ينفرط عقدُها فتنتثر، ويذهب ضوءُها فتطمسَ، قال تعالى: ﴿وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ *﴾ [التكوير: 2] يعني انتثرت[(311)]، وانفرطَ عِقْدُها، وتساقطت على أهل الأرض، وهو كقوله تعالى: ﴿وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَثَرَتْ *﴾ [الانفطار: 2] وقال تعالى: ﴿فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ *﴾ [المرسلات: 8] يعني ذهبَ ضووؤها[(312)] .

8. بديلُ الأرضِ:

تبدَّلُ هذه الأرض، وتتغيَّرُ صفاتُها، ويكونُ عليها الحشرُ الأول، ثم تذهبُ هذه الأرضُ تماماً يوم يُحشَرُ الناسُ لمكانِ الحسابِ أمام الجسر، قال تعالى: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ *﴾ [إبراهيم: 48] وجاء في (الصحيحين) عن سهل بن سعد قال: قال رسول الله (ﷺ): « يُحْشَرُ الناسُ يومَ القيامةِ على أرضٍ بيضاءَ عفراءَ[(313)] كقُرصة النقي[(314)]، ليس فيه معلمٌ لأحدٍ»[(315)] .

ثم بعد ذلك تنتقل الخلائق إلى أرض الحساب، عن عائشة رضي الله عنها قالتْ: سألتُ رسولَ اللهِ (ﷺ) عن قوله عزّ وجل: فأين يكونُ الناسُ يومئذٍ

﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ﴾ رسول الله؟ فقال: « على الصراط »[(316)] .

وعن ثوبان مولى رسول الله (ﷺ) قال: كنتُ قائماً عندَ رسولِ اللهِ (ﷺ) فجاءَ حَبْرٌ من أحبارِ اليهودِ فقال: السلامُ عليكم يا محمَّد، فدفعتُه دفعةً كادَ يصرعُ منها، فقال: لم تدفعُني ؟ فقلت: ألا تقول يا رسولَ اللهِ ؟ فقال اليهوديُّ: إنّما ندعوه باسمه الذي سمّاه به أهلهُ، فقال رسول الله (ﷺ): « إنَّ اسمي محمَّدٌ الذي سمّاني به أهلي » فقال اليهوديُّ: جئتُ أسألكَ، فقال له رسول الله (ﷺ): « أينفعُكَ شيءٌ إنْ حدَّثْتُكَ؟ » قال: أسمع بأذني، فنكتَ رسولُ الله (ﷺ) بعودٍ معه فقال: « سل » . فقال اليهوديُّ: أين يكون الناسُ ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ﴾ ؟ فقال رسول الله(ﷺ): « هُمْ في الظُّلْمَةِ دونَ الجِسْرِ ... »[(317)] .

وبهذا يتّضحُ أن تبديلَ الصفات في الحشر الأول إلى أرض المحشر عندما تُنْسَفُ الجبالُ والمرتفعاتُ، وتسوّى الأرضُ، فلا يبقى في تلك الأرض معلمُ لأحدٍ، وأما ذهابُ الأرضِ بالكلية ففي الحشر الثاني إلى أرضِ الحساب قبل جسر جهنم، والله تعالى أعلم[(318)] .

9 . سجودُ الخلائق لله سبحانه عند إتيانه للفصل بين العالمين ونزول الملائكة:

بعد بعثِ الناسِ من قبورِهم، وحشرِهم لأرضِ المحشرِ، وحصولِ أهوالِ يوم القيامةِ، وتبديلِ هذه الأرض، وحشرِ الناسِ لأرضِ الحسابِ عند الجسرِ، تنزلُ الملائكةُ صفوفاً، قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ وَنُزِّلَ الْمَلاَئِكَةُ تَنْزِيلاً *﴾ [الفرقان: 25] .

وقال تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلاَئِكَةُ صَفًّا لاَ يَتَكَلَّمُونَ إِلاَّ مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَانُ وَقَالَ صَوَابًا *ذَلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ مَآبًا *﴾ [النبأ: 38 . 39] والمقصود بالروح جبريل عليه السلام .

وقال تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلاَّ أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلاَئِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ *﴾ [النحل: 33] ومن هذه الملائكةِ هنالك ثمانيةُ أملاكٍ تحملُ عرشَ الرحمنِ سبحانه وتعالى: ﴿وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ *﴾ [الحاقة: 17] .

ويأتي رب العزة للفصل بين العباد ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا *﴾ [الفجر: 22] أي والحالُ أنَّ الملائكةَ صفوفاً[(319)]، وقال سبحانه: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلاَّ أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلاَئِكَةُ وقُضِيَ الأَمْرُ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الأُمُورُ *﴾ [البقرة: 210] وقال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى رَبِّهِمْ قَالَ

﴿أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَى وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ *﴾ [الأنعام: 30] .

وعندئذٍ تشرقُ الأرضُ بنور ربها، ويُؤتى بصحفِ الأعمال وبالشهود، ويبدأُ الحساب[(320)]، قال تعالى: ﴿وَأَشْرَقَتِ الأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ *وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ *﴾ [الزمر: 69 ـ 70] .

ثالثاً ـ أحوال الكفار يوم القيامة :

تختلِفُ أحوال الناسِ في ذلك اليوم اختلافاً بيناً، وسنتحدّث بإذن الله تعالى عن الكفّار وغيرهم، فالذي يتأمل في نصوص الكتاب والسنة التي تحدِّثنا عن مشاهد القيامة، يرى الأهوالَ العِظام، والمصائب الكبار، التي تنزل بالكفرة المجرمين في ذلك اليوم العظيم .

فمن تلك الأحوال :

1 ـ ذلتهم وهوانهم وحسرتهم ويأسهم:

فمن هذه الآيات قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ﴾ [يونس: 27] .

وقوله تعالى: ﴿وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنْتُمْ لاَ تَشْعُرُونَ *أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَاحَسْرَتَى عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ *أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ *أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ *بَلَى قَدْ جَاءَتْكَ آيَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ *﴾ [الزمر: 55 . 59] .

وقال تعالى: ﴿وَلاَ يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا *يُبَصَّرُونَهُمْ يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ *وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ *وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ *وَمَنْ فِي الأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ *﴾ [المعارج: 10 . 14] .

2 . اسودادُ وجوههم وتغيُّرُها[(321)]:

قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ *﴾ [آل عمران: 106]

وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُمْ مُسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْمُتَكَبِّرِينَ *﴾ [الزمر: 60] .

3 . إحباط أعمال الكفار[(322)]:

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ *﴾ [النور: 39] وقال تعالى: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا*﴾ [الفرقان: 23] وقال تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيْحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لاَ يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ الضَّلاَلُ الْبَعِيدُ *﴾ [إبراهيم: 18] .

4 . فضيحتهم أمام الخلائق:

قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أُولَئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الأَشْهَادُ هَؤُلاَءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلاَ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ *﴾ [هود: 18] .

5 . تخاصمُ الكفرةِ في الموقف:

قال تعالى: ﴿الأَخِلاَّءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلاَّ الْمُتَّقِينَ *﴾ [الزخرف: 67] .

ومن صور هذا التخاصم :

أ . تخاصم العابدين والمعبودين:

في ذلك اليوم الرهيب يجمعُ اللهُ المشركين، ثم يأمرُهم أن ينادوا شركاءَهم، فينكروا أن يكونَ لهم شركاءُ[(323)]، قال تعالى: ﴿كَانُوا يَدْعُونَ مِنْ قَبْلُ وَظَنُّوا مَا لَهُمْ مِنْ مَحِيصٍ *﴾ [فصلت: 47 . 48] وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَقُولُ أَأَنْتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلاَءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ *قَالُوا سُبْحَانَكَ مَا كَانَ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنْ مَتَّعْتَهُمْ وَآبَاءَهُمْ حَتَّى نَسُوا الذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا *فَقَدْ كَذَّبُوكُمْ بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلاَ نَصْرًا وَمَنْ يَظْلِمْ مِنْكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا *﴾ [الفرقان:17 . 19] .

ب . تخاصم الأتباع مع القادة المضلين:

قال تعالى: ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ *قَالُوا إِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ *قَالُوا بَلْ لَمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ *وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بَلْ كُنْتُمْ قَوْمًا طَاغِينَ *فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا إِنَّا لَذَائِقُونَ *فَأَغْوَيْنَاكُمْ إِنَّا كُنَّا غَاوِينَ *﴾ [الصافات: 27 . 32] .

ج . تخاصم الضعفاء مع السادة والملوك:

قال تعالى: ﴿وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ قَالُوا لَوْ هَدَانَا اللَّهُ لَهَدَيْنَاكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَحِيصٍ *﴾ [إبراهيم: 21] .

د . تخاصم الكافر وقرينه:

قال تعالى: ﴿قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ وَلَكِنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ *قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ *﴾ [ق: 27 . 28] هو الشيطان الذي وُكِّلَ به أي يقولُ عن الإنسانِ الذي قد وافَى القيامة كافراً يتبرأ منه شيطانه ﴿قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ﴾: أي بل كان هو في نفسِه ﴿رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ﴾، قابلاً للباطل، معانداً للحق[(324)] .

فإذا سمع الكافِرُ هذا من قرينه تحسَّرَ وتندّم، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَانِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَاناً فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ *وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ *حَتَّى إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَالَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ *﴾ [الزخرف: 36 . 38][(325)] .

هـ – تخاصم المرء مع أعضاءه:

ويبلغُ الأمرُ أشدَّهُ، والمخاصمةُ ذروتَها ، عندما يخاصِمُ المرءُ أعضاءَه، قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ *حَتَّى إِذَا مَا جَاءُوهَا

شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ *﴾

[فصلت: 19-22] .

6 . مقتهم لأنفسهم:

والمقتُ أشدُّ البغضِ، فتصل كراهيتهم لأنفسهم في ذلك اليوم أقصاها، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ *﴾ [غافر: 10] .

7 . صفة حشر الكفّار إلى النار:

أ . حشرهم وهم عطاش:

قال تعالى: ﴿وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وِرْدًا *﴾ [مريم: 86] يعني عطاشاً، تكادُ تنقطِعُ رقابهم من العطش، وفي قوله: إشعارُ ﴿وَنَسُوقُ﴾، كأنّهم نَعَمٌ عطاشٌ تساقُ إلى الماءِ[(326)] .

ب . حشرهم عمياً صماً بكماً:

قال تعالى: ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا *﴾ [الإسراء: 97] وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى *قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا *﴾ [طه: 124 . 125] .

ج ـ يحشرون إلى جهنم على وجوههم:

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَى وُجُوهِهِمْ إِلَى جَهَنَّمَ أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَاناً وَأَضَلُّ سَبِيلاً *﴾ [الفرقان: 34] .

د ـ حشرهم مع شياطينهم وهم جاثون على الركب:

قال تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا *﴾ [مريم: 68] قال القرطبي: أي ولنحشرنَّ الشياطين قرناءهم، قيل: يحشر كلُّ كافرٍ مع شيطانٍ في سلسلةٍ، كما قال تعالى: ﴿احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ *﴾ [الصافات: 22] والواو في ﴿وَالشَّيَاطِينَ﴾ يجوز أن تكونَ للعطف، وبمعنى (مع) وهي بمعنى (مع) أوقع، والمعنى أنّهم يحشرون مع قرناءهم من الشياطين الذين أغوَوْهم، يقِرنون كلَّ كافرٍ مع شيطانٍ في سلسلةٍ[(327)] .

وهذا الجثيُّ مصاحِبٌ لهم في كل حال، ففي الموقف يومَ يُحْشَرُ الناسُ إلى أرض الحساب تجثو كلُّ الأمم، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ الْمُبْطِلُونَ *وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ *﴾ [الجاثية: 27 ـ 28]. وفي النار

كذلك، قال تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا *ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا *﴾ [مريم: 71 . 72] .

رابعاً . أحوال عصاة الموحدين :

وهم المؤمنون الذي خلطوا عملاً صالحاً واخر سيئاً، فأتوا بشعائر الإسلام وأركانه، ولكنّهم وقعوا ببعض المعاصي .

وقد ذكر الله تعالى عذاب أولئك العصاة، وجاء ذكرُ بعضِهم على لسانِ رسولِ اللهِ (ﷺ): من ذلك

1 . الذين لا يؤدون الزكاة:

الزكاةُ من فروضِ الإسلام الكبرى، وهي حقُّ المال، فمن لم يؤدِّ زكاته، عُذِّب بها في ذلك اليوم العظيم، وقد أخبرتِ النصوصُ أنَّ عذابهم على وجهين :

الوجه الأول: يمثَّلُ لصاحبِ المال مالُه ثعباناً أقرعَ له زبيبتانِ، فيطوّقُ عنقه، ويأخذُ بلهزمتي صاحبه، قال تعالى: ﴿وَلاَ يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ *﴾ [آل عمران: 180] وهذا الطوقُ عبارةٌ عن ثعبانٍ في رقابهم، كما فسّرها بذلك النبيُّ (ﷺ)، فقد قال:

« مَنْ اتاهُ اللهُ مالاً، فلم يؤدِّ زكاتَهُ مُثِّلَ له مالُه يومَ القيامةِ شجاعاً أقرعَ، له زبيبتانِ، يطوِّقه يومَ القيامةِ، ثم يأخذُ بِلِهْزِمَتَيْهِ (يعني شدقيه) ثم يقولُ: أنا مالُك، أنا كنْزُكَ، ثم تلا ﴿وَلاَ يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ﴾»[(328)] .

الوجه الثاني: إن كان المِمْتَنَعُ عن تأديةِ زكاته ذهباً أو فضةً، فإنَّها تصفَّحُ صفائحَ، ثم تكوَى بها جباهُهم وجنوبُهم وظهورُهم، فيحيطُ به الألمُ مِنْ كلِّ مكانٍ، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلاَ يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ * يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ *﴾ [التوبة: 34 . 35] وقد فسّر رسولُ الله (ﷺ) هذه الآية، فعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسولُ اللهِ (ﷺ): « ما مِنْ صاحبِ ذهبٍ ولا فِضَّةٍ لا يؤدي مِنْها حَقَّها إلا إذا كان يومُ القيامةِ صُفِّحَتْ له صفائحَ من نارٍ، فأُحمي عليها في نارِ جهنَّم، فيُكوَى بها جنبُه وجبينُه وظهرُه، كلّما بردتْ أُعيدتْ له، في يومٍ كان مقدارُه خمسينَ ألفَ سنةٍ حتى يُقْضَى بينَ العباد، فيرى سبيلَه إمّا إلى جنةٍ وإمّا إلى النارِ »[(329)] .

2 . ذنوبٌ لا يكلِّمُ الله أصحابَها ولا يزكّيهم:

وقد رتب الله تعالى على كثير من الذنوب هذا العقاب فمنها :

أ ـ **كتمان العلم**: قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلاَّ النَّارَ وَلاَ يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلاَ يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ *أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلاَلَةَ بِالْهُدَى وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ *﴾ **[البقرة: 174 ـ 175]** فمن كتم من علماءِ هذه الأمة شيئاً من العلم إرضاءً لحاكمٍ، أو تحقيقاً لمصلحةٍ شخصيةٍ، أو طلباً لعَرضٍ دنيوي، كان مشابهاً لأحبارِ ورهبانِ اليهود والنصارى في كتمهم صفاتِ الرسول (ﷺ)، فكان جزاؤهم هذا الجزاء .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله (ﷺ): « مَنْ سُئِلَ عن علمٍ عَلِمَه ثم كَتَمَهُ أُلْجِمَ يومَ القيامةِ بِلِجَامٍ مِنْ نارٍ »[(330)] .

ب ـ **الاستهانة بعهد الله وميثاقه**: قال تعالى: ﴿يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ *﴾ **[آل عمران: 77]** وهي ليست خاصّةً باليهود، كما توهَّم بعضُهم، وتدلُّ على ذلك أحاديثُ كثيرةٌ[(331)]، فقد قال رسول الله (ﷺ): « ثلاثةٌ لا ينظرُ اللهُ إليهم يومَ القيامةِ، ولا يزكّيهم، ولهم عذابٌ أليمٌ: رجلٌ كانَ له فضلُ ماءٍ بالطريقِ فمنعه ابنَ السبيلِ، ورجلٌ بايعَ إماماً لا يبايعه إلا لدنيا، فإنْ أعطاهُ منها رَضِيَ، وإنْ لم يُعْطاه منها سَخِطَ، ورجلٌ أقامَ سلعته بعدَ العَصْرِ، فقال:

واللهِ الذي لا إله غيرُه لقد أُعطيتُ بها كذا وكذا، فصدّقه رجلٌ، ثم قرأ هذه الآية ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَناً قَلِيلاً﴾ »[(332)] .

3 . الغلول:

هو الأخذُ من الغنيمة على وجهِ الخفيةِ دونَ علمِ أحدٍ، وهو ذنبٌ يخفي تحته شيئاً من الطمع والأثرة، وقد توعّدَ الله تبارك وتعالى الغالَّ بالفضيحةِ يومَ القيامة على رؤوس الأشهاد[(333)] قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ*﴾ **[آل عمران: 161]** . أي يأتي به حاملاً على ظهره ورقبته، معذَّباً بحمله وثقله، ومرعوباً بصوته، وموبَّخاً بإظهارِ خيانته على رؤوس الأشهاد .

وقد فسر الرسول (ﷺ) هذا الإتيان للغلول يوم القيامة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قام فينا النبيُّ (ﷺ)، فذكر الغلولَ، فعظّمه وعظّم أمره قال: « لا ألفينَ أحدَكم يومَ القيامةِ على رقبتِهِ شاةٌ لها ثغاءٌ، على رقبتِهِ فرسٌ له حَمْحَمَةٌ، يقول: يا رسولَ اللهِ أَغِثْني، فأقولُ: لا أملكُ لكَ شيئاً، وقد أبلغتُكَ، وعلى رقبتِهِ بعيرٌ له رُغاءٌ، يقول: يا رسولَ اللهِ أغثني، فأقولُ: لا أَمْلِكُ شيئاً وقد أبلغتُكَ، وعلى رقبتِهِ صامتٌ، فيقول: يا رسولَ اللهِ أغثني، فأقولُ: لا أملكُ لكَ شيئاً قد أبلغتُكَ، أو على رقبتِهِ رقاعٌ تخفقُ فيقول: يا رسولَ اللهِ أغثني، فأقولُ: لا أملكُ لكَ شيئاَ قد أبلغتُكَ »[(334)] .

4 . المتكبرون:

قال رسول الله (ﷺ): « يُحْشَرُ المتكبّرونَ أمثالَ الذَّرِّ يومَ القيامةِ، وفي صورِ الرِّجَالِ، يغشاهُم الذُّلُّ مِنْ كلِّ مكانٍ »[(335)] . والذَّرُّ صغارُ النمل، وصغارُ النمل لا يَعْبَأُ به الناسُ، فيطؤونه بأرجلهم وهم لا يشعرون .

وكما يبغضُ الله المتكبرين يبغض أسماءهم التي كانوا يطلقونها على أنفسهم استكباراً واستعلاءً، تصبحُ هذه الأسماءُ التي كانوا يفرحون عند سماعها أنكرَ الأسماء وأخبثَها، وأغيظَها على الله[(336)] قال رسول الله (ﷺ): « أخنعُ اسمٍ عندَ اللهِ يومَ القيامةِ، رجلٌ تسمّى مَلِكَ الأملاك » وزاد مسلم في رواية: « لا مَالِكَ إلا الله عزّ وجل »[(337)] . قال القاضي عياض: أخنعُ: معناه أذلُّ الأسماءِ صَغَاراً . وقال ابن بطّال: وإذا كان الاسمُ أذلَّ الأسماءِ، كان من تسمّى به أشدَّ ذلاً[(338)] .

5 . الأثرياء المنعّمون:

الذين يركنون إلى الدنيا، ويطمئنون إليها، ويكثرون من التمتع بنعيمها، يضيّق عليهم يوم القيامة، وإنّ أصحاب المال الكثير والمتاع الدنيوي الواسع، يكونون أقلَّ الناس أجراً يوم القيامة، ما لم يكونوا بذلوا أموالهم في سبل الخيرات[(339)]، قال رسول الله (ﷺ): « إنّ المكثرينَ هم المقلّونَ يوم القيامة، إلاّ مَنْ أعطاهُ

اللهُ خيراً، فنفحَ فيهِ بيمينِه وشمالِه، وبينَ يديه ومِنْ ورائه، وعَمِلَ فيه خَيْراً»[(340)] .

6 . فضيحة الغادر:

قال رسول الله (ﷺ): « إذا جمعَ اللهُ الأوّلين والآخرين يومَ القيامةِ، يرفعُ لكلِّ غادرٍ لواءٌ، فقيل: هذه غدرةُ فلانِ بن فلانٍ»[(341)]، وقال رسول الله (ﷺ): « لكلِّ غادرٍ لواءٌ يومَ القيامةِ يُرْفَعُ له بقدر غَدْرِه، ألا ولا غادرَ أعظمُ غَدْراً من أميرِ عامةٍ »[(342)]، وأمير العامة هو الحاكم أو الخليفة، وكانت غدرتُه كذلك، لأنّ ضرره يتعدّى إلى خَلْقٍ كثيرٍ، ولأنَّ الحاكمَ أو الوالي يملِكُ القوّة والسلطانَ فلا حاجةَ به إلى الغَدْرِ[(343)] .

والغادر: الذي يواعِدُ على أمر لا يفي به، واللواء: الرايةُ العظيمةُ لا يمسكها إلا صاحبُ جيشِ الحقِّ، أو صاحب دعوةِ الجيشِ، ويكونُ الناسُ تبعاً له، فالغادر تُرْفَعُ له رايةٌ تُسجّل عليها غدرتُه، فيُفْضَحُ بذلك يوم القيامة، وتجعل هذه الراية عند مؤخرته[(344)] .

7 . غاصب الأرض:

قال النبيُّ (ﷺ): « من أخذَ شيئاً من الأرضُ بغيرِ حَقِّهِ خُسِفَ به يومَ القيامةِ إلى سَبْعِ أرضينَ »[(345)] .

8 . ذو الوجهين:

شَرُّ الناسِ يومَ القيامةِ المتلوِّنُ الذي لا يثبتُ على حالٍ واحدةٍ، وموقفٍ واحدٍ، يأتي هؤلاء بوجهٍ، وهؤلاءِ بوجهٍ[(346)]، قال رسول الله(ﷺ): «تَجِدُوْنَ شَرَّ الناسِ يومَ القيامةِ ذا الوجهينِ، الذي يأتي هؤلاءِ بوجهٍ، وهؤلاءِ بوجهٍ»[(347)] .

9 . الحاكم الذي يحتجِبُ عن رعيته:

قال رسول الله (ﷺ): « مَنْ وَلاّه الله شيئاً من أمورِ المسلمينَ، فاحتجبَ دون حاجتهم وخَلّتِهم وفقرِهم، احتجبَ الله دون حاجتِه وخَلّته وفقرِه يوم القيامةِ »[(348)] .

10 . الذي يسأل وله ما يغنيه:

قال رسول الله (ﷺ): « مَنْ سألَ وله ما يغنيه، جاءت مسألتُه يومَ القيامةِ خُدُوْشاً أو خُمُوْشاً أو كُدَوحاً في وجهه» [(349)] .

11 . من كذب في حُلُمه:

قال رسول الله (ﷺ): « مَنْ تَحَلَّمَ بِحُلُمٍ لم يَرَهُ، كُلِّفَ أن يَعْقِدَ بين شَعِيْرَتَيْنِ، ولن يفعلَ، ومن استمعَ إلى حديثِ قومٍ وَهُمْ له كارهون، صُبَّ في أُذُنهِ الانُكُ

يومَ القيامةِ، ومن صَوّرَ صورةً عُذِّبَ أو كلّف أنْ يَنْفُخَ فيها الروحَ وليس بنافخٍ »[(350)] .

خامساً ـ حالة الأتقياء :

1 ـ لا يخافون ولا يحزنون ولا يفزعون إذا فزع الناس يوم الفزع الأكبر:

قال تعالى: ﴿وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ لاَ يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ*﴾ [الزمر: 61] وقال الله تعالى لهم تطميناً لقلوبهم: ﴿يَاعِبَادِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلاَ أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ *الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ *﴾ [الزخرف: 68 ـ 69] . وقال تبارك وتعالى: ﴿أَلاَ إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ *الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ *لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخرة لاَ تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ *﴾ [يونس: 62 ـ 64] .

أما البشرى في الحياة الدنيا فتُطْلَقُ على أمرين: على تبشير الملائكة للمحتضر بالجنّة . وتقدّم دليلُ هذا . وتطلَقُ على الرؤيا الصالحة[(351)]، فقد قال رسول الله (ﷺ): « لم يَبْقَ من النبوّةِ إلا المبشِّراتُ » قالوا: وما المبشرات ؟ قال: «الرؤيا الصالحة»[(352)] .

وأما البشرى في الآخرة فهي تَلقّي الملائكةِ لهم بالتثبيت لقلوبهم، وتأمينهم من الفزع الكبر، قال تعالى: ﴿لاَ يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلاَئِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمْ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ *﴾ [الأنبياء: 103] قال تعالى: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَهُمْ مِنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ *﴾ [النمل: 89] .

2 . بياضُ وجوههم:

قال تعالى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ *﴾ [آل عمران: 107] قال تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ *ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ*﴾ [عبس: 38 . 39] مسفرة: قيل مشرقة، وقيل: مضيئة، وقيل: مستنيرة، وكلُّها متقاربةٌ في المعنى، والاشتقاقُ اللغوي يدل على ذلك[(353)] .

3 . الذين يظلّهم الله في ظلّه:

قال رسول الله (ﷺ): « سبعةٌ يُظِلُّهمُ اللهُ في ظِلّه، يومَ لا ظِلَّ إلاّ ظِلُّه: الإمَامُ العَادلُ، وشابٌّ نشأَ في عبادةِ ربِّه، ورجلٌ قلبُه معلَّقٌ في المساجِدِ، ورجلانِ تحابّا في اللهِ، اجتمعا عليه، وتفرّقا عليه، ورجلٌ دَعَتْهُ امرأةٌ ذاتُ

مَنْصِبٍ وجمالٍ فقال: إِنِّي أخافُ اللهَ، ورجلٌ تصدَّقَ بِصَدَقةٍ فأخفاها حتّى لا تعلمَ يمينُهُ ما تُنْفِقُ شِمالُهُ، ورَجُلٌ ذكر اللهَ خالياً ففاضتْ عيناه »[(354)] .

والإظلالُ في ظلِّ العرشِ ليس مقصوراً على السبعة المذكورين في الحديث، فقد جاءت نصوصٌ كثيرةٌ تدل على أن الله يظلُّ غيرَهم، وقد جمع ابنُ حجرٍ العسقلاني الخصالَ: التي يُظِلُّ الله أصحابَها في كتاب سماه: (معرفةُ الخصالِ: الموصلةُ إلى الظلال)[(355)] ومن هذه الخصال: إنظارُ المعسرِ أو الوَضْعِ عنه، قال رسول الله (ﷺ): « مَنْ أنظرَ مُعْسِراً أَوْ وَضَعَ عَنْهُ، أظلَّه اللهُ في ظلِّه » [(356)]، وقال رسول الله (ﷺ): « مَنْ نَفَّسَ عَنْ غَرِيْمِهِ، أو مَحَا عَنْهُ، كانَ في ظِلِّ العَرْشِ يومَ القيامةِ »[(357)] .

4 . الذين يسعَوْنَ في حاجةِ إخوانهم، ويسدّون خَلتهم:

من أعظم ما يفرّج كرباتِ العبدِ في يوم القيامة سعيُ العبدِ في الدنيا في فكّ كرباتِ المكروبينَ، ومساعدةِ المحتاجينَ، والتيسيرِ على المعسرين[(358)]، قال رسول الله (ﷺ): «مَنْ نفّسَ عن مُؤْمنٍ كربةً مِنْ كُرَبِ الدُّنيا نَفَّسَ الله عَنْهُ كُربةً مِن كُرَبِ يوم القيامةِ، ومَنْ يَسَّرَ عَنْ مُعْسِرٍ يَسَّرَ الله عليه في الدُّنيا والآخرة، ومَنْ سترَ مُسْلِماً سَتَرَهُ الله في الدُّنيا والآخرة، واللهُ في عَوْنِ العَبْدِ ما كانَ العَبْدُ في عَوْنِ أَخِيْهِ »[(359)] .

5 . الذين ييسّرون على المعسرين:

قال النبي (ﷺ): « كانَ رجلٌ يدايِنُ الناسَ، فكان يقولُ لفتاه: إذا أتيتَ مُعْسِراً تجاوزْ عنه، لعلَّ الله أن يتجاوزَ عنا، قال: فلقيَ اللهَ فتجاوزَ عنه»[(360)] .

6 . الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولّوا:

العادلون يوم القيامة في مقامٍ رفيعٍ، يجلسون على منابرَ من نورٍ عن يمين الرحمن، وكلتا يديه يمينٌ، قال رسول الله (ﷺ): « إنّ المقسطينَ عندَ اللهِ على منابرَ من نُوْرٍ، عن يمينِ الرحمنِ عزَّ وجل، وكلتا يَدَيْهِ يمينٌ، الذين يعدلون في حُكْمِهِم وأهليهم وما وَلُوا»[(361)] .

7 . الشهداء والمرابطون: قال رسول الله (ﷺ):

« للشهيدِ عندَ اللهِ ستُّ خصالٍ: يُغْفَرُ له في أوّلِ دفعةٍ، ويرى مقعدَه من الجنَّةِ، ويُجَارُ منْ عذابِ القبرِ، وَيَأْمَنُ من الفزعِ الأكبرِ، وَيُوْضَعُ على رأسِهِ تاجُ الوقارِ، الياقوتةُ منه خيرٌ من الدنيا وما فيها، ويزوَّجُ اثنتي وسبعين زوجةً من الحور العين، ويشفّعُ في سبعينَ من أقربائه »[(362)] .

وقال رسول الله(ﷺ): « رباطُ يومٍ خيرٌ من صيامِ دهرٍ، ومَنْ ماتَ مرابطاً في سبيلِ اللهِ أَمَنِ من الفزعِ الأكبر»[(363)] .

8 . الكاظمون الغيظ:

قال تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ﴾ **[آل عمران: 133 . 134]**

وقال رسول الله (ﷺ): « مَنْ كظمَ غيظاً، وهو يَقْدِرُ أن ينفذَهُ دعاهُ الله على رؤوسِ الخلائقِ يومَ القيامةِ حتّى يخيره في أيِّ الحورِ العينِ شاءَ »[(364)] .

9 . عتق الرقاب المسلمة:

قال تعالى: ﴿فَلاَ اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ *وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ *فَكُّ رَقَبَةٍ *﴾ **[البلد: 11 - 13]** فمن الأعمال الكريمة التي يتمكّنُ صاحبها من اقتحامِ العقباتِ الكأداء في يوم القيامة عتقُ الرقابِ[(365)] .

10 . فضل المؤذنين:

قال رسول الله (ﷺ): « المؤذِّنون أطولُ الناسِ أعناقاً يوم القيامة »[(366)]، وطولُ العنقِ جمالٌ، ثم هو مناسِبٌ لما قاموا به من عمل، حيث كانوا يبلّغون الناسَ بأصواتهم كلماتِ الأذانَ، التي تعلنُ التوحيدَ، وتدعو للصلاةِ[(367)] .

11 . الذين يشيبون في الإسلام:

قال رسول الله (ﷺ): « مَنْ شابَ شيبةً في الإسلامِ كانتْ له نوراً يومَ القيامةِ»[(368)] .

12 . فضل الوُضوء:

عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله(ﷺ) يقول: « إنّ أمّتي يُدْعَوْنَ يومَ القيامةِ غُرّاً مُحَجَّلِيْنَ من اثارِ الوُضُوْءِ»[(369)]، غرّاً جمعُ أغر، أي ذو غرّةٍ، وأصلُ الغُرّةِ لمعةٌ بيضاءُ تكونُ في جبهةِ الفَرَسِ، ثم استُعملتْ في الجمالِ والشُّهرةِ وطيْبِ الذِّكْرِ، والمرادُ بها النورُ الكائن في وجوه أمة محمد (ﷺ)، وقوله (محجلين) من التحجيل، وهو بياضٌ يكون في ثلاثِ قوائمَ من قوائمِ الفرسِ، وأصلُه من الحِجْلِ بكسر الحاء وهو الخلخال، والمرادُ به هنا أيضاً النور[(370)]، وهذه الغرّةُ وذلك التحجيلُ تكونُ للمؤمنِ حليةٌ في يوم القيامة، ففي (صحيح مسلم)[(371)] عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله (ﷺ): « تبلغُ الحليةُ من المؤمنِ حيثُ يبلغُ الوُضوءُ » وبهذه الحلية يعرف الرسولُ (ﷺ) أمته بين الخلائق، لا فرق بين أصحابه وغيرهم[(372)] .

المبحث الثالث: الشفاعة

أولاً . تعريف الشفاعة:

التوسُّطُ للغيرِ بِجَلْبِ منفعةٍ أو دَفْعِ مضرّةٍ[(373)].

ثانياً . الأدلة القرآنية والنبوية:

في ثبوت الشفاعة لأهلها ونفيها عمن عداهم :

أ . الآيات القرآنية :

1 . قال تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة: 255] .

2 . وقال تعالى: ﴿مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلاَّ مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ﴾ [يونس: 3] .

3 . وقال تعالى: ﴿وَلاَ يَشْفَعُونَ إِلاَّ لِمَنِ ارْتَضَى﴾ [الأنبياء: 28]

4 . وقال تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ لاَ تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلاَّ مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَانُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلاً *﴾ [طه: 109] .

5 . وقال تعالى: ﴿وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لاَ تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ﴾ [النجم: 26] .

6 . وقال تعالى: ﴿وَلاَ يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفَاعَةَ إِلاَّ مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ *﴾ [الزخرف: 86] وفي قوله تعالى: أي الأصنام والأوثان

أي ﴿وَلاَ يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفَاعَةَ﴾ يقدرون على الشفاعة لهم هذا استثناء ﴿إِلاَّ مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ *﴾، أي: لكنْ مَنْ شهدَ بالحقِّ على بصيرةٍ وعلمٍ فإنّه تنفع شفاعته عند الله بإذنه له، فهذه الآيات تدلُّ على الشفاعة المثبتة بشروطها[(374)] .

وأما الآيات الدالة على نفي الشفاعة عن غير أهلها وهم الكفار، فمنها :

1 . قال تعالى: ﴿لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلاَ شَفِيعٌ﴾ **[الأنعام: 51]** .

2 . وقال تعالى: ﴿مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلاَ شَفِيعٍ يُطَاعُ *﴾ **[غافر: 18]** .

والمرادُ بالظالمين هنا الكافرون، ويشهدُ لذلك مُفْتَتَحُ الآية إذ هي في ذكر الكافرين[(375)] .

3 . وقال تعالى: ﴿قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا﴾ **[الزمر: 44]** .

ب . الأحاديث النبوية

لقد ورد ذكر الشفاعة كثيراً في الأحاديث النبوية الشريفة في كتب السنة الصحاح منها[(376)] :

1 . قال رسول الله (ﷺ): « لكلِّ نبيٍّ دعوةٌ دعا بها في أمته فاستجيبَ له، وإنّي أريد أنْ أُؤَخِّرَ دعوتي شفاعةً لأمتي يومَ القيامةِ »[(377)] .

2 . قال رسول الله (ﷺ): « أُعطيتُ خمساً لمْ يُعْطَهُنَّ أحدٌ قبلي (وذكر منها) وأُعطيتُ الشفاعةَ »[(378)] .

3 . وقال رسول الله (ﷺ): « أنا سيّدُ وِلْدِ ادمَ يَومَ القيامةِ ... وأوَّلُ شافعٍ وأوَّل مُشَفَّعٍ »[(379)] .

ثالثاً . أقسام الشفاعة في الآخرة :

تنقسِمُ الشفاعةُ في الآخرة إلى :

1 . الشفاعة الصحيحة:

وهي التي جمعت شروطَ الشفاعةِ الثلاثة، وهي

رضي الله عن الشافع، ورضاه عن المشفوع له، والإذن بذلك . وسيأتي تفصيل هذه الشروط في الفقرة الاتية .

2 . الشفاعة الباطلة:

هي ما يتعلّق به المشركون في أصنامهم، حيث يعبدونهم، ويزعمون أنّهم شفعاء لهم عند الله، كما قال تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لاَ يَضُرُّهُمْ وَلاَ

يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلاَءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ [يونس: 18] ولكنّ هذه الشفاعة بالله لا تنفعُ كما قال تعالى: ﴿فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ *﴾ [المدثر: 48].

ومن الآيات الدالة على بطلان شفاعة المشركين قوله تعالى: ﴿أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا لاَ يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلاَ يَعْقِلُونَ *﴾ [الزمر: 43] وقوله تعالى: ﴿قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ *﴾ [الزمر: 44] .

رابعاً ـ شروط الشفاعة الصحيحة :

شروط الشفاعة الصحيحة ثلاثةٌ، وهي ظاهرةٌ في كتاب الله عزّ وجلّ لمن تأمّلها، وهي :

1 ـ رضي الله عن الشافع:

قال تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ لاَ تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلاَّ مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَانُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلاً*﴾ [طه: 109] .

2 ـ رضي الله عن المشفوع له:

قال تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلاَ يَشْفَعُونَ إِلاَّ لِمَنِ ارْتَضَى وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ *﴾ [الأنبياء: 28] .

3 . إذن الله بالشفاعة:

قال تعالى: ﴿اللَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَ نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ﴾ **[البقرة: 255]** .

هذا وقد جمع الله تعالى هذه الشروط الثلاثة في قوله تعالى: ﴿وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي﴾ **[النجم: 26]** . فقوله هذا شرط ﴿إِلاَّ مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ﴾، وقوله فلم يذكر متعلَّق الفعل ﴿وَيَرْضَى *﴾ يرضى فهل يرضى عن الشافع أم عن المشفوع ؟ والقاعدةَ تقولُ :

حَذْفُ التعلّق يفيدُ العموم[(380)] . إذن فالآية تدل على المعنيين، فتشمل الرضى عن الشافع وعن المشفوع، وهو المطلوب[(381)] .

وقد وضَّح رسول الله (ﷺ) هذه القضيةَ في حديث أنس في (الصحيحين)[(382)] فقال « فأَسْتَأْذِنُ على رِبِّي، فإذا رأيتُه وقعتُ له ساجداً، فيدعُني ما شاءَ الله، ثم يقولُ لي: ارفعْ رأسَك، وسَلْ تعطه، وقُلْ يُسْمَعْ، واشْفَعْ تُشفَّعْ، فأرفعُ رأسي، فأحمدُ ربِّي بتحميدٍ يعلِّمُنيه ربي، ثم أشفعُ، فيحدُّ لي حَدّاً، ثم أخرجُهم من النارِ، وأدخلُهم الجنةَ ثم أعودُ » .

خامساً . أنواعُ الشفاعةِ :

إنَّ للنبيِّ (ﷺ) يومَ القيامةِ شفاعاتٌ متعدِّدةٌ منها :

1 . الشفاعة العظمى:

وهذه الشفاعةُ مِنْ أعظمِ الشفاعات، وهي المقامُ المحمود الذي قال الله تعالى فيه: ﴿عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا *﴾ [الإسراء: 79] وذلك حين يتوسَّلُ الناسُ يوم القيامة إلى ادم، ثم نوحٍ، ثم إبراهيمَ، ثم مُوسى، ثم عيسى 3، حتى ينتهيَ الأمرُ إلى نبينا محمد (ﷺ): « فيقولون: يا محمّد، أنتَ رسولُ اللهِ وخاتمُ الأنبياءِ، وغفر الله لك ما تقدّمَ من ذنبك وما تأخَّرَ، أشفعْ لنا إلى ربِّكَ، ألا ترى ما نحنُ فيه ؟ ! ألا تَرَى ما قَدْ بلغنا ؟ ! فأنطلقُ فاتي تحتَ العرشِ، فأقعُ ساجداً لربي، ثم يفتحُ اللهُ عليَّ، ويُلْهِمُني من محامدِهِ وحُسْنِ الثناءِ عليه شيئاً لم يفتحْهُ لأحدٍ قبلي، ثم يُقالُ: يا محمَّدُ، أرفعْ رأسَكَ، سَلْ تُعْطه، وقُلْ يُسْمَعْ، واشفعْ تشفّع، فأرفعُ رأسي فأقول: يا ربِّ أُمتي أُمتي، فيقال: يا محمَّدُ أَدْخِلِ الجنَّةَ مِنْ أمتِكَ مَنْ لا حسابَ عليه مِنَ البابِ الأيمنِ مِنْ أبوابِ الجنَّةِ، وهم شركاءُ الناسِ فيما سِوى ذلك مِنَ الأبوابِ . والذي نفسِي بيده إنَّ ما بينَ المصراعينِ من مصاريعِ الجنّةِ لكما بينَ مكّةَ وبُصْرَى»[(383)] .

يعني أنَّ مَنْ لا حسابَ عليه من أمة محمد (ﷺ) يدخلُ الجنة مباشرةً، ولا يمرُّ بما يمرُّ به الناس من أهوالٍ، ثم بعد هذه الشفاعة يبدأُ الحسابُ، وهذه الشفاعةُ خاصَّة بنبينا (ﷺ)[(384)] .

2. اختصاصُه (ﷺ) باستفتاح باب الجنة:

قال رسول الله (ﷺ): « أنا أوّلُ الناسِ يشفعُ في الجنّةِ، وأنا أكثرُ الأنبياءِ تبعاً »[(385)] . وقال رسول الله(ﷺ): « اتي بابَ الجنّةِ يومَ القيامةِ فأستشفعُ، فيقولُ الخازنُ: مَنْ أنتَ؟ فأقولُ: محمّدٌ، فيقولُ: بِكَ أُمِرْتُ لا أفتحُ لأحدٍ قبلكَ »[(386)] .

وأوَّلُ مَنْ يدخلُ الجنةَ من الأممِ أمتُه (ﷺ)، فقد قال: « نحنُ الآخرُونَ الأوّلونَ يومَ القيامةِ، ونحنُ أوَّلُ مَنْ يدخلُ الجنَّةَ »[(387)] .

3. الشفاعةُ في رفعِ درجاتِ أقوامٍ مِنْ أهلِ الجنّةِ فوق ما يقتضيه ثوابُ أعمالهم:

وقد جاء في ذلك بعضُ الأحاديث، ودليلٌ هذا النوعِ ما ثبتَ في (الصحيحين) وغيرِهما من حديث أبي موسى رضي الله عنه في استشهاد أبي عامر رضي الله عنه، وفيه: يا بنَ أخِي، انطلقْ إلى رسولِ اللهِ (ﷺ) فأَقْرِئْهُ منّي السلامَ، وقل له: يقولُ لكَ أبو عامرٍ: استغفر لي، قال: واستعملَني أبو عامرٍ على النَّاسِ، ومكثَ يسيراً، ثم إنّه ماتَ، فلمّا رجعتُ إلى النبيّ (ﷺ) دخلتُ عليه، وهو في بيتٍ على سريرٍ مُرَمَّلٍ، وعليه فراشٌ، وقد أثَّرَ رمالُ السريرِ بِظَهْرِ

رسولِ اللهِ (ﷺ) وَجنْبَيْهِ، فأخبرتهُ بخبرِنا وخبرِ أبي عامر وقلتُ له: قال: قل له: يَسْتَغْفِرْ لي، فدعا رسولُ الله (ﷺ) بماءٍ فتوضَّأَ منه، ثم رفعَ يديه، ثم قال: « اللهمَّ اغْفِرْ لعبيدٍ أبي عامرٍ حتّى رأيتُ بياضَ إبطيه » ثم قال: « اللهمَّ اجعلْه يومَ القيامةِ فوقَ كثيرٍ مِنْ خلقِكَ أو مِنَ الناس »، فقلت: ولي يا رسول الله فاستغفرْ، فقال النبيُّ (ﷺ): « اللهمَّ اغْفر لعبدِ اللهِ بنِ قيسٍ ذَنْبَهُ، وأَدْخِلْهُ يومَ القيامةِ مَدْخلاً كَرِيماً »[(388)] .

وعن أمِّ سلمةَ رضي الله عنها قالت: دخلَ رسولُ اللهِ (ﷺ) على أبي سلمةَ، وقد شُقَّ بصرُهُ، فأغمضَه، ثم قال: « إنَّ الروحَ إذا قُبِضَ تَبِعَهُ البَصَرُ » فضجَّ ناسٌ مِنْ أهلِهِ فقال: « لا تَدْعُوْا عَلى أَنْفُسِكُمْ إلاّ بِخَيْرٍ، فإنَّ الملائكةَ يؤمِّنونَ على ما تقولونَ » ثم قال: « اللهمَّ اغْفِرْ لأبي سَلَمَةَ، وارْفَعْ دَرَجَتَهُ في المهْدِيينَ، واخلفْهُ في عَقِبِهِ في الغابرينَ، واغْفِرْ لنا وله يا ربَّ العالمين، وافْسَحْ له في قبرِهِ ونوِّرْ له فيه »[(389)] .

4 . الشفاعة في بعض الكفار من أهل النار حتّى يخفَّفَ عنهم:

وهذه الشفاعةُ خاصّةٌ بالنبيِّ (ﷺ) لعمِّه أبي طالب، ويُسْتَدَلُّ لهذا النوع بحديث في (الصحيحين)[(390)] عن العبّاس بن عبد المطلب رضي الله عنه أنه قال: يا رسولَ اللهِ، هل نفعتَ أبا طالبٍ بشيءٍ، فإنّه كانَ يحوطُكَ،

ويَغْضَبُ لكَ؟ قال: « نعم، هو في ضَحْضَاحٍ[(391)] من نارٍ، ولولا أنا لكانَ في الدَّرْكِ الأسفلِ مِنَ النَّارِ » .

وهذه شفاعةُ تخفيفٍ لا شفاعةُ إخراجٍ من النارِ، وإن كان أهونَ أهلِ النار عذاباً، كما في حديث ابن عباس رضي الله عنه أنّ رسولَ اللهِ (ﷺ) قال: «أهونُ أهلِ النَّارِ عذاباً أبو طالبٍ، وهو مُنْتَعِلٌ بنعلينِ، يَغْلِي مِنْهُما دِمَاغُه»[(392)] .

5 . الشفاعةُ في أهل الكبائر:

شفاعتُه (ﷺ) في أهلِ الكبائرِ من أُمته، ممّن دخل النار، فيُخْرَجُوْنَ منها، وقد تواترت بهذا النوعِ الأحاديثُ، وهذه الشفاعةُ تشارِكهُ فيها الملائكةُ والنبيون والمؤمنون أيضاً، وهذه الشفاعةُ تتكرّر منه (ﷺ) أربعَ مرّات[(393)] ومن أحاديثِ هذا النوع، حديثُ أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله (ﷺ): « شفاعتي لأهلِ الكبائرِ من أُمّتي» [(394)] .

6 . الشفاعةُ في أقوامٍ يدخلون الجنّةَ بغيرِ حسابٍ:

ويحسنُ أن يستشهدَ لهذا النوع بحديثِ عمْرانِ بن حُصينٍ رضي الله عنه قال: قال النبيُّ (ﷺ): « يدخلُ الجنّةَ مِنْ أُمّتي سبعونَ ألفاً بغيرِ حِسَابٍ » قالوا: وَمَنْ هم يا رسولَ اللهِ ؟ قال: « هُم الذين لا يكتوونَ، ولا يسترقُوْنَ، ولا

يتطيّرُوْنَ، وعلى ربِّهم يتوكّلونَ » فقال عكّاشة بن محصن رضي الله عنه: أدعُ الله أن يجعلَني مِنْهُم، قال: « أنتَ مِنْهُم » قال: فقامَ رجلٌ فقال: يا نبيَّ الله، ادعُ الله أن يجعلَني منهم، قال: « سَبَقَكَ بها عُكّاشَةُ »[(395)] .

7 . شفاعةُ الرسولِ (ﷺ) في أقوامٍ تساوتْ حسناتُهم وسيئاتُهم:

فيشفعُ فيهم ليدخلوا الجنَّةَ، وفي اخرينَ قد أُمر بهم إلى النار، أن لا يدخلوها[(396)] .

سادساً . الشفعاءُ غيرُ النبيّ (ﷺ) :

1 . الملائكة:

قال تعالى: ﴿وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لاَ تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلاَّ مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى *﴾ **[النجم: 26]** وفيه دلالةٌ على أنّه إذا أَذِنَ الله تعالى له فإنّه يشفّع[(397)] وقال تعالى: ﴿وَلاَ يَشْفَعُونَ إِلاَّ لِمَنِ ارْتَضَى وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ *﴾ **[الأنبياء: 28]** .

2 . الأنبياءُ والمؤمنون الصالحون:

وهذا النوعُ قد ثبتَ بالحديثِ الطويل لأبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله(ﷺ): « ... ثم يقولُ الله: شَفَعَتِ الملائكةُ، وشَفَعَ الأنبياءُ، وشفعَ المؤمنون، وبقي أرحمُ الراحمين»[(398)] .

3 . الشهداء:

قال رسولُ اللهِ (ﷺ): « يشفعُ الشهيدُ في سبعينَ مِنْ أهلِ بيته» [(399)] .

4 . أولاد المؤمنين:

عن أنس رضي الله عنه، أنَّ رسولَ اللهِ (ﷺ) قال: « مَا مِنْ مُسْلِمٍ يموتُ لَهُ ثلاثةٌ من الوَلَدِ لم يَبْلُغُوْا الحِنْثَ إلاّ أَدْخَلَهُ الجَنَّةَ بِفَضْلِ رَحْمَتِهِ إياهم »[(400)] وقال (ﷺ): « لا يموتُ لأحدٍ مِنَ المسلمينَ ثلاثةٌ مِنَ الوَلَدِ فَيَحْتَسِبُهُم إلاّ كانوا له جُنَّةً مِنَ النَّارِ » فقالت امرأةٌ عندَ رسولِ اللهِ(ﷺ): يا رسولَ اللهِ أو اثنان قال: « أَو اثنانِ »[(401)] .

5 . القرآن الكريم:

عن أبي أُمامة الباهليِّ رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله(ﷺ): « اقرؤوا القرآن، فإنّه يَأْتِي يومَ القيامةِ شَفِيْعاً لأَصْحَابِهِ، اقرؤوا الزَّهْرَاوَيْنِ: البقرةَ وسورةَ آل عمران، فإنَّهما تأتيانِ يومَ القيامةِ كأنَّهُمَا غَمَامتانِ، أو كأنَّهُمَا

غَيَايتانِ[(402)]، أو كأنَّهما فِرقانِ مِنْ طَيْرٍ صَوَافٍّ، تُحَاجَّانِ عن أصحابِهِمَا، اقرؤوا سورةَ البقرِة، فإنَّ أخذَها بركةٌ، وتركَها حسرةٌ، ولا يستطيعُها البطلةُ»[(403)]: أي السحرة .

وقال رسول الله (ﷺ): « إنَّ سورةً مِنَ القرآن ثلاثونَ ايةً، تشفعُ لصاحِبِهَا حتَّى يُغْفَرَ لَهُ ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ *﴾ [الملك: 1] »[(404)] .

سابعاً ـ الأسباب الجالبة للشفاعة :

تعدّدتِ الأحاديثُ الواردةُ في ذكر أسباب الشفاعة منها :

1 ـ التوحيد وإخلاص العبادة لله:

جاء في الحديثِ قولُ النبيّ (ﷺ) لما سُئِلَ: مَنْ أسعدُ الناسِ بشفاعتِكَ يومَ القيامةِ ؟ قال: « أسعدُ النَّاسِ بشفاعتي يومَ القيامةِ مَنْ قالَ: لا إلهَ إلاّ اللهَ خالصاً مِنْ قلبِهِ أو نفسِهِ »[(405)]، وقال رسولُ اللهِ (ﷺ): « لكلِّ نبيٍّ دعوةٌ مُسْتَجَابةٌ، فَتَعَجَّلَ كلُّ نبيٍّ دعوتَهُ، وإنِّي اختبأتُ دَعْوَتِي شفاعةً لأُمّتي يومَ القيامةِ، فهيَ نائلُةٌ إنْ شاءَ اللهِ مَنْ ماتَ مِنْ أُمّتي لا يشرِكُ باللهِ شيئاً » [(406)].

2 . الصيام:

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنَّ رسولَ اللهِ (ﷺ) قال: « الصيامُ والقرآن يشفعانِ للعبدِ يومَ القيامةِ، يقول الصيامُ: أيْ ربِّ منعتُه الطعامَ والشرابَ بالنهارِ فشفّعني فيه، ويقولُ القرآن: ربِّ منعتُه النومَ بالليلِ فشفّعني فيه فيشفّعانِ »[(407)] .

3 . الدُّعاءُ بما وردَ عند الأذان:

قال رسول الله (ﷺ): « مَنْ قالَ حِيْنَ يسمعُ النِّدَاءَ: اللهمَّ رَبَّ هذِهِ الدعوةِ التامَّةِ، والصّلاةِ القائمةِ، اتِ محمّداً الوسيلةَ والفضيلةَ، وابعثْهُ مقاماً مَحْمُوْداً الذي وَعدْتَهُ، حلّتْ له شفاعتي يومَ القيامة »[(408)] .

4 . سُكنى المدينةِ، والصبرُ على لأوائها:

قال رسولُ اللهِ (ﷺ): « لا يصبرُ أحدٌ على لأوائها[(409)] إلا كنتُ له شفيعاً أو شهيداً يومَ القيامةِ إذا كان مُسْلِماً »[(410)] .

5 . الصلاةُ على النبيِّ (ﷺ):

قال رسولُ الله (ﷺ): « مَنْ صلَّى عليَّ حينَ يُصْبِحُ عَشْراً، وحِيْنَ يُمْسِي عَشْراً، أدركتْهُ شفاعتي يومَ القيامةِ» [(411)].

6 . صلاةُ جماعةٍ من المسلمين على الميّتِ المسلم:

قال (ﷺ): « ما مِنْ مَيّتٍ تصلّي عليه أمةٌ من المسلمينَ يَبْلُغُوْنَ مئةً، كلُّهم يشفعونَ له، إلاّ شُفّعُوا فيهِ »[(412)]، وقال رسول الله (ﷺ): « ما مِنْ رجلٍ مُسْلِمٍ يموتُ، فيقومُ على جنازته أربعونَ رَجُلاً، لا يُشْرِكُونَ باللهِ شَيْئاً، إلاّ شفّعهم الله فيه» [(413)] .

7 . كثرةُ السجودِ:

عن ربيعةَ بن كعبٍ الأسلمي أنّه قال: كنتُ أَبِيْتُ مع رسولِ اللهِ (ﷺ)، فأتيتُه بِوَضُوْئه وحاجَتِهِ، فقال لي: « سَلْ » فقلتُ: أسأَلُكَ مُرَافَقَتَكَ في الجنَّةِ، قال: « أَوَ غَيْرَ ذَلِكَ؟ »، قلت: هُوَ ذاكَ، قال: « فأعنِّي على نَفْسِكَ بِكَثْرَةِ السُّجُوْدِ »[(414)] .

* * *

المبحث الرابع: الحساب والحوض والميزان والصراط

أ ـ الحساب :

ذكر الله سبحانه وتعالى مشهدَ الحساب والجزاء فقال تعالى: ﴿وَأَشْرَقَتِ الأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ *﴾ [الزمر: 69] والمرادُ بالحسابِ هو أن يقفَ العبادُ بين يدي الله تبارك وتعالى، وأن يعرّفوا بما عملوا، وأن تحضرَ أقوالُهم، ما صدر منهم في الحياة الدنيا من إيمانٍ وكُفرٍ، وطاعةٍ ومعصيةٍ، وما يستحقّونه من ثوابٍ وعذابٍ، ثم ما كان يتسلّمونه من كُتُبٍ بإيمانهم، إن كانوا مؤمنينَ صالحينَ، أو بشمالِهم، إنْ كانوا طالحينَ [(415)] .

أولاً ـ إيتاء العباد كتبهم :

قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ *فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا *﴾ [الانشقاق: 7 ـ 8] فذكر إيتاءَهم الكتبَ أولاً، ثم عقّب بحرف الفاء، الذي يقتضي الترتيبَ والتعقيبَ، فذكر الحسابَ[(416)] . ويُخْرَجُ لكلِّ إنسانٍ كتابٌ مفتوحٌ، فيقرأه، وإن كان أُمياً، لإقامة الحُجَّةِ عليه .

قال تعالى: ﴿فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً *﴾ [الإسراء: 13 . 15] وهذا الكتابُ يأخذهُ المؤمنُ بيمنهِ مِنْ أمامِه، وأمّا الكافِرُ فيأخذهُ بشمالهِ مِنْ خلفِ ظهرهِ .

قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَأُوا كِتَابِيَهْ *إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلاَقٍ حِسَابِيَهْ *فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ *فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ *قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ *كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الأَيَّامِ الْخَالِيَةِ *وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَالَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ *وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ *يَالَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ *مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَهْ *هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ *خُذُوهُ فَغُلُّوهُ *ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ *ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ *﴾ [الحاقة: 19 . 32] .

وقال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ *فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا *وَيَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا *وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ *فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا *وَيَصْلَى سَعِيرًا *﴾ [الانشقاق: 7 . 12] .

وقال تعالى: ﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَئِكَ يَقْرَأُونَ كِتَابَهُمْ وَلاَ يُظْلَمُونَ فَتِيلاً *﴾ [الإسراء: 71] .

وقال تعالى: ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُون يَاوَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لاَ يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلاَ كَبِيرَةً إِلاَّ أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلاَ يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا *﴾ [الكهف: 79] .

وقال تعالى: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ *وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌ *﴾ [القمر: 52 . 53] والّذينَ يكتبونَ همُ الملائكة، الذين وكّلهم اللهُ مع كلِّ إنسان، يسجّلُونَ عليه كلَّ شيءٍ، قال تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ *كِرَامًا كَاتِبِينَ *يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ *﴾ [الإنفطار: 10 . 12] .

قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ *﴾ [يس: 12] .

ثانياً: سؤالُ كلِّ الناسِ عن أعمالِهم :

ذكر الله تعالى في ايات كثيرةٍ أنَّ الكفّار يُسْألون :

كقوله تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ *﴾ [الحجر: 92] .

وقوله تعالى: ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْؤُولُونَ *مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ *﴾ [الصافات: 24-25] .

وقال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ وَمَا هُمْ بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ *وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالاً مَعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيُسْأَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ *﴾ [العنكبوت: 12-13] .

وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِمَّنْ يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ *حَتَّى إِذَا جَاءُوا قَالَ أَكَذَّبْتُمْ بِآيَاتِي وَلَمْ تُحِيطُوا بِهَا عِلْمًا أَمَّاذَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ*﴾ [النمل: 83 . 85] .

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ *تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ *أَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ *﴾ [المؤمنون: 103 . 105] .

وأمّا الآيات التي تدلُّ على أنَّ الكفّار لا يُسْألون :

كقوله تعالى: ﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلاَ يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ *﴾ [القصص: 78].

وقوله تعالى: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لاَ يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلاَ جَانٌّ *﴾ [الرحمن: 39]

وقوله تعالى: ﴿هَذَا يَوْمُ لاَ يَنْطِقُونَ *وَلاَ يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ *﴾ [المرسلات: 35 . 36] ونحو ذلك من النصوص . قال العلماء: إنَّهم يسألون يومَ القيامةِ في موطنٍ دونَ موطنٍ، فالقيامةُ مواطن، فموطِنٌ يكونُ فيه سؤالٌ وكلامٌ، وموطنٌ لا يكونُ ذلك[(417)] .

وقالوا: إنَّ الكفّارَ لا يُسألونَ سؤالَ شفاءٍ وراحةٍ، وإنَّما يُسألونَ سؤالَ تقريعٍ وتوبيخٍ، لم عملتم كذا وكذا [(418)] وإنّهم لا يُسالون سؤال استفهامٍ، لأنّه

تعالى عالِمٍ بكلِّ أعمالهم، وإنّما يُسألون سؤالَ تقريع، فيقال لهم: لِمَ فَعَلْتُم كذا [(419)] .

وقال القرطبيُّ: إنّ معنى قوله تعالى: ﴿يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ *﴾ [القصص: 78] سؤال التعرّف لتمييز المؤمنين من الكافرين، أي إنّ الملائكةَ لا تحتاجُ أنْ تَسْأَلَ أحداً يومَ القيامةِ أن يقال: ما كانَ ديْنُكَ ؟ وما كنتَ تَصْنَعُ في الدُّنيا ؟ حتى يتبيّنَ لهم بإخبارِهِ عن نفسه أنّه كان مؤمناً أو كان كافراً، لكنّ المؤمنين يكونون ناضري الوجوه، منشرحي الصدور، ويكون المشركون سودَ الوجوه، زرقاً، مكروبين، فهم إذا كُلِّفوا سوق المجرمين إلى النار، وتميزهم في الموقف كفتهم مناظرهم عن تعرف أديانهم [(420)] .

ومن حكمةِ الله تعالى في محاسبتهم ووزنِ أعمالهم ـ مع أنَّ أعمالَهم حابطةٌ مردودةٌ ـ أمورٌ منها :

1 ـ إقامةُ الحجةِ عليهم، وإظهارُ عَدْلِ الله فيهم: قال تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلاَ تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ *﴾ [الأنبياء: 47] .

2 ـ أنّ الله يحاسبهم لتوبيخهم وتقريعهم: قال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى رَبِّهِمْ قَالَ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَى وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ

تَكْفُرُونَ *﴾ [الأنعام: 30] وقال تعالى: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ *الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ *﴾ [الشعراء: 91 . 92] .

3 . أنّ الكفَّار مكلّفون بأصول الشريعة، كما هم مكلّفون بفروعها: لأنّ الله تعالى قال: ﴿وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ * الَّذِينَ لاَ يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾ [فصلت: 6 . 7] . فتوعَّدهم على منعهم الزكاةَ، وأخبرَ عن المجرمين أنّهم يقال لهم: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ *قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ *وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ *وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ *﴾ [المدثر: 42 . 45] . فبانَ بهذا أنَّ المشركينَ مخاطبون بالإيمان والبعث وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وأنّهم مسؤولون عنها، ومُجْزِيُّون بها [(421)].

4 . أنّ الكفّار يتفاوتون في كفرهم وذنوبهم ومعاصيهم: ويحلّون في النار بمقدارِ هذه الذنوب، فالنَّارُ دَركاتٌ، بعضُها تحت بعض [(422)] قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾ [النساء: 145] .

ثالثاً . الأمور التي يسأل عنها العبد يوم القيامة :

يسأل العبدُ يوم القيامة عن كلِّ شيءٍ فعله، كما قال تعالى: ﴿وَلَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ *﴾ [النحل: 93] وقال تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ *عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ *﴾ [الحجر: 92 . 93] .

ولكنْ هناكَ بعضُ الأعمالِ نصَّ الله تعالى على أن يُسأل عنها ليزدادَ الخوفُ منها، وهي :

1 . الكفر والشرك: قال تعالى: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِمَا لاَ يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ تَاللَّهِ لَتُسْأَلُنَّ﴾ [النحل: 56] .

2 . كذبهم في حق الملائكة: قال تعالى: ﴿وَجَعَلُوا الْمَلاَئِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَانِ إِنَاثًا أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ *﴾ [الزخرف: 19].

3 . النعيم الذي أنعم عليه في الدنيا: قال تعالى: ﴿ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ*﴾ [التكاثر: 8] .

4 . العهود والمواثيق: قال تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْؤُولاً *﴾ [الإسراء: 34] .

5 . العلم والسمع والبصر والفؤاد: قال تعالى: ﴿وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً *﴾ [الإسراء: 36].

6 . إضلال المضلين للناس: قال تعالى: ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالاً مَعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيُسْأَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ *﴾ **[العنكبوت: 13]** .

7 . الدين ونصرته والقرآن والعمل به: قال تعالى: ﴿فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ *وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ *﴾ **[الزخرف: 43 . 44]** .

8 . يُسأل العبدُ عن صلاته: قال رسول الله (ﷺ): « إنّ أوّلَ ما يُحَاسَبُ به العبدُ يومَ القيامةِ مِنْ عَمَلِهِ صلاتُه، فإنْ صَلَحَتْ فقد أفلحَ وأنجح، وإن فَسَدَتْ فقد خابَ وخَسِرَ، وإنْ انتقص من فريضتةٍ قال الله تعالى: انظُروا هلْ لعبدِي من تطوُّعٍ يُكَمِّلُ بها ما انتقصَ من الفريضة ؟ ثم يكونُ سائرُ عملِهِ على ذلك »[(423)] .

9 . سيُسْألُ كلُّ عبدٍ عن أشياء: قال رسول الله (ﷺ): « لا تزولُ قدما ابنِ ادمَ يومَ القيامةِ مِنْ عندِ ربِّه حتّى يُسْألُ عن خَمْسٍ: عَنْ عُمُرِهِ فيم أفناهُ ؟ وعَنْ شبابِهِ فِيْمَ أبلاه ؟ وعَنْ مَالِهِ مِنْ أينَ اكتَسَبَهُ، وفِيْمَ أنفقَهُ ؟ وماذا عَمِلَ فِيْمَا عَلِمَ »[(424)] .

رابعاً ـ القواعد التي يحاسب العباد على أساسها :

من هذه القواعد التي ذكرت في القرآن الكريم :

1 ـ عدلُ اللهِ التام:

قال تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلاَ تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا﴾ [الأنبياء: 47] وقال تعالى: ﴿فَالْيَوْمَ لاَ تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلاَ تُجْزَوْنَ إِلاَّ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ *﴾ [يس: 54] وقال تعالى: ﴿يَابُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ *﴾ [لقمان: 16] وقال تعالى: ﴿وَالآخرة خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى وَلاَ تُظْلَمُونَ فَتِيلاً *﴾ [النساء: 77] وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلاَ يُظْلَمُونَ نَقِيرًا *﴾ [النساء: 124] وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ [النساء: 40].

2 ـ لا يتحمَّلُ أحدٌ ذَنْبَ أحدٍ:

قال تعالى: ﴿وَلاَ تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلاَّ عَلَيْهَا وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ *﴾ [الأنعام: 164] وقال تعالى: ﴿أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى *وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى *أَلاَّ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ

أُخْرَى *وَأَنْ لَيْسَ لِلإِنْسَانِ إِلاَّ مَا سَعَى *وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى *ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الأَوْفَى *﴾ [النجم: 36. 41] .

3. اطلاع العباد على ما قدموه من أعمال:

قال تعالى: ﴿عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ *﴾ [آل عمران: 30]

وقال تعالى: ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَاوَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لاَ يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلاَ كَبِيرَةً إِلاَّ أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلاَ يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا *﴾ [الكهف: 49] .

4. مضاعفة الحسنات دون السيئات:

قال تعالى: ﴿إِنْ تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَناً يُضَاعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ *﴾ [التغابن: 17] وقال تعالى: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلاَ يُجْزَى إِلاَّ مِثْلَهَا وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ *﴾ [الأنعام: 160] وأما السيئةُ فلا يُجزى إلا مثلها، قال تعالى: ﴿وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلاَ يُجْزَى إِلاَّ مِثْلَهَا﴾ . وقال تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِئَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ *﴾ [البقرة: 261] هذا فضلٌ ضربه الله لتضعيف الثوابِ

لمن أنفقَ في سبيله، وابتغاء مرضاته، وأنَّ الحسنةَ تضاعَفُ بعشرٍ أمثالها إلى سبعمئةِ ضعفٍ[(425)].

ومن فضل الله تبارك وتعالى أنّ المؤمنَ الذي يهمُّ بفعلِ الحسنةِ، ولكنّه لا يفعلها تُكْتَبُ له حسنةً تامةً، والذي يهمُّ بفعل السيئةِ، ثم تدركهُ مخافةُ اللهِ، فيتركَها تكتبُ له حسنةً كاملةً[(426)]، عن النبي (ﷺ) فيما يرويه عن ربّه عزّ وجلّ، قال: « إنّ الله كتبَ الحسناتِ والسيئاتِ، ثم بيَّن ذلكَ، فمَنْ همَّ بحسنةٍ فلم يعمَلْها، كتبَها اللهُ عندَهُ حسنةً كاملةً، فإنْ هُوَ همَّ بها فعملَها كتبها اللهُ له عَشْرَ حسناتٍ إلى سبعمئةِ ضِعْفٍ، إلى أضعافٍ كثيرةٍ، ومن هم بسيئةٍ فلم يعملْها كتبَها اللهُ له عندَه حسنةً كاملةً، فإنْ هُوَ همَّ بها فعمِلَها، كتبَها اللهُ له سيئةً واحدةً »[(427)] .

5 . تبديلُ السيئاتِ حسناتٍ:

قال تعالى: ﴿إِلاَّ مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا *﴾ [الفرقان: 70] وهذا من رحمة الله وفضله على المؤمنين أن يبدّلَ سيئاتهم حسنات .

خامساً: إقامةُ الشهودِ على الناس :

الله سبحانه وتعالى لا يحتاجُ إلى مَنْ يخبرُهُ عن عبادِهِ، أو يشهدُ عليهم بما فعلوه، إلاّ أنّه سبحانه من كمال عَدْلِهِ وإعذاراً للعالمين أقامَ عليهمُ الشهودَ، ونوّعَ تلكَ الشهود وكثّرَها، حتّى تنقطعَ الحُججُ، وتخرسَ الأفواهُ، وتقرّ الجموعُ بعدل الله المطلق[(428)]، وهؤلاء الشهود كثُرٌ كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أُولَئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الأَشْهَادُ هَؤُلاَءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلاَ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ *﴾ [هود: 18] وقال تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ *﴾ [غافر: 51] وقال تعالى: ﴿وَأَشْرَقَتِ الأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ *﴾ [الزمر: 69] .

ومما ذكر في القرآن الكريم من إقامة الشهود على الناس الآتي :

1 . شهود الملائكة:

قال تعالى: ﴿وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ *﴾ [ق: 21] أي مَلَكٌ يسوقه إلى المحشر، ومَلَكٌ يشهد عليه بأعماله[(429)] وقال تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ *كِرَامًا كَاتِبِينَ *يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ *﴾ [الانفطار: 10 . 12]

فهؤلاء الملائكةُ الكرام الكاتبون هم الذين يشهدون، ويدلُّ عليه الحديثُ

التالي عن أنسِ بنِ مالك قال: كُنّا عند رسولِ اللهِ (ﷺ) فَضَحِكَ، فقال: «هَلْ تَدْرُوْنَ ممَّ أَضْحَكُ؟ »، قال: قلنا الله ورسوله أعلم، قال: « مِنْ مخاطبةِ العبدِ ربَّه يقول: يا ربِّ ألم تُجِرْنِي من الظُّلْمِ، قال: يقولُ بَلَى، قال: فيقولُ: فإِنّي لا أجيزُ على نَفْسِي إلا شاهِداً مني، قال: فيقولُ: كَفَى بِنَفْسِكَ اليومَ عليكَ شهِيْداً، وبالكِرامِ الكاتبينَ شهوداً، قال: فيُخْتَمُ على فيهِ، فيقالُ لأركانه انطقي، قال: فتنطِقُ بأعمالِهِ، قال: ثم يُخَلَّى بينهُ وبينَ الكلامِ، قال: فيقولُ: بُعْداً لكنَّ وسُحْقاً فعنكنَّ كنتُ أناضِلُ»[(430)] .

2 . شهود الرسل عليهم:

فيشهدُ كلُّ رسولٍ على أمته، وأنّه قد بلّغهم، وبيّن لهم، وأزالَ عنهم الشُّبَهَ، لئلا يكونَ للناسِ حجةٌ بعدَ الرسل . قال تعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَسُولٌ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ*﴾ [يونس: 47] يعني إذا جاء الرسولُ يوم القيامة قُضِيَ بينهم، وسماه الله تعالى شهيداً، كما في قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ثُمَّ لاَ يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَلاَ هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ*﴾ [النحل: 84] وقال تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ فَعَلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ *﴾ [القصص: 75] .

3. وتشهدُ أمةُ محمّدٍ(ﷺ) على الخلق:

بعد أن تشهدَ الرسلُ على أقوامهم، لا تجدُ هذه الأمم مهرباً إلا بتكذيب رسُلِها، فيقومون وينكرون ما جاءت به الرسلُ، ويكذّبونهم . كما كانوا يكذبونهم في الدنيا، ويقولون: ما جاءنا مِنْ نبيٍّ، فتقومُ أمةُ محمَّدٍ . الأمةُ الوسطُ، فتشهد للرسل: قال تعالى: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ *﴾ [الحج: 78] وقال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: 143] وعن أبي سعيد الخدري قال: قال رسولُ اللهِ (ﷺ): « يجيءُ نوحٌ وأمتهُ، فيقولُ الله تعالى: هل بلّغت ؟ فيقول: نعم أَيْ ربِّ، فيقولُ لأمّتِهِ: هل بلَّغكم ؟ فيقولون: لا، ما جاءنا من نبيٍّ، فيقول لنوحٍ: مَنْ يشهدُ لَكَ ؟ فيقول: محمَّدٌ (ﷺ) وأمتهُ، فنشهدُ أنّه قد بلّغَ، وهو قوله جلّ ذكره ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ العدل[(431)] .

4 . شهود نبينا محمد (ﷺ):

قال تعالى: ﴿وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ﴾ [الحج: 78] وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلاَءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدىً وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ*﴾ [النحل: 89] .

5 . شهود جوارح الإنسان من الألسن والأيدي على نفسه:

قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ*﴾ [النور: 24] وقال تعالى: ﴿نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ *﴾ [يس: 65] وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ *حَتَّى إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ *وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ *وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلاَ أَبْصَارُكُمْ وَلاَ جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لاَ يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ *﴾ [فصلت: 19 . 22] .

6 . وتشهد الأرض:

قال تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا *بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا*﴾ [الزلزلة: 4 . 5] عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قرأ رسولُ الله (ﷺ) ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا *﴾: « أتدرونَ ما أخبارَها ؟ » قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: « فإنّ أخبارَها أن تشهدَ على كُلِّ عبدٍ أو أَمَةٍ بما عَمِلَ على ظَهْرِهَا، أنْ تقولَ: عَمِلَ كذا وكذا، يومَ كذا وكذا قال: فهذه أخبارها» [(432)] .

7 . أعظم شهيد وأجلّ شهيد:

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا *﴾ [الأحزاب: 55] وقال تعالى: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلاَ تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلاَّ كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاءِ وَلاَ أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلاَ أَكْبَرَ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ *﴾ [يونس: 61] فبعد أن يشهدَ الأحياءُ والجماداتُ، وتنتهي هذه الشهاداتُ، تأتي شهادةُ اللهِ العزيز الحميد جلّ جلاله وتقدّست أسماؤه[(433)] .

8 . شهودهم على أنفسهم:

إذا رأى العبدُ الحقَّ، وتبيّنَ له أنَّ الله لا تخفى عليه خافيةٌ، ورأى كلَّ ما عمله مكتوباً في صحيفته، وقامت عليه الشهودُ، ورأى أنّه لا برهانَ له ولا حجة،

أقرَّ واعترفَ بما جنى واقترف[(434)]، قال تعالى: ﴿يَامَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَى أَنْفُسِنَا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنيَا وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ *﴾ [الأنعام: 130] .

سادساً: اقتصاص المظالم بين الخلق :

في ذلك اليوم يُقْتَصُّ للناسِ بعضُهم من بعضٍ، فالحسابُ شاملٌ لظلم العبدِ نفسَه، وظلمه لغيرِه من الناس، وما أعظمَ خيبةَ الذي وقعَ في ظلمِ الناس، لأنَّ القصاصَ يومئذٍ لا يكونُ بالمالِ ولا السجنِ ولا غير ذلك، بل يكونُ بالحسناتِ والسيئاتِ[(435)]، قال تعالى: ﴿وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا *﴾ [طه: 111] .

وقال رسول الله (ﷺ): « مَنْ كانتْ له مظلمةٌ لأخيهِ مِنْ عِرْضِهِ أو شيءٍ فَلْيَتَحَلَّله مِنْهُ اليومَ قبلَ أنْ لا يكونَ دينارٌ ولا دِرْهَمٌ، إن كان لَهُ عَمَلٌ صالِحٌ أُخِذَ منه قَدْرَ مظلمته، وإنْ لم تكنْ له حسناتٌ أُخذَ من سيئاتِ صاحبه فحُمِلَ عليه »[(436)] .

وقال رسول الله (ﷺ): « أتدرونَ مَنِ المفْلِسُ؟ » قالوا: المفلسُ فينا مَنْ لا دِرْهَمَ له ولا مَتَاعَ، فقال: « إنَّ المفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يأتي يومَ القيامةِ بصلاةٍ

وصيامٍ وزكاةٍ، ويأتي قد شتمَ هذا، وقذفَ هذا، وأكلَ مالَ هذا وسفكَ دمَ هذا، وضربَ هذا، فيُعْطَى هذا مِنْ حسناته، وهذا مِنْ حسناتِهِ، فإنْ فَنِيَتْ حسناتُه قبلَ أن يَقْضِي ما عليه، أُخِذَ من خطاياهم فَطُرِحَتْ عليه، ثم طُرِحَ في النَّارِ »[(437)] .

ومن كمال عدل الله تعالى في ذلك اليوم أنّه يقتصُّ للبهائم بعضِها من بعضٍ[(438)]، عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: « إذا كانَ يومُ القيامةِ مُدّتِ الأرض مدَّ الأديمُ، وحُشِرَ الخلائقُ: الأنسُ والجنُّ والدوابُّ والوحوشُ، فإذا كان ذلك اليوم جُعِلَ القصاصُ بين الدوابِ، حتّى تقتصّ الشاةُ الجمّاءُ مِنَ القرناءِ بنطحِها، فإذا فرغَ الله مِنَ القصاصِ بينَ الدوابِ، قال لها: كوني تراباً، فتكونُ تراباً، فيراها الكافِرُ فيقول: ﴿يَالَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا *﴾ [النبأ: 40][(439)] .

1 . عظم شأن الدماء:

من أعظمِ الأمورِ عندَ الله أن يَسْفِكَ العبادُ بعضَهم دمَ بعضٍ في غيرِ الطريق الذي شرعه الله تبارك وتعالى[(440)]، قال رسولُ الله(ﷺ): « يَجِيْءُ الرجلُ اخذاً بيدِ الرجلِ، فيقولُ: يا ربِّ، هذا قتلني، فيقولُ: لم قتلتَهُ ؟ فيقول: قتلتهُ لتكونَ العزَّةُ لكَ، فيقول: فإنَّها لي، ويجيءُ الرجلُ اخذاً بيدِ الرَّجُلِ فيقول: أيْ

ربِّ، إنَّ هذا قتلني، فيقول الله: لم قتلتَهُ؟ فيقول: لتكونَ العزَّةُ لفلان، فيقول: إنَّها ليستْ لفلانٍ، فيبوءُ بإثمِهِ » [(441)] .

وقال رسول الله (ﷺ): « يجيءُ المقتولُ بالقاتلِ يومَ القيامةِ، ناصيتهُ ورأسُه بيدِه، وأوداجُه تشخبُ دماً، فيقول: يا ربِّ سَلْ هذا فيمَ قتلني؟ حتَّى يدنيه من العَرْشِ »[(442)] .

2 . أوّلُ ما يقضى بينَ العبادِ في الدماءِ:

ولعظمِ أمرِ الدماءِ، فإنَّها تكونُ أوَّل شيءٍ يُقْضَى فيه بين العباد، فقد قال رسول الله (ﷺ): « أوَّلُ ما يُقْضَى بينَ الناسِ يومَ القيامةِ في الدماءِ»[(443)].

ب . الحوض :

قال تعالى في سورة الكوثر ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ *فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ *إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأَبْتَرُ *﴾ .

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: بينما رسولُ اللهِ (ﷺ) ذاتَ يومٍ بين أظهُرنا إذ أغفى إغفاءةً[(444)]، ثم رفعَ رأسَه مبتسماً، فقلنا: ما أضحكك يا رسولَ اللهِ ؟ قال: أُنزلتْ عليَّ انفاً سورةٌ فقرأ ثم ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَانِ الرَّحِيمِ * إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ *فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ *إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأَبْتَرُ *﴾: « أتدرون

ما الكوثر ؟ » فقلنا: الله ورسوله أعلم، قال: « فإنّه نهرٌ وعدنيه ربِّي عزَّ وجلَّ، عليه خيرٌ كثيرٌ، عليه حوضٌ، تَرِدُ عليه أُمَّتي يومَ القيامةِ، انيتُه عددُ النجومِ، فَيُخْتَلَجُ[(445)] العبدُ مِنْهُم فأقول: ربِّ إنَّه مِنْ أُمّتي، فيقول: ما تدري ما أحدث بعدك »[(446)] . فقوله « عليه حوض » يدلُّ على أنَّ الحوضَ يتفرّعُ من النهر، ويدلُّ الحديث أيضاً على أنّ الحوضَ موجودٌ في عَرْصاتِ يوم القيامة قبلَ دخولِ الجنّة، لقوله (ﷺ): « فيختلج العبد منهم » وهذا لا يكونُ في الجنّةِ، لأنّهم في الجنة لا يمنعون من شيءٍ يشتهونه[(447)] .

وقد جاءت الأحاديثُ النبويةُ في بيان حوض النبي (ﷺ) الذي أكرمه الله عزّ وجلّ به، وهو في عَرْصاتِ القيامة، وهو غيرُ الكوثرِ، بل الكوثرُ يكونُ مدداً له، والذي يتَلخّص في صفته أنّه حوضٌ عظيم، وموردٌ كريمٌ، يُمَدُّ شراب الجنة من نهر الكوثر، وماؤه أشدُّ بياضاً من اللبن والوِرْقِ، وأحلى من العسل، وأبردُ من الثلج، وأطيبُ ريحاً من المسك، وهو في غاية الاتّساع، عرضُه وطولُه سواءٌ، كلُّ زاويةٍ من زواياه مسيرةُ شهرٍ، وكيزانُه عددُ نجوم السماءِ، تردُ عليه أمةُ رسولِ اللهِ (ﷺ)، وهو فَرَطُهم عليه، مَنْ شَرِبَ منه شربةً لا يظمأُ بعدَها أبداً[(448)] .

ولقد بيّن لنا رسولُ اللهِ (ﷺ) في أحاديثَ كثيرةٍ الذينَ يردون على حوضه، والذين يُذادون عنه، فيُمنعونَ من الشربِ منه، فمن تلك الأحاديث :

1 . عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه أنّ رسول الله (ﷺ) قال: « إنّ حوضي لأبعدُ مَنْ أَيْلة[(449)] من عدنٍ[(450)]، والذي نفسي بيده إِنّي لأذودُ عنه الرجالَ كما يذودُ الرجلُ الإبلَ الغريبةَ عن حوضِهِ » قالوا: يا رسول الله وتعرفُنا ؟ قال: « نعم ، تردونَ عليَّ غُرّاً محجَّلينَ من اثارِ الوضوءِ، ليستْ لأحدٍ غيركم »[(451)] .

2 . قال رسول الله (ﷺ): « بينما أنا قائمٌ على الحوض إذا زمرةٌ، حتى إذا عرفتُهم خرجَ رجلٌ من بيني وبينهم فقال: هلم، فقلتُ: إلى أينَ؟ قال: إلى النار، والله، قلت: ما شأنهم ؟ قال: إنَّهم ارتدّوا بعدك على أدبارِهم القهقهرى، ثم إذا زمرةٌ، حتى إذا عرفتُهم خرجَ رجلٌ من بيني وبينهم فقال: هلم، قلت: أين ؟ قال: إلى النار، والله قلتُ: ما شأنُهم ؟ قال: إنّهم ارتدوا بعدك على أدبارهم القهقهرى، فلا أراه يخلُصُ منهم إلا هَمَلُ النعم » [(452)] أي فلا يرد الحوض إلا القليل، لأن الهمل من الإبل قليل بالنسبة الى غيره .

3 . وقال رسول الله (ﷺ): « إِنّي فرطُكُم على الحوضِ، مَنْ مَرّ عليَّ شَرِبَ، وَمَنْ شرب، لَمْ يَظْمَأْ أبداً، لَيَرِدَنَّ عليَّ أقوامٌ، أعرفُهم ويعرفونني، ثم يُحالُ بيني وبينهم »[(453)]، وفي حديث اخر « فأقول: إنهم مني، فيقال: إنّكَ لا تَدْرِي ما أحدثوا بَعْدَكَ، فأقول: سُحقاً سُحقاً لمن غيّر بعدي »[(454)] وقال النووي

في شرح بعض روايات الحديث عند قوله (ﷺ): (هل تدري ما أحدثوا بعدك) المراد به على أقوال :

القول الأول: إن المراد به المنافقون والمرتدّون، فيجوزُ أنّ يُحْشَروا بالغُرّة والتحجيل، فيناديهم النبيُّ (ﷺ) للسمة التي عليهم فيقال: ليس هؤلاءِ ممّا وُعدتَ بهم، إنَّ هؤلاء بدّلوا بعدك، أي لم يموتوا على ما ظهرَ من إسلامهم .

القول الثاني: إنّ المراد مَنْ كان في زمن النبي (ﷺ) ثم ارتدَّ بعدَهُ، فيناديهم النبيُّ (ﷺ) إنْ لم يكن عليهم سمةُ الوضوءِ، لما كان يعرفُه (ﷺ) في حياته من إسلامهم، فيقال: ارتدوا بعدك .

القول الثالث: إنّ المرادَ به أصحابُ المعاصي والكبائر، الذين ماتوا على التوحيد، وأصحابُ البدعِ الذين لم يخرجوا ببدعتهم عن الإسلام، وعلى هذا لا يُقْطعُ بهؤلاء الذين يُذَادُوْنَ بالنار، يجوز أن يذادوا عقوبةً لهم، ثم يرحمهم سبحانه وتعالى، فُيدْخِلُهم الجنة بغيرِ عذابٍ[(455)]، ونقل هذه الأقوال، أو قريباً منها، القرطبي وابن حجر رحمها الله تعالى[(456)] .

ولا يمتنعُ أن يكونَ أولئك المذادون عن الحوضِ هم من مجموع تلك الأصناف المذكورة، فإنَّ الرواياتِ محتملةٌ لكلِّ هذا، ففي بعضها يقول النبي (ﷺ): «فأقول أصحابي»[(457)] و«أُصيحابي»[(458)] بالتصغير . وفي بعضها يقول: « سيؤخذ أناسٌ من دوني فأقول: يا ربي مني ومن أمتي » وفي بعضِها يقول:

« ليردنَّ عليَّ أقوامٌ أعرفُهم ويعرفونني »[(459)] وظاهرُ ذلك أنَّ المذادين ليسوا طائفةً واحدةً، وهذا هو الذي تقتضيه الحكمةُ، فإنَّ العقوباتِ في الشرع تكونُ بحسب الذنوب، فيجتمع في العقوبة الواحدة كلُّ مَنِ استوجبها من أصحابِ ذلك الذنب[(460)].

وإذا كان النبيُّ (ﷺ) قد بيّن أنّ سببَ الذودِ عن الحوض هو الارتدادُ كما في قوله: « إنهم ارتدوا على أدبارهم » أو الإحداثِ في الدين كما في قوله: « إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك » فمقتضى ذلك هو أن يُذَادَ عن الحوضِ كلُّ مرتدٍ عن الدين، سواء أكان ممن ارتدَّ بعد موتِ النبي (ﷺ) من الأعراب، أو منْ كان بعدَ ذلك، يشارِكُهم في هذا أهلُ الأحداثِ، وهم المبتدعةُ، وهذا ما ذهبَ إليه بعضُ أهل العلم، وكذلك الظلمةُ المسرفون في الجور وطمس الحق، والمعلنون بالكبائر، وكلُّ هؤلاء يُخاف عليهم أن يكونوا ممن عُنوا بهذا الخبر والله أعلم[(461)] .

فالذود عن الحوض إنّما هو بسبب الردة أو الإحداث في الدين، والصحابةُ من أبعدِ الناس عن ذلك، بل هم أعداءُ المرتدين، الذين قاتلوهم، وحاربوهم في أصعب الظروف وأحرجها بعد موت النبي (ﷺ)، فقد تصدّى أصحابُ النبي (ﷺ) لهؤلاء المرتدين، وقاتلوهم قتالاً عظيماً، وناجزوهم حتى أظهرهم الله

عليهم، فعاد للدين من أهل الردة مَنْ عادَ، وقُتِلَ منهم من قُتِلَ، وعاد للإسلام عزُّه وقوتُه وهيبتُه على أيدي الصحابة رضي الله عنهم .

وكذلك أهلُ البدع كان الصحابةُ رضوان الله عليهم أشدَّ الناسِ إنكاراً عليهم، لهذا لم تشتدَّ البدعُ وتقوى إلا بعد انقضاء عصرهم، ولما ظهرتْ بعضُ بوادرِ البدع في عصرِهم أنكروها، وتبرّؤوا منها ومن أهلها[(462)]، وهذه المواقفُ العظيمةُ للصحابة من أهل الردّة وأهل البدع، من أكبر الشواهد الظاهرة على صدق تدينهم، وقوة إيمانهم، وحسنِ بلائهم في الدين، وجهادهم أعداءَه بعد موتِ رسول الله (ﷺ)، حتى أقامَ الله بهم السُّنةَ، وقمعَ البدعَ، الأمرُ الذي يظهرُ به كَذِبُ مَنْ رماهم بالردة والإحداث في الدين، والذود عن حوض النبي (ﷺ)، بل هم أولى الناسِ بحوضِ نبيّهم، لحُسْنِ صحبتهم له في حياته، وقيامهم بأمرِ الدين بعد وفاته .

ولا يُشْكِلُ على هذا قولُ النبيّ (ﷺ): « لَيَرِدَنَّ عليَّ ناسٌ من أصحابي الحوضِ، حتى إذا عرفتُهم اختلجوا دوني »[(463)]، فهؤلاء هم مَنْ ماتَ النبيُّ (ﷺ) وهم على دينه، ثم ارتدوا بعد ذلك، كما ارتدت كثيرٌ من قبائلِ العرب بعدَ موتِ النبيِّ (ﷺ)، فهؤلاء في علم النبيِّ (ﷺ) من أصحابه، لأنَّه ماتَ وهم على دينه، ثم ارتدّوا بعد وفاته، ولذا يقال له: « إنّكَ لا تدري ما أحدثوا

بعدك » إنّهم ارتدوا على أدبارِهم القهقرى[(464)]، فظاهِرٌ أنّ هذا في حَقِّ المرتدين بعد موتِ النبيّ (ﷺ) .

وأين أصحابُ النبيِّ (ﷺ) الذين قاموا بأمر الدين بعدَ نبيهم خيرَ قيام، فقاتلوا المرتدين، وجاهدوا الكفّار والمنافقين، وفتحوا بذلك الأمصار، حتى عمَّ دينُ اللهِ كثيراً من الأمصار، مِنْ أولئك المنقلبين على أدبارِهم .

وهؤلاء المرتدون لا يدخلون في الصحابة، ولا يشملُهم مصطلح الصُّحبةِ إذا ما أطلق، فالصحابي كما عرّفه العلماءُ المحققون: من لقيَ النبيَّ (ﷺ) مؤمناً به، وماتَ على الإسلام[(465)] .

فاللهم ارزقنا شَرْبةً هنيئةً مريئةً من حَوْضِ النبيِّ (ﷺ) لا نَظْمَأُ بعدَها أبداً .

ج . الميزان :

قال تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلاَ تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ﴾ [الأنبياء: 47] قال العلماءُ: وإذا انقضى الحسابُ كان بعدَه وزنُ الأعمال، والوزنُ لإظهارِ مقاديرِها، ليكونَ الجزاءُ بحسبها[(466)] .

وقد ذُكِرَ لفظُ الوزنِ والميزانِ في القرآن الكريم في ثلاث وعشرين اية، منها خمس عشرة آية خاصّةً بالبحث على إقامةِ العدل في ميزان الدنيا، والحذرِ من

التطفيفِ في الكيل والميزان ... المستوجبِ لعذابِ الله، ومنها ثماني آيات خاصة بالوزن في الآخرة[(467)] .

وقد دلّتِ السنة المطهرة على أنَّ الميزانَ ميزانٌ حقيقي، لا يقدر قدره إلا الله عز وجل، قال رسول الله (ﷺ): « يُوْضَعُ الميزانُ يوم القيامةِ، فلو وُزِنَ فيه السماواتُ والأرضُ لوسعتْ، فتقولُ الملائكةُ: يا ربِّ لِمَنْ يَزِنُ هذا ؟ فيقولُ الله تعالى: لمن شئتُ مِنْ خَلْقِي، فتقولُ الملائكةُ: مَنْ تجيزُ على هذا ؟ فيقولُ: مَنْ شئتُ مِنْ خَلْقِي، فيقولون: سبحانك ما عبدناك حقَّ عبادتك» [(468)].

1 . دقة الميزان:

قال تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلاَ تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ *﴾ [الأنبياء: 47]

يخبرُ تعالى في هذه الآية عن القضاء العادل يومَ القيامةِ بأنّه يوازِنُ بين أعمال العباد موازنةً دقيقةً، فيحاسبُ كُلاًّ على أعماله، ووصفَ الله تعالى الموازينَ بالقسطِ، لأنَّ الميزانَ قد يكونُ مستقيماً، وقد يكون بخلافه، فبيَّن أنَّ تلك الموازين تجري على حدِّ العدل والقسطِ، وأكد ذلك بقوله: ﴿فَلاَ تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا﴾ .

وقد صور القرآن الكريم دقّة الموازنةَ بصورةٍ حسيةٍ من مألوف الناس، قال تعالى: ﴿وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ *وَمَنْ

خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ *﴾ [الأعراف: 8 . 9] .

كما صوّر الحديثُ النبويُّ ذلك الميزان الدقيق العادل بصورة حسية قال رسول الله (ﷺ): « تُوْضَعُ الموازينُ يومَ القيامةِ، فيُؤْتَى بالرَّجُلِ، فيوضَعُ في كِفّةٍ، فيُوْضَعُ ما أحْصِي عليه، فتَمَايلَ به الميزانُ، قال: فَيُبْعَثُ به إلى النَّارِ، قال: فإذا أُدْبِرَ بِهِ، إذا صائحٌ يصيحُ من عندِ الرحمنِ يقول: لا تَعْجَلُوا لا تَعْجَلُوا، فإنَّه قد بقيَ له، فُيؤتَى ببطاقةٍ فيها، لا إله إلا الله، فتوضعُ مع الرَّجُل في كِفّةٍ، حتّى يميلَ به الميزانُ »[(469)] .

2 . المؤمنون هم المفلحون:

ذكر الله سبحانه في القرآن الكريم أنَّ مَنْ ثَقُلَتْ موازينُه بأنْ رجحتْ من موازين أعمالُه بالإيمانِ وكثرةِ الحسناتِ، فأولئك هم الفائزون بالجنة، الناجونَ من العذابِ، فالمؤمنون على تفاوت درجاتهم في الأعمال همُ المفلحون، وإنْ عُذّبوا على بعضِ ذنوبهم بمقدارها[(470)] .وفي ذلك يقول الله في آيات كثيرة منها: قوله تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلاَ أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلاَ يَتَسَاءَلُونَ *فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ *وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ *تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ

فِيهَا كَالِحُونَ *﴾ [المؤمنون: 101 . 104] وقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ *فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ *﴾ [القارعة: 6 . 7] .

3 . الأعمال التي تثْقُلُ في الميزانِ:

إنّ كلَّ أعمالِ البرِّ والطاعةِ تثقلُ في الميزانِ، وتجعلُ كِفّةَ الحسناتِ راجحةً على كِفّةِ السيئاتِ، ولكنْ هناكَ أشياءُ تجعلُ كفَّة الحسناتِ ثقيلةً جدّاً، منها[(471)] :

أ . **حُسْنُ الخلق**: قال رسول الله (ﷺ): « ما مِنْ شيءٍ أَثْقَلُ في ميزانِ العبدِ المؤمنِ يومَ القيامةِ مِنْ حُسْنِ الخُلُقِ، وإنَّ اللهَ يُبْغِضُ الفاحِشَ البَذِيءَ»[(472)].

ب . **تسبيح الله وتحميده**: قال رسول الله (ﷺ): « كلمتانِ خفيفتانِ على اللسانِ، ثقيلتانِ في الميزانِ، حبيبتانِ إلى الرحمنِ: سبحانَ اللهِ وبحمدهِ وسبحانَ اللهِ العظيم »[(473)] .

ج . **الحمد لله**: قال رسول الله (ﷺ): « الطُّهورُ شَطْرُ الإيمانِ، والحمدُ لله تملأُ الميزانَ، وسُبحانَ الله والحمْدُ للهِ تملان . أو تملأ . ما بينَ السماواتِ والأرضِ، والصلاةُ نورٌ، والصدقةُ برهانٌ، والصبرُ ضياءٌ، والقرآن حُجَّةٌ لكَ أو عليكَ، كلُّ الناسِ يغدو، فبائعٌ نفسَه، فمعتقُها أو موبقُها »[(474)] . ففي قوله:

«وسبحان الله والحمد لله تملان ـ تملأ ـ ما بين السموات والأرض » سببُ عظيمُ فضلِها ما اشتملت عليه من التنزيه لله تعالى، والافتقار إليه[(475)] .

د ـ احتباسُ الخيلِ في سبيل الله: قال رسول الله (ﷺ): « مَنِ احتبسَ فرساً في سبيلِ اللهِ إيماناً باللهِ، وتصديقاً بوعدِهِ، كان شِبَعُهُ ورِيُّهُ وَرَوْثُهُ وبَوْلُهُ حسناتٍ في ميزانه يومَ القيامةِ »[(476)] .

د ـ الصراط:

إنّ الصراط جسرٌ ممدودٌ على متن جهنم، أحدُّ من السيفِ، وأدقُّ من الشَّعْرِ، يمرُّ عليه جميعُ الخلائق، وهم في جوازِهِ متفاوتون[(477)] فيقع فيها أهلها، وينجو الآخرون[(478)] قال تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا *ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا *﴾ [مريم: 71-72] والمراد بالورود في الآية المرور على الصراط، وعن جابر عن أم مبشر، عن حفصة قالت: قال النبيُّ (ﷺ): « إنّي لأرجو ألا يدخل النارَ أحدٌ إنْ شاءَ الله تعالى ممّن شهدَ بدراً والحديبية » . قالت: قلتُ: يا رسول الله، أليس قد قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا

مَقْضِيًّا *﴾، قال: « ألم تسمعيه يقول: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا *﴾ [مريم: 72] »[(479)] .

وقال تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ *يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انْظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ *يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَى وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الأَمَانِيُّ حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ *فَالْيَوْمَ لاَ يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ وَلاَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوَاكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلاَكُمْ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ *﴾ [الحديد: 12 . 15] .

لقد كرّم الله تعالى المؤمنين يومئذٍ تكريماً عظيماً، إذ يمرّون على الصراط بسرعاتٍ مختلفةٍ، وأنوارٍ متفاوتةٍ، أما المنافقون فلا نور لهم[(480)] .

وقال تعالى: ﴿يَوْمَ لاَ يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ*﴾ [التحريم: 8] وفي قوله تعالى: على قدر ﴿يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾، يمرّون على الصراط، منهم من نُورُه مثلُ الجبل، ومنهم من نورُه مثل النخلةِ،

ومنهم من نورُه مثل الرجل القائم، وأدناهم نوراً من نورُه في إبهامه يتّقدُ مرةً، ويطفأ مرةً »[(481)] .

1 . المؤمنون يشفعون لإخوانهم في النار:

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه في حديثه الطويل في سياق الشفاعة عن رسول الله (ﷺ) وفيه: « ثم يُضْرَبُ الجِسْرُ على جهنم، وتحلُّ الشفاعةُ، ويقولون: اللهمَّ سلّم سلّم » قيل: يا رسول الله، وما الجسر؟ قال: « دَحْضٌ[(482)] مَزَلّةٌ، فيه خطاطيفُ وكلاليبُ وحَسَكٌ، تكونُ بنجدٍ فيها شويكةٌ يقال لها السعدان، فيمرُّ المؤمنون كطرفِ العينِ وكالبرقِ، وكالريحِ، وكالطير، وكأجاويدِ الخيلِ، والرّكابِ، فناجٍ مُسَلَّمٌ، ومخدوشٌ مُرْسَلٌ، ومكدوسٌ في نارِ جهنّم، حتى إذا خلصَ المؤمنونَ من نارِ جهنم، فوالذي نفسي بيده ما مِنْكُم من أحدٍ بأشدَّ مناشدةً لله في استقصاءِ الحق من المؤمنين لله يوم القيامة لإخوانهم الذين في النار، يقولون: ربّنا كانوا يصومون معنا، ويصلّون ويحجّون، فيقال لهم: أخرجوا مَنْ عرفتُم، فتحرَّمُ صورُهم على النار، فيُخرِجون خلقاً كثيراً قد أخذتِ النّارُ إلى نصفِ ساقيه، وإلى ركبتيه، ثم يقولون: ربّنا ما بقي فيها أحدٌ ممن أمرتنا به ... » [(483)] .

2. الأمانةُ والرحمُ على جنبتي الصراط:

قال رسول الله (ﷺ): « وتُرسَلُ الأمانةُ والرَّحِمُ، فتقومانِ على جنبتي الصراطِ يميناً وشمالاً، فيمرُّ أولُكم كالبرقِ» . قال: قلتُ: بأبي وأمي، أيُّ شيءٍ كالبرق؟ قال: « ألم تروا إلى البرقِ كيف يمرُّ ويرجِعُ في طَرْفَةِ عينٍ؟ ثم كمرِّ الريحِ، ثم كمرِّ الطيرِ، وشدِّ الرحالِ، تجري بهم أعمالُهم، ونبيُّكم قائمٌ على الصراطِ يقولُ: ربِّ، سلّم سلّم، حتى تعجزَ أعمالُ العبادِ، حتى يجيءَ الرجلُ، فلا يستطيعُ السيرَ إلا زَحْفاً، قال: وعلى حافتي الصراطِ كلاليبُ معلَّقةٌ مأمورةٌ بأخذِ مَنْ أُمِرَتْ به، فمخدوشٌ ناجٍ، ومكدوسٌ في النارِ »[(484)] .

فياله من موقف يشيب لهوله الولدان !

ها هي الأمانةُ على الصراطِ تقولُ لكلِّ خائنٍ يمرُّ عليها: أينَ الأمانةُ التي ضيعتَها ؟ ... أين أمانةُ الطاعةِ ؟ ... أينَ أمانةُ الزوجةِ والأولادِ ؟ أينَ أمانةُ الأموالِ التي سرقتها ؟ أينَ أمانةُ الشهادةِ لهذا الدين ؟ أينَ الأماناتُ التي أبت السماواتُ والأرضُ والجبالُ أن يحملنها، وأشفقنَ منها، وحملتها أنتَ أيها الإنسان، بل ها هي الرحمُ تتعلّقُ على الصراطِ لتقولَ لكلِّ مَنْ قطعها: أينَ صلةُ الرَّحِمِ التي قطعتَها في الدنيا ؟ وماذا ستصنعُ اليومَ أمام تلك الأهوال[(485)]؟

قال رسول الله (ﷺ): « إنّ الله تعالى خلقَ الخلقَ، حتّى إذا فرغَ منهم، قامتِ الرحمُ فقالت: هذا مقامُ العائذِ بكَ من القطيعةِ، قال: نعم، أما ترضينَ أنْ أصلَ مَنْ وصلكِ، وأقطعَ من قطعكِ ؟ قالتْ: بلى، قال: فذلكَ لكِ » ثم قال رسول اللهِ (ﷺ): « اقرءوا إن شئتم ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ *أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ *﴾ [محمد: 22 . 23][(486)] .

وقال رسول الله (ﷺ): « ما مِنْ ذنبٍ أجدرُ أنْ يُعَجِّلَ اللهُ تعالى لصاحبِهِ العقوبةَ في الدُّنيا مَعَ ما يدّخره له في الآخرة من قطيعةِ الرحمِ، والخيانةِ، والكذبِ، وإنَّ أعجلَ الطاعةَ ثواباً لصلةُ الرَّحِمِ، حتّى إنّ أهلَ البيتِ ليكونوا فجرةً، فتنموا أموالُهم، ويكثرَ عددُهم، إذا تواصلوا »[(487)] .

3 . تهذيب المؤمنين وتنقيتهم قبل دخولهم الجنة:

بعد أن يجتازَ المؤمنون الصراط يُوْقَفون على قنطرةٍ بين الجنّةِ والنار، ثم يهذّبون وينقّون، وذلك بأنْ يقتصَّ لبعضهم من بعضٍ ،إذا كانتْ بينهم مظالم في الحياة الدنيا، حتى إذا دخلوا الجنة، كانوا أطهاراً أبراراً، ليس لأحدٍ عند الآخر مظلمةٌ، ولا يطلبُ بعضُهم بعضاً بشيءٍ من غِلٍّ وبُغْضٍ، قال تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ﴾ [الأعراف: 43] .

قال رسول الله (ﷺ): « يخلصُ المؤمنون من النارِ، فَيُحْبَسُوْنَ على قنطرةٍ بين الجنّةِ والنار، فيُقتصُّ لبعضِهم من بعضٍ مظالم كانت بينهم في الدنيا، حتى إذا هُذِّبوا ونُقُّوا أُذِنَ لهم في دخولِ الجنّةِ، فوالذي نفسُ محمّدٍ بيده لأحدُهم أهدى بمنزله في الجنة منه بمنزله كان في الدنيا »[(488)] .

ثم الناسُ بعد تجاوز قناطر الصراط على نوعين: نوعٌ تساوت حسناتهم وسيئاتهم، فهؤلاء أهلُ الأعراف، وهو سور بين النار والجنة[(489)]، قال تعالى: ﴿وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلاًّ بِسِيمَاهُمْ وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلاَمٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ *﴾ **[الأعراف: 46]**.

ونوع رجحت حسناتهم سيئاتهم وهم أهل الجنة .

4 . عظة المرور على الصراط:

تفكر الان فيما يحلّ بك من الفزع بفؤادك إذا رأيتَ الصراطَ ودقّته، ثم وقع بصرك على سواد جهنم من تحته، ثم قرع سمعُك شهيقُ النار وتغيّظها، وقد كُلّفتَ أن تمشي على الصراط، مع ضعفِ حالكَ، واضطرابِ قلبك، وتزلزل قدمِكَ، وثِقَلِ ظهرِكَ بالأوزار، المانعةِ لك من المشي على بساط الأرض، فضلاً عن حِدَّة الصراط، فكيف بك إذا وضعتَ عليه إحدى رجليك ؟ فأحسست بحدِّته، واضطررتَ إلى أن ترفع قدمكَ الثانية، والخلائق بين يديك يزلّون، ويعثرون، وتتناولهم زبانيةُ النار بالخطاطيفِ والكلاليبِ، وأنت تنظرُ

إليهم كيف يُنَكِّسون إلى جهة النار رؤوسَهم، وتعلو أرجلُهم، فيا له من منظرٍ ما أفظعه، ومرتقًى ما أصعبه، ومجازٍ ما أضيقه[(490)]!!

قال الشاعر[(491)] :

أَبَتْ نفسي تتوبُ فما احتيالي	إذا برزَ العبادُ لذي الجلالِ
وقاموا من قبورِهمُ سُكَارى	بأوزارٍ كأمثالِ الجبالِ
وقد نُصَبَ الصّراطُ لكي يَجُوْزُوا	فمنهم مَنْ يُكَبَّ على الشِّمَالِ
ومنهم مَنْ يسيرُ لدارِ عَدْنٍ	تلقّاه العرائسُ بالغوالي[(492)]
يقول له المهيمنُ: يا وليي	غفرتُ لك الذنوبَ فلا تبالي

* * *

الفصل الرابع: النار والجنة

المبحث الأول: مقدمات .

المبحث الثاني: النار .

المبحث الثالث: موانع إنفاذ الوعيد .

المبحث الرابع: الجنة .

المبحث الأول: مقدمات الجنة والنار موجودتان، لا تفنيان وبيان مكانهما، وأهل الأعراف

أولاً: خلود الجنة والنار :

الجنة والنار خالدتان أبداً، والأدلة على ذلك كثيرةٌ، وهي تدلُّ على خلودِ أهل الجنة والنار، وهذا يستلزمُ خلودَ الجنة والنار، ولازمُ الحقّ حقٌّ .

1 . أما الجنة فقد دل على خلودها الكتاب والسنة :

أما القرآن الكريم فقد قال تعالى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ *﴾ [هود: 108] يعني غيرَ مقطوعٍ، وقال تعالى: ﴿لاَ يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ *﴾ [الحجر: 48] فقد نفى الله تعالى عنهم الخروجَ منها والموتَ فيها، تأكيداً لمعنى أبدية الخلود، وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلاًّ ظَلِيلاً *﴾ [النساء: 57] .

وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلاً *﴾ [النساء: 122][(493)] .

وأما في السنة: فمنها قول رسول الله (ﷺ): « ينادي منادٍ، (يعني أهل الجنة) أنّ لكم أن تحيوا، فلا تموتوا أبداً، وأنَّ لكم أن تصحِّوا، فلا تسقموا أبداً، وأنّ لكم أن تشبّوا فلا تهرموا أبداً، وأنّ لكم أن تنعموا، فلا تبأسوا أبداً، فذلك قوله عز وجل: ﴿وَنُودُوا أَنْ تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ *﴾ [الأعراف: 43] »[(494)] .

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قال: قال رسول الله (ﷺ): « يؤتى بالموتِ كهيئةِ كبشٍ أملحَ، فينادي منادٍ: يا أهل الجنّةِ، فيشرئبونَ وينظرونَ، فيقولُ: هل تعرفونَ هذا ؟ فيقولون: نعم، هذا الموت، وكلّهم قد راه فيذبح، ثم يقول: يا أهلَ الجنّةِ خلودٌ فلا موتَ، ويا أهلَ النارِ خلودٌ فلا موتَ، ثم قرأ: ﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ *﴾ [مريم: 39] »[(495)] .

2 . وأما خلود النار: فقد دل على خلودها الكتاب والسنة :

أما القرآن فقد قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ *لاَ يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ *﴾ [الزخرف: 74 . 75]، وقال تعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا

تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ *لَوْ كَانَ هَؤُلاَءِ آلِهَةً مَا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ *﴾ [الأنبياء: 98 . 99]، وقال تعالى: ﴿بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ*﴾ [البقرة: 81] .

وأما السنة فحديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبيِّ (ﷺ) قال: « مَنْ تردَّى مِنْ جبلٍ فقتلَ نفسَهُ، فهو في نارِ جهنمَ، يتردّى فيها خالداً مخلّداً، ومن تحسَّى سمّاً، فقتل نفسَه، فسمُّه في يده يتحسّاه في نار جهنم خالداً فيها أبداً، ومن قتلَ نفسَه بحديدةٍ، فحديدتهُ في يده، يجأُ بها في بطنه في نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبداً »[(496)] .

3 . هل المراد بالخلود طولُ المكث :

قد يقول القائل: إنَّ المراد بالخلودِ هو طولُ المكثِ لا أبديتُه، والناسُ تسمي أبناءها خالداً تفاؤلاً بطول بقائه، وهم يوقنون أنّه ميتٌ لا محالة، وتقول العرب :

فلان خلّدَ اللّهُ ملكه، يعني أطال الله ملكه، ولكن إلى أمدٍ ،لا إلى الأبدِ، والرجلُ الذي أسنَّ ولم يشبْ تقول عنه العرب مخلَّد[(497)] .

والجواب: الأصل في معنى الخلود هو دوامُ البقاءِ وأبديتُه، قال صاحب (لسان العرب): الخُلْودُ دوامُ البقاء في دارٍ لا يخرجُ منها[(498)]، وإنّما يُطْلَقُ الخلودُ

على طولِ البقاءِ لا أبديته بقرينةٍ، كما هو الحال في النار بالأبد لدفع هذا الوهم، وهي بالتتبعِ ثلاثةُ مواضعَ في كتاب الله :

الموضع الأول ـ قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلاَ لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا *إِلاَّ طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا*﴾ [النساء: 168 ـ 169] .

الموضع الثاني ـ قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا *خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لاَ يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلاَ نَصِيرًا *﴾ [الأحزاب: 64 ـ 65] .

الموضع الثالث ـ قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا *﴾ [الجن: 23] .

وزادت هذا المعنى وضوحاً الآيات التي تنفي خروجهم من النار، وتبيّن أنّ عذابهم مقيم وثابت، وأنَّ العذابَ لا يفتر عنهم، وأنّهم لا يموتون فيها[(499)] .

قال تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يَخْرُجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ *﴾ [المائدة: 37] وقال تعالى: ﴿ذَلِكُمْ بِأَنَّكُمُ اتَّخَذْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا وَغَرَّتْكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ لاَ يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلاَ هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ *﴾ [الجاثية: 35] وقال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ *لاَ يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ *﴾ [الزخرف: 74 ـ 75] وقال تعالى: ﴿وَيَتَجَنَّبُهَا الأَشْقَى *الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَى *ثُمَّ لاَ يَمُوتُ فِيهَا وَلاَ يَحْيَا *﴾

[الأعلى: 11 . 13] وقال تعالى: ﴿إِلاَّ مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ *﴾ [هود: 106 . 107]، ففي تفسير هذه الآية أوجهٌ :

أحدهما: أنّ قوله تعالى ﴿إِلاَّ مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾: إلا مَنْ شاءَ الله عدمَ خلودِه فيها من أهل الكبائر من الموحّدين، وقد ثبت في الأحاديث الصحيحة أنَّ بعضَ أهلِ النارِ يخرجون منها، وهم أهلُ الكبائرِ من الموحّدين، ونقل ابنُ جريرٍ هذا القولَ عن قتادة والضحاك، وأبي سنان، وغيرهم .

الوجه الثاني: أنّ المدةَ التي استثناها الله هي المدة التي بين بعثهم من قبورهم، واستقرارهم في مصيرهم .

الوجه الثالث: أنّ قوله: فيه ﴿إِلاَّ مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾، وقد جاءت الآيات والأحاديث الصحيحة مصرّحةً بأنهم خالدون فيها أبداً، وظاهِرُها أنه خلودٌ لا انقطاع له، والظهورُ من المرجّحات، فالظاهر مقدّمٌ على المجْمَلِ كما هومقرَّرٌ في علم الأصول[(500)] .

4 . وهل تفنى النار ؟ وهل يموت أهلها ؟ وهل يخفف العذاب عن أهلها ؟

أما فناء النار، فقد بيّن سبحانه عدمه بقوله: ﴿كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا *﴾ [الإسراء: 97] ومعلومُ أن ﴿كُلَّمَا﴾ تقتضي التكرارَ بتكرارِ الفعل الذي بعدها.

وأما موتهم: فقد نصَّ تعالى على عدمه بقول: ﴿لاَ يُقْضَى عَلَيْهِمْ﴾ [فاطر: 36] وقوله: ﴿لاَ يَمُوتُ فِيهَا وَلاَ يَحْيَا *﴾ [طه: 74] وقوله: ﴿وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ﴾ [إبراهيم: 17] .

وقد بيّن النبيُّ (ﷺ) في الحديثِ الصحيح، أنّ الموتَ يُجاءُ به يوم القيامة في صورةِ كبشٍ أملح، فيذبحُ، وإذا ذُبِحَ الموتُ حصل اليقينُ بأنّه لا موت، كما قال رسول الله (ﷺ) «يا أهلَ الجنةِ، خلودٌ فلا موتَ، ويا أهل النارِ خلودٌ فلا موتَ»[(501)].

وأما إخراجهم منها: فنصَّ تعالى على عدمه بقوله: ﴿وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ *﴾ [البقرة: 167] وبقوله تعالى: ﴿كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا﴾ [السجدة: 20] وبقوله: ﴿وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ*﴾ [المائدة: 37] .

وأما تخفيف العذاب عنهم: فنصّ تعالى على عدمه بقوله: ﴿وَلاَ يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ *﴾ [فاطر: 36] وقوله ﴿فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلاَّ عَذَابًا *﴾ [النبأ: 30] وقوله: ﴿لاَ يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ *﴾ [الزخرف: 75] وقوله: ﴿إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا *﴾ [الفرقان: 65] وقوله: ﴿فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا *﴾ [الفرقان: 77] وقوله: ﴿لاَ يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلاَ هُمْ يُنْظَرُونَ *﴾ [البقرة: 162] وقوله: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ *﴾ [المائدة: 37] .

وهذا الخلود في حق الكفار لا في حقّ الموحدين من المسلمين من أصحاب الكبائر، ولا غرابة في خلودِ الكفار الأبدي، لأن خبثهم الطبيعيَّ دائمٌ لا يزولُ، فكان جزاؤهم دائماً لا يزولُ، والدليل على أنَّ خبثهم لا يزول قوله تعالى: ﴿وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ﴾ [الأنفال: 23] فقوله نكرةٌ في سياق الشرط فهي ﴿خَيْرًا﴾، فلو كان فيهم خيراً ما، لعلمه الله .

وعذاب الكفار للإهانة والانتقام، لا للتطهير والتمحيص كما أشار إليه تعالى بقوله ﴿وَلاَ يُزَكِّيهِمْ﴾: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ *﴾ [آل عمران: 178] والعلم عند الله تعالى[(502)] .

ثانياً: الجنة والنار مخلوقتان وموجودتان الان:

الجنة والنار مخلوقتانِ وموجودتانِ الان لقوله تعالى: ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ *﴾ [آل عمران: 133] وفي النار ﴿أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ *﴾ [البقرة: 24] والإعدادُ التهيئة، وقد اتفق أهل السنة على هذا .

ومن الأدلة على أنهما موجودتان الان الأحاديثُ التي يذكر فيها النبيُّ (ﷺ) أنه رأى الجنة والنار، ورأى أهلهما، كحديث عبد الله بن عباس أنه قال: «خُسِفَتِ الشمسُ على عهدِ رسولِ الله (ﷺ)، فصلّى رسولُ اللهِ (ﷺ) والناس معه، فقام قياماً طويلاً ... الحديث وفيه: قالوا: يا رسول الله رأيناكَ

تناولتَ شيئاً في مقامِكَ هذا، ثم رأيناكَ تَكَعْكَعْتَ، فقال: « إنِّي رأيتُ الجنةَ، فتناولتُ منها عُنقوداً، ولو أخذتُه لأكلتم منه ما بقيتِ الدُّنيا، ورأيتُ النارَ فلم أرَ كاليوم منظراً قطُّ ، ورأيتُ أكثرَ أهلِها النساءُ »، قالوا: لَمَ يا رسول الله، قال: « بكفرهنَّ »، قيل: يكفرن بالله، قال: « يكفرنَ العشيرَ، ويكفرنَ الإحسانَ، ولو أحسنتَ إلى إحداهنَّ الدهرَ، ثم رأتْ منك شيئاً قالت: ما رأيتُ مِنْكَ خيراً قط» [(503)].

وعن أنسٍ قال: قال رسول الله (ﷺ): « والذي نفسُ محمّدٍ بيده لو رأيتمُ ما رأيتُ لضحكتُم قليلاً، ولبكيتُم كثيراً » قالوا: وما رأيتَ يا رسول الله ؟ قال: « رأيت الجنّةَ والنار »[(504)] .

ثالثاً ـ مكان الجنة:

مكان الجنة فوق السماء السابعة، وتحت عرش الرحمن، أما كونها فوق السماء السابعة فدلَّ عليه القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى *عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى *﴾ **[النجم: 14 ـ 15]** وسدرةُ المنتهى فوق السماء السابعة، كما في حديث الإسراءِ المشهور، وفيه: « ثُمّ عرجَ إلى السماءِ السابعةِ، فاستفتحَ جبريلُ، فقيل: مَنْ هذا؟ قال: جبريلُ، قيل: ومَنْ معك ؟ قال: محمَّدٌ (ﷺ)، قيل: وقد بُعِثَ إليه ؟ قال: قد بُعِثَ إليه، فَفُتِحَ لنا، فإذا أنا بإبراهيمَ عليه

السلام مسنِداً ظهرَه إلى البيتِ المعمورِ، وإذا هو يَدْخُلُه كلَّ يومٍ سبعون ألفَ مَلَكٍ لا يعودون إليه، ثم ذُهِبَ بي إلى سدرةِ المنْتَهى، وإذا ورقُها كاذانِ الفيلةِ، وإذا ثمرُها كالقِلال، قال: فلمّا غشيها من أمرِ اللهِ ما غشّى تغيّرت، فما أحدٌ مِنْ خلقِ الله يستطيعُ أن ينعتَها مِنْ حسنِها، فأوحى الله إليَّ ما أوحى ففرضَ عليّ خمسين صلاةً ... »[(505)] فهذا الحديث يدلُّ على أنّ سِدْرة المنتهى بعدَ السماء السابعة، وبما أنَّ الجنة عندها إذن فهي فوق السماء السابعة[(506)] .

وأما كون الجنة تحت عرش الرحمن فدلَّ على ذلك من السنة، حديث أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي (ﷺ) قال: « مَنْ امنَ باللهِ ورسولِه، وأقامَ الصلاةَ، وصامَ رمضانَ، كان حقًّا على اللهِ أن يُدْخِلَهُ الجنّةَ جاهدَ في سبيلِ اللهِ أو جلسَ في أرضِهِ التي وُلِدَ فيها » . قالوا: يا رسول الله أفلا نبشّرُ الناسَ بذلك . فقال: « إنّ في الجنةِ مئةَ درجةٍ أعدّها الله للمجاهدين في سبيله، كلُّ درجتين ما بينهما كما في السماء والأرض، فإذا سألتُمُ الله فسلوه الفردوسَ، فإنّه أوسطُ الجنةِ وأعلى الجنة وفوقَه عشرُ الرحمن، ومنه تفجّرُ أنهارُ الجنّةِ » [(507)]، فأعلى درجات الجنة هي الفردوس . كما في الحديث . وفوق عرشه الرحمن، إذن فالجنة تحت عرشه سبحانه[(508)] .

رابعاً ـ مكان النار:

قال تعالى: ﴿كَلاَّ إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ *وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ *كِتَابٌ مَرْقُومٌ *﴾ [المطففين: 7 ـ 9] .

وفي حديث البراء: « فيقول الله عزّ وجلّ اكتبوا كتابه في سجين في الأرضِ السُّفلى » سجين فعيل من السجن، وهو الضيق، كما يقال: فسّيق وشرّيب وخمّير وسكير ونحو ذلك، ولهذا أعظم الله أمره فقال: أي أمر ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ *﴾، وسجنٌ مقيم، وعذابٌ أليم، وقد فُسّر في الحديثِ بأنه في الأرض السفلى وقال بعضهم: صخرة تحت الأرض السابعة، وقيل بئر في جهنم، وقيل غير ذلك مما لا دليل عليه، ولا قول بعد قول رسول الله(ﷺ) [(509)] .

والظاهر من الآية أنّ سجينَ هو اسمُ للكتابِ، لأنه تعالى قال: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ *كِتَابٌ مَرْقُومٌ *﴾ ولكن قال الحافظ ابن كثير في تفسيره لقوله تعالى: ﴿كِتَابٌ مَرْقُومٌ *﴾ قال: ليس تفسيراً لقوله: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ*﴾ وإنّما هو تفسيرٌ لما كُتبَ فيه من المصير إلى سجين، أي مرقوم مكتوب مفروغ منه، لا يزادُ فيه أحدٌ، ولا ينقص منه أحد . قاله محمد بن كعب القرظي[(510)] . وهكذا قال الراغب والقاسمي[(511)]، وعليه فيكون قوله تعالى: تفسير ﴿كِتَابٌ مَرْقُومٌ *﴾ تفسير لقوله: ﴿كلا إن كتاب الفجار

لفي سِجّينٌ *﴾ أي إنّ كتابَ الفجّارِ كتابٌ مرقوم، ويكون قوله: ﴿وما أدراك ما سِجّينٍ *﴾، وهذه جملة معترضةٌ بين المفسِّر والمفسَّر، وهذه الآية ليست صريحة في مكان النار .

وقد دلّت الأحاديثُ أنّ النار يؤتى بها يومَ القيامةِ، فتكونُ في موضعٍ قبل مكان الجنة، لأنَّ الصراطَ منصوبٌ على جِسْرِ جهنم[(512)]، ودلَّ حديثُ عبد الله بن مسعود عن رسول الله (ﷺ) قال: « يُؤْتَى بجهنم يومئذٍ لها سبعونَ ألفَ زمامٍ، مع كلِّ زمامٍ سبعونَ ألفَ مَلكٍ يجرّونها »[(513)] .

خامساً: أصحاب الأعراف:

الأعراف: سور بين الجنة والنار[(514)] قال تعالى: ﴿وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلاًّ بِسِيمَاهُمْ وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلاَمٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ *وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لاَ تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ *وَنَادَى أَصْحَابُ الأَعْرَافِ رِجَالاً يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَاهُمْ قَالُوا مَا أَغْنَى عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ *﴾ **[الأعراف: 46-48]** .

وأما أصحاب الأعراف: فهم قومُ استوت حسناتُهم وسيئاتُهم، فمنعتهم حسناتُهم من دخولِ النارِ، وقصّرت بهم سيئاتهم عن دخول الجنة، فيقفون

على السور، حتى يُقْضَى بين الناس، ثم يدخلهم الله الجنة برحمته، نقله البيهقي في كتابه (البعث والنشور) عن جمع من الصحابة والتابعين[(515)].

وقال عبد الله بنُ المبارك عن أبي بكر الهُذلي قال: قال سعيد بن جبير وهو يحدِّث عن ابنِ مسعود قال: يحاسَبُ الناسُ يومَ القيامةِ، فَمَنْ كانت حسناتُه أكثرَ من سيئاته بواحدةٍ دخل الجنّةَ، ومَنْ كانتْ سيئاتُه أكثرَ من حسناتِهِ بواحدةٍ دخلَ النار، ثم قرأ قولَ الله تعالى: ﴿رَاضِيَةٍ * وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ *فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ *وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَه *نَارٌ حَامِيَةٌ *﴾ [القارعة: 6 . 11] .

ثم قال: الميزان يخفُّ بمثقال حبة ويرجحُ، قال: ومن استوت حسناته وسيئاته كان من أصحاب الأعراف، فوقفوا على الصراط، ثم عرفوا أهل الجنة وأهل النار، فإذا نظروا إلى أهلِ الجنّةِ نادوا وإذا صرفوا أبصارهم إلى يسارهم نظروا أهل النار تعوّذوا بالله من ﴿وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [الأعراف: 47].

قال: فأمّا أصحابُ الحسنات، فإنّهم يعطَوْنَ نوراً يمشون به بين أيديهم وبأيمانهم، ويعطى كلُّ عبدٍ يومئذٍ نوراً، وكل أمة نوراً، فإذا أتوا على الصراط سلبَ الله نور كلِّ منافقٍ ومنافقةٍ، فلمّا رأى أهلُ الجنةِ ما لقيَ المنافقون قالوا: ﴿رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا﴾ .

وأما أصحاب الأعراف فإنَّ النورَ كان بأيديهم فلم ينزع، فهنالك يقول الله تعالى: فكان الطمعُ ﴿لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ *﴾، فقال ابن مسعود: إنَّ العبدَ إذا عمل حسنةً كُتِبَ له بها عَشْرٌ، وإذا عملَ سيئةً لم تكتبْ إلا واحدةً، ثم يقول: هلك من غلبتْ احادُه عشراتِهِ[(516)] . وفي قوله تعالى قال ابن ﴿وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلى الأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلاًّ بِسِيمَاهُمْ وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلاَمٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ *﴾: يعرفون أهل الجنة ببياض الوجوه، وأهلُ النار بسوادِ الوجوه[(517)] .

* * *

المبحث الثاني: النَّار

1 . النار: هي الدَّار التي أعدها الله في الآخرة لعذاب الكفرة والفسقة والعصاة.

أولاً . أسماء النار :

وأسماء النار التي ذكرت من القرآن ثمانيةٌ، أولها وأشهرها :

1 . النار .

وأما البقية فهي كالاتي :

2 . سعير:

قال تعالى: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا*﴾ **[الفرقان: 11]** وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ *﴾ **[الملك: 5]** .

3 . جهنم:

قال تعالى: ﴿وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ *﴾ **[الملك: 6]**
وقال تعالى: ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا *﴾ **[النبأ: 21]** .

4 . لظى:

قال تعالى: ﴿كَلاَّ إِنَّهَا لَظَى *نَزَّاعَةً لِلشَّوَى *تَدْعُو مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّى *وَجَمَعَ فَأَوْعَى *﴾ **[المعارج: 15 . 18]** اللظى: اللهبُ الخالص، وقال تعالى: ﴿فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى *لاَ يَصْلاَهَا إِلاَّ الأَشْقَى *﴾ **[الليل: 14 . 15]** التظاءُ النارِ: التهابُها، وتلظّيها: تلهّبها، وقوله تعالى: ﴿فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى *﴾ **[الليل: 14]** أي تتوهج وتتوقد[(518)] .

5 . سقر:

قال تعالى: ﴿لِلْبَشَرِ * عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ *﴾ **[المدثر: 26 . 30]** وقال تعالى: ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى﴾ **[القمر: 48 . 49]** والسقر: البعدُ، وسَقَرَتْهُ الشمسُ: لوّحته، والمتْ دماغَه بحرِّها، ويوم مُسقّر: شديدُ الحرِّ[(519)].

6 . الهاوية:

قال تعالى: ﴿فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ *وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَه *نَارٌ حَامِيَةٌ *﴾ **[القارعة: 9 . 11]** وسُمّيت النارُ بالهاويةِ لبعدِ قعرها، فمن سقطَ يهوي فيها، ومعنى أُمُّه هاوية: أي مستقرُّه الهاويةِ[(520)] .

7 . الحطمة:

قال تعالى: ﴿كَلاَّ لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ *وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ *نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ *الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الأَفْئِدَةِ *إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُؤْصَدَةٌ *فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ *﴾ [الهمزة: 4-9] والحَطْمُ: الكَسْرُ في أيِّ وجهٍ كان، قيل: هو كَسْرُ الشيءِ اليابسِ خاصةً، كالعظم ونحوه[(521)]، وسُمّيتِ النارُ بذلك لأنَّها تحطِمُ رأسَ وعظامَ كلِّ مَنْ دخلَها[(522)] .

8 . الجحيم:

قال تعالى: ﴿خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ *﴾ [الدخان: 47] . قال رسول الله (ﷺ): « أتاكُم رمضانُ شهرٌ مباركٌ، فرضَ اللهُ عزّ وجلّ عليكُم صيامَهُ، تُفْتَحُ فيه أبوابُ السماءِ، وتُغْلَقُ فيه أبوابُ الجحيمِ، وتُغَلُّ فيه مَرَدَةُ الشياطينِ، للهِ فيه ليلةٌ خيرٌ مِنْ ألفِ شهرٍ، مَنْ حُرِمَ خيرَها، فَقَدْ حُرِمَ»[(523)]. الجاحِمُ: المكانُ الشديدُ الحرِّ، وجَحَمَ النارَ أوقدها، ورأيتُ جحمةَ النارِ أي توقُّدَها، وكلُّ نارٍ عظيمةٍ في مهواة فهي جحيمٌ، ومنه قوله تعالى: ﴿قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَاناً فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ *﴾ [الصافات: 97] وكلُّ نارٍ توقد على نارٍ جحيمٍ، وهي نارٌ جاحمةٌ[(524)]، وسمّيتِ النارُ بالجحيم لأنَّها نارٌ عظيمةٌ في مهواة، وهي نارٌ توقَدُ على نارٍ، كما قال تعالى: أي التي أوقد ﴿نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ *﴾ .

هذا وقد ذهبَ بعضُهم إلى أنّ هذه الأسماء إنّما هي أسماءٌ لأبوابِ جهنم ، قال ابن عباس في قوله تعالى: ﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ*﴾ [الحجر: 44] : جهنم، والسعير، ولظًى، والحطمة، وسقر، والجحيم، والهاوية، وهي أسفلهم . وقال بعضُهم: إنَّ هذه الأسماء إنّما هي لِدَرَكاتِ[(525)] النار .

والصحيحُ أنَّ هذه الأسماء للنار لا لأبوابها ولا لدركاتها، لأنّ الاثارَ التي ذكرت ضعيفةٌ، وجميعُ المفسرين عند تفسيرهم للآيات السابقة ،إنّما يذكرون أنَّ هذه الأسماء أسماءٌ للنارِ لا غير، وسياقُ الآيات يدلُّ على أنّ المرادَ هو النارُ نفسُها لا أبوابها ولا دركاتها، خُذْ مثلاً على ذلك قولَه تعالى: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا *﴾ [الفرقان: 11] . فبعيدٌ أن يكون المعنى: وأعتدنا لمن كذّب بالساعةِ باباً، وكذا قوله تعالى: ﴿كَلاَّ لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ *﴾ [الهمزة: 4] ليس معناه لينبذَنّ في بابِ اسمه الحُطَمة، وقوله تعالى: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ *نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ *﴾ [الهمزة: 5 . 6] نصٌّ في أنّ هذا اسمٌ للنارِ، وكذا قوله تعالى: ﴿فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ *وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ *نَارٌ حَامِيَةٌ *﴾ [القارعة: 9 . 11] . وقوله: ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وَجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ *﴾ [القمر: 48] .

ومعاني الأسماء تقوِّي هذا الرأي أيضاً، فالنارُ كلُّها تلتهبُ، وتستعَّرُ، وتتلظَّى، وتسقّر، وهي كلُّها سوداءُ، لا بابُها فقط، ولا جزءٌ من أجزائها، وهي هاويةٌ بعيدةُ القعرِ، ليس البابُ، ولا أظنُّ أنَّ النارَ ليس فيها إلا سبع دركاتٍ فقط، قال تعالى: ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِمَّا عَمِلُوا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عمَّا يَعْمَلُونَ *﴾ [الأنعام: 132] وأهل النار ليسوا على سبعة مستويات فقط، فمنهم من يوضَعُ تحت رجله جمرةٌ من النار فيغلي دماغُه، وهو أهونُ أهلِ النار عذاباً، ثم يتدرّجُ العذابُ، حتى يصلَ إلى عذابِ المنافقين ،الذين هم في الدَّرْكِ الأسفلِ من النار[(526)] .

ثانياً: خزنة النار :

1 . عدد خزنة النار:

قال تعالى: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ *لاَ تُبْقِي وَلاَ تَذَرُ *لَوَّاحَةٌ لِلْبَشَرِ *﴾ [المدثر: 27 . 30] فعددُهم تسعةَ عشرَ ملكاً، ولكنّ القرطبي قال: والصحيح ـ إن شاء الله ـ أنّ هؤلاء التسعة عشر هم الرؤساءُ والنقباءُ، وأمّا جملتُهم فالعبارةُ تعجَزُ عنها، كما قال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلاَّ مَلاَئِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلاَّ فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَاناً وَلاَ يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ

مَرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلاً كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلاَّ هُوَ وَمَا هِيَ إِلاَّ ذِكْرَى﴾ [المدثر: 31] وقد ثبت في (الصحيح) عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله (ﷺ): «يؤتى بجهنّم يومئذٍ لها سبعونَ ألفَ زمامٍ، مع كلِّ زمامٍ سبعونَ ألفَ ملكٍ يجرُّونها »[(527)] .

2 . أسماءُ خزنةِ النار:

أمّا كبيرُ خزنة النار فهو مالك رضي الله عنه، وجاء ذكره في الكتاب والسنة، قال تعالى: ﴿وَنَادَوْا يَامَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَاكِثُونَ *﴾ [الزخرف: 77] وهو خازن ﴿وَنَادَوْا يَامَالِكُ﴾، أخرج البخاريُّ[(528)] عن صفوان بن يعلى عن أبيه رضي الله عنه، قال: سمعتُ رسولَ اللهِ (ﷺ) يقرأ على المنبر: « أي يقبِضُ أرواحَنا فيريحَنا ممّن نحنُ ﴿وَنَادَوْا يَامَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾، فإنّهم كما قال تعالى: وقال ﴿يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلاَ يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا﴾ وجل: ﴿وَيَتَجَنَّبُهَا الأَشْقَى *الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَى *ثُمَّ لاَ يَمُوتُ فِيهَا وَلاَ يَحْيَا *﴾ [الأعلى: 11 . 13] فلمّا سألوا أن يموتوا أجابهم مالك: قال ابن عباس: مكث ألفَ سنةٍ ثم ﴿قَالَ إِنَّكُمْ مَاكِثُونَ *﴾: إنّكمُ ماكثون، أي لا خروجَ لكم منها، ولا محيدَ لكم عنها .

وقد وصف الله عز وجل خزنةَ النارِ بأنّهم وهم الذين يتولّوْن تعذيبَ الكفار والعصاة في ﴿الزَّبَانِيَةَ *﴾، كما قال سبحانه: ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ *سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ*﴾ [العلق: 17 . 18] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال أبو جهل: هل يعفّرُ محمَّدٌ وجهه بين أظهركم، قال فقيل: نعم، فقال: واللاتِ والعُزَّى لئن رأيتُه يفعلُ ذلك لأطأنَّ على رقبتِهِ، أو لأعفّرَنَّ وجهَهُ في الترابِ، قال: فأتى رسولَ اللهِ (ﷺ) وهو يصلّي زعمَ ليطأَ على رقبتِهِ، قال: فما فَجِئهُم منه إلاّ وهو ينكُصُ على عقبيه، ويتّقي بيديه، قال: فقيل له: مالكَ؟ فقال: إنَّ بيني وبينه لخندقاً من نارٍ وهولاً وأجنحةً، فقال رسولُ اللهِ (ﷺ): « لو دنا منّي لاختطفتهُ الملائكةُ عُضْواً عُضْواً » قال: فأنزل الله عز وجل: ﴿كَلاَّ إِنَّ الإِنْسَانَ لَيَطْغَى *أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَى *إِنَّ إِلَى رَبِّكَ الرُّجْعَى *أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى *عَبْدًا إِذَا صَلَّى *أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَى *أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَى *أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى *أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى *كَلاَّ لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ *نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ *فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ *سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ *كَلاَّ لاَ تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ *﴾ [العلق: 6 . 19][(529)] .

3 . صفاتهم:

وحديثُنا هنا عن صفاتهم الزائدةُ عن الصفات العامة المشتركة للملائكة، وقد ذكر الله تعالى من صفاتهم صفتين، وهاتان الصفتان شاملتان لجميع

الصفات، وهما: الغِلْظةُ والشِّدَّةُ، فهي فيهم[(530)]، قال تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلاَئِكَةٌ غِلاَظٌ شِدَادٌ لاَ يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ *﴾ [التحريم: 6] .

وقد ذكر الله تعالى جلّ جلاله بعضَ المواقف التي تبيّن شيئاً من غلظتهم مع أصحاب النار في ثلاثة مواطن :

الموطن الأول: عند فتح أبواب جهنم لإدخالهم فيها، قال تعالى: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَى وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ *قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ *﴾ [الزمر: 71 . 72] .

الموطن الثاني: عند دخولهم النار، قال تعالى: ﴿كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ * قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلاَّ فِي ضَلاَلٍ كَبِيرٍ *وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ *فَاعْتَرَفُوا بِذَنْبِهِمْ فَسُحْقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ *﴾ [الملك: 8-11] .

الموطن الثالث: عند سؤال أهل النار خزنة جهنم أن يشفعوا لهم عند الله في تخفيف العذاب، قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِنَ الْعَذَابِ *قَالُوا أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَى قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلاَّ فِي ضَلاَلٍ *﴾ [غافر: 49 . 50] .

ثالثاً: صفة النار:

1 . أبواب النار:

قال تعالى: ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ *لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ *﴾ [الحجر: 43 . 44] .

وعندما يردُ الكفّار النارَ تفتّح الأبوابُ، ثم يدخلونها خالدين، قال تعالى: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَى وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى﴾ [الزمر: 71]، وبعد هذا الإقرار يقال لهم ﴿قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ *﴾ [الزمر: 72] .

وهذه الأبواب تغلقُ على المجرمين، فلا مطمَعَ لهم في الخروج منها بعد ذلك، كما قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ *عَلَيْهِمْ نَارٌ

مُؤْصَدَةٌ *﴾ [البلد: 19 ـ 20][(531)] ومؤصدة: مغلقة الأبواب[(532)]، فأبوابُ النار مؤصدةٌ مغلَقةٌ، وأسوارُها ذاتُ عمدٍ ممدودةٍ طويلةٍ، لا يمكِنُ تخطّيها، ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُؤْصَدَةٌ *فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ *﴾ [الهمزة: 8 ـ 9][(533)].

2 ـ دركات النار:

قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾ [النساء: 145]

والدَّرْك: هو أقصى قَعْرُ الشيء[(534)]، وقال الراغب: (الدرك) كالدرج، لكن الدرج يقال اعتباراً بالصعود، والدرك اعتباراً بالحدور، ولهذا قيل: درجاتُ الجنةِ ودركاتُ النار[(535)]، وقد يطلَقُ على منازِل النار درجاتٍ، كقوله تعالى: ﴿هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ *﴾ [آل عمران: 163] .

وفي سورة الأنعام ذكر الله أهل الجنة والنار ثم قال: وقال سبحانه: ﴿كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ * هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ *﴾ [آل عمران: 162 ـ 163] .

وتتفاوتُ دركاتُ أهل النار بحسب أعمالهم وسيئاتهم، وقد بيّنا أنَّ الله عز وجل ذكر أنَّ المنافقين في الدرك الأسفل من النار، وكونهم في الدرك الأسفل يستلزِمُ أنّهم في أشدِّ العذاب، وليست هذه الدركةُ مختصةً بالمنافقين فقط بل معهم غيرهم، فقد ذكر الله تعالى لنا ثلاثة أصنافٍ من الناس أنّهم في أشدِّ العذاب[(536)] .

الصنف الأول: فرعون وقومه، قال تعالى: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ *﴾ [غافر: 46] .

الصنف الثاني: اليهودُ الذين امنوا ببعض الكتاب، وكفروا ببعضه، قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلاَءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أُسَارَى تُفَادُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلاَّ خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ *﴾ [البقرة: 85] .

الصنف الثالث: الذين كفروا من أصحاب المائدة، قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَاعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ *قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ *قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ *قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لاَ أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ *﴾ [المائدة: 112 . 115] .

وأمّا أهونُ أهل النار عذاباً فهو رجلٌ ينتعِلُ بنعلين يغلي منهما دماغه، فعن أبي سعيد الخدري أنَّ رسول الله (ﷺ) قال: « إنَّ أدنى أهلِ النارِ عذاباً ينتعلُ بنعلينِ من نارٍ، يغلي دماغهُ من حرارةِ نعليه »[(537)] .

3 . وَقودُ النار:

وَقودُ النار، البشر والحجر، قال تعالى: ﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ *﴾ [البقرة: 24] . وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلاَ أَوْلاَدُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ *﴾ [آل عمران: 10] وقال تعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ *﴾ [الأنبياء: 98] وقال تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلاَئِكَةٌ غِلاَظٌ شِدَادٌ لاَ يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ *﴾ [التحريم: 6] .

4 . شدّةُ حرِّها وعظِمُ دخانها وشرارها:

قال تعالى: ﴿وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ *فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ *وَظِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ *لاَ بَارِدٍ وَلاَ كَرِيمٍ *﴾ [الواقعة: 41 . 44] وقد تضمّنتْ هذه الآية ذكر ما يتبرّد به الناسُ في الدنيا في الكرب والحر، وهو ثلاثة: الماء، والهواء، والظل، وذكرت الآية أنَّ هذه لا تغني عن أهل النار شيئاً، فهواء جهنم

السَّموم، وهو الريحُ الحارّةُ الشديدةُ الحر، وماؤها الحميمُ، الذي قد اشتدّ حرَّه، وظلّها اليحموم، وهو قِطعُ دخانها[(538)] . والظلُّ الذي أشارت إليه الآية ﴿وَظِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ *﴾ [الواقعة: 43] هو ظلُّ دخانِ النارِ، والظلُّ يُشْعِرُ عادةً بالنداوةِ والبرودةِ، كما أنَّ النفسَ تحبُّه وتستريحُ إليه، أمّا هذا الظلُّ فإنّه ليس باردَ المدخلِ ولا بكريمِ المنظر، إنّه ظلٌّ من يحموم .

وقد حدّثنا القرآن في هذا الظل الذي هو دخان جهنم الذي يعلو النار، فقال: ﴿انْطَلِقُوا إِلَى ظِلٍّ ذِي ثَلاَثِ شُعَبٍ *لاَ ظَلِيلٍ وَلاَ يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ *إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ *كَأَنَّهُ جِمَالَةٌ صُفْرٌ *﴾ [المرسلات: 30 . 33] فالآية تقرّرُ أنَّ الدخانَ الذي يتصاعدُ من هذه النار لفخامته ينقسِمُ إلى ثلاثةِ أقسامٍ: وهو يلقي ظلالاً ولكنّها غيرُ ظليلةٍ، ولا تقي من اللهب المشتعل . أما شرارُ هذه النار المتطاير منها فإنّه يشبه الحصونَ الضخمةَ، كما يشبه هذا الشرارُ الجمالَ الصفر، أي الإبلَ السود .

وقال الحقُّ مبيناً قوّة هذه النار، ومدى تأثيرها في المعذبين: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ *لاَ تُبْقِي وَلاَ تَذَرُ *لَوَّاحَةٌ لِلْبَشَرِ *عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ *﴾ [المدثر: 27-30] إنّها تأكل كلَّ شيءٍ، وتدمّرُ كلَّ شيءٍ، لا تبقي ولا تذر، تحرقُ الجلودَ، وتصلُ إلى العظامِ، وتصهرُ ما في البطون، وتطّلع على الأفئدة .

وقد أخبرنا الرسول (ﷺ): « أنّ نارنا جزءٌ من سبعينَ جزءاً من نار جهنم » قيل: يا رسول الله إنْ كانت لكافيةٌ، قال: « فُضِّلَتْ عليها بتسعينَ جزءاً، كلهنَّ مثلُ حَرّها »[(539)] .

وعندما تسقبِلُ النارُ أهلَها يوم القيامة تسعّر، قال تعالى: ﴿وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ *﴾ [التكوير: 12] ومعنى سُعِّرت: أُوقدت، وأحميت[(540)] .

5 . النار تتكلّم وتبصر وتغضب:

الذي يقرأُ النصوصَ من الكتاب والسنة التي تصفُ نار جهنم يجدُها مخلوقاً يتكلّم ويبصر ويغضبُ :

أمّا كلامها فيقول الله تعالى: ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلأتِ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ *﴾ [ق: 30] .

وأما رؤيتُها للناسِ، فيقول تعالى: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سعيرا * اذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا﴾ [الفرقان: 11 -12] فقوله: ﴿رَأَتْهُمْ﴾ يدل على أنها تبصِرُ، وقوله: ﴿سَمِعُوا لَهَا﴾ يدلُّ على أنها تتكلم.

وأما غضبها فيقول سبحانه: ﴿إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ *تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ *﴾ [الملك: 7 . 8] وقال تعالى: ﴿إِذَا رَأَتْهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا

وَزَفِيرًا*﴾ [الفرقان: 12] فهي تشهقُ وتزفُرُ من غيظها على الكافرين، بل تكادُ تتميّزُ . أي تتقطع[(541)] . من شدّةِ عضبها عليهم .

6 . وديان النار:

سمّى الله تعالى بعضَ أسماءِ هذه الأودية، وهي التالية :

أ . وداي الويل: قال تعالى: ﴿وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ *﴾ [الأنبياء: 18] وقال تعالى: ﴿وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ *الَّذِي جَمَعَ مَالاً وَعَدَّدَهُ *يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ*﴾ [الهمزة: 1 . 3] وعن أبي سعيد عن رسول الله (ﷺ) أنه قال: «ويلٌ وادٍ في جهنَّم يهوي فيه الكافِرُ أربعينَ خريفاً قبل أن يبلغَ قعرَهُ، والصَّعُوْدُ جبلٌ من نارٍ يُصْعَدُ فيه سبعينَ خريفاً ،ثم يهوي فيه كذلك منه أبداً» [(542)].

ب . وادي الغي: قال تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلاَةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا *﴾ [مريم: 59] قال ابن مسعود رضي الله عنه في تفسيره قوله: هو وادٍ في جهنم يُقْذَفُ فيه الذين اتبعوا الشهوات.

وقال البراء بن عازب رضي الله عنه: (الغي) وادٍ في جهنم بعيدُ القعرِ، منتنُ الريح[(543)]، وهذا لا يقالُ من قبل الرأي، فله حكم الرفع[(544)] .

ج ـ وادي الموْبق: قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَائِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ مَوْبِقًا *﴾ [الكهف: 52] قال أنس بن مالك في قوله تعالى: وادٍ من قَيْحٍ ودَمٍ.

7 . جبال النار:

قال تعالى: ﴿سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا *﴾ [المدثر: 17] قال ابن عباس في تفسير هذه الآية: جبلٌ في جهنم[(548)] .

8 . سرادق النار:

قال تعالى: ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا*﴾ [الكهف: 29] السرادِقُ: كلُّ ما أحاطَ بشيءٍ من حائطٍ أو مضربٍ أو خباءٍ[(549)] . وقال رسولُ اللهِ (ﷺ): « لسرادقِ النارِ أربعُ جُدُرٍ كُثُفٍ، كلُّ جدارٍ مثل مسيرة أربعينَ سنة »[(550)]، وهذا السورُ له أعمدةٌ ممدودةٌ طويلةٌ كما قال تعالى: ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُؤْصَدَةٌ *فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ*﴾ [الهمزة: 8 ـ 9] .

9 . سعةُ النارِ، وبُعد قعرها، وعظم عمقها:

وتدلُّ على ذلك أمورٌ كثيرة منها:

أ . أنّ مِنْ أسماءِ النارِ الهاويةُ: أي يُهوَى بها لبُعْدِ قعرِها ،عن أبي هريرةَ قال: كُنّا مع رسولِ اللهِ (ﷺ) إذ سمعَ وجبةً، فقال النبيُّ (ﷺ): « تدرونَ ما هذا؟» قال: قلنا: الله ورسولُه أعلم . قال: « هذا حَجَرٌ رُمِيَ به في النَّارِ منذُ سبعينَ خريفاً، فهو يهوي في النارِ الانَ حتّى انتهى إلى قعرها»[(551)].

ب . أنّ الكافرَ يكبُرُ حجمُه في النارِ: قال رسول الله (ﷺ): « ضِرْسُ الكافرِ أو نابُ الكافرِ مثلُ أحُدٍ، وغِلَظُ جلدِهِ مسيرةُ ثلاثٍ »[(552)] .

والذين يدخلونَ النارَ أعدادٌ لا تُحصى، ومع العدد الهائلِ من الناس وبهذا الحج الكبير للكفار فإنّها لا تمتلىء، بل تطلبُ المزيد، قال تعالى: ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ *﴾ **[ق: 30]** .

ج . ويدلُّ على عظمها أيضاً كثرةُ الذين يجرونها من الملائكة: فقد فسّر النبيُّ(ﷺ) قوله تعالى: ﴿وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الإِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى *﴾ **[الفجر: 23]** بأنّ الذين يجيئون بها ملائكةٌ، قال رسول الله: «يؤتَى بجهنم يومئذٍ لها سبعون ألف زمامٍ مع كلِّ زمامٍ سبعونَ ألفَ مَلَكٍ يجرّونها» [(553)].

10 . وصف عذاب النار:

إنّ الذي يتأمل ويتدبّر في القرآن الكريم يجدُ في آيات كثيرة أنَّ الله سبحانه وتعالى قد وصفَ عذابَ الحياةِ الآخرة، بأوصافٍ كثيرةٍ متنوّعةٍ، مما يدلُّ على عظمة عذابها وشدته، فمن هذه الأوصاف :

أ ـ أنّه أشقُّ وأشدُّ: قال تعالى: ﴿لَهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الآخرة أَشَقُّ وَمَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ *﴾ [الرعد: 34] . وقال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الآخرة أَشَدُّ وَأَبْقَى *﴾ [طه: 127] .

ب ـ غرام: قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا *﴾ [الفرقان: 65] والغرامُ: اللازمُ الدائمُ، ومنه سمِّيَ الغريمُ لملازمته، ويقال: فلانٌ مغرمٌ بكذا، أي: ملازمٌ له ومولَعُ به، هذا معناه في كلام العرب، كما ذكره ابن الأعرابي وابن عرفة وغيرهما، ومنه قول الأعشى :

إنْ يعاقِبْ يكنْ غراماً وإنْ يُعْـ ـطِ جَزِيلاً فإنّهُ لا يُبَالِي[(554)]

ج ـ العذاب المهين: قال تعالى: ﴿بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بَغْيًا أَنْ يُنَزِّلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ *﴾ [البقرة: 90] وقوله تعالى: ﴿وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ *﴾ لما كان كفرُهم سببَه البغي ، منشأ ذلك التكبر، قوبلوا

بالإهانة والصَّغارِ في الدنيا والآخرة، كما قال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين﴾ [غافر: 60] . أي صاغرينَ حقيرينَ ذليلينَ راغمينَ[(555)] .

د ـ العذاب الأخزى: ومن أوصافِ عذاب الآخرة أنّه عذاب أخزى، قال تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحِسَاتٍ لِنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الآخرة أَخْزَى وَهُمْ لاَ يُنْصَرُونَ *﴾ [فصلت: 16] وقال تعالى: ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ﴾ [آل عمران: 192] .

هـ العذاب العظيم: قال تعالى: ﴿وَلاَ يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا يُرِيدُ اللَّهُ أَلاَّ يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِي الآخرة وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ*﴾ [آل عمران: 176] .

و ـ العذاب السيء: ومن أوصاف عذاب الآخرة أنه العذاب السيء، الشديد النكاية، قال تعالى: ﴿أَفَمَنْ يَتَّقِي بِوَجْهِهِ سُوءَ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَقِيلَ لِلظَّالِمِينَ ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ *﴾ [الزمر: 24] وقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لاَفْتَدَوْا بِهِ مِنْ سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَبَدَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ *﴾ [الزمر: 47] .

ز ـ العذاب الأكبر: قال تعالى: ﴿كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَشْعُرُونَ *فَأَذَاقَهُمُ اللَّهُ الْخِزْيَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الآخرة أَكْبَرُ لَوْ

كَانُوا يَعْلَمُونَ *﴾ [الزمر: 25 . 26] وقال تعالى: ﴿كَذَلِكَ الْعَذَابُ وَلَعَذَابُ الآخرة أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ *﴾ [القلم: 33] وقال تعالى: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ *لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ *إِلاَّ مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ *فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الأَكْبَرَ*﴾ [الغاشية: 21 . 24] [(556)].

11 . كيفية دخول أهل النار إلى جهنم:

فصّل الله تعالى كيفيةَ دخول أهل النار إلى جهنم، وبيّن ذلك في كثير من الآيات، فقد أمر الله تعالى الملائكةَ أن تقيّدَ وتغلَّ الكافر، قال تعالى: ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ *﴾ [الحاقة: 30] الغُلُّ: هو ما يُقَيَّدُ به[(557)]، وهذا القيدُ يكون في عنقه كما قال تعالى: ﴿وَإِنْ تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَإِذَا كُنَّا تُرَابًا أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ الأَغْلاَلُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ*﴾ [الرعد: 5] وقال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا الأَغْلاَلَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُجْزَوْنَ إِلاَّ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ *﴾ [سبأ: 33] . وهذه الأغلالُ عبارةٌ عن سلاسل من الحديد، كما قال تعالى: ﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْكِتَابِ وَبِمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ *إِذِ الأَغْلاَلُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلاَسِلُ يُسْحَبُونَ *فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ *﴾ [غافر: 70 . 72] ثم تجمعُ الملائكة نواصيهم مع أقدامهم: ﴿يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالأَقْدَامِ *﴾ [الرحمن: 41] عن ابن عباس رضي الله عنه قال:

«يُجْمَعُ بينَ رأسِهِ ورجليه، ثم يُقْصَفُ كما يُقْصَفُ الحطبُ» [(558)] . ثم يساقون إلى النار سوقاً شديداً، ويدفعون إليها دفعاً ﴿يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا *هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ*﴾ [الطور: 13 . 14] والدعُّ: الدفع الشديد .

ثم إذا اقتربوا منها فُتِحَت أبوابُها في وجوههم بغتةً حتّى يصيبَهم عذابُ الفزع، قال تعالى: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَى وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ *﴾ [الزمر: 71] ثم يُلْقُون فيها إلقاء من مكان ضيق، وهم مكتّفون، قال تعالى: ﴿وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَاناً ضَيِّقًا مُقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا*﴾ [الفرقان: 13] مقرنين أي مشدودين ومربوطين[(559)] .

وهذا الربط بالأصفاد هي الأغلال ﴿وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُقَرَّنِينَ فِي الأَصْفَادِ *﴾ [إبراهيم: 49] وهذا الإلقاءُ إنّما يكونُ على وجوههم، قال تعالى: ﴿وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلاَّ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ*﴾ [النمل: 90] [(560)] ثم يُلْقَى بعضُهم على بعضٍ، قال تعالى: ﴿فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ *وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ *﴾ [الشعراء: 94 . 95]

كُبكبوا: ألقي بعضُهم على بعضٍ[(561)] . ثم تبدأُ بعد ذلك سلسلةٌ طويلٌ من أنواعِ العذاب وأصناف النكال وألوان الالام[(562)] .

12 . أوّل من تسعّر بهم النار يوم القيامة:

قال رسول الله (ﷺ): «إنَّ أوّلَ الناسِ يُقْضَى يومَ القيامة عليه، رجلٌ اسْتُشْهِدَ فأُتِي به، فعرّفه نعمه فعرفَها، قال: فما عملتَ فيها؟ قال: قاتلتُ فيكَ حتى استشهدتُ، قال: كذبتَ، ولكنّك قاتلتَ لأنْ يقالَ جريءٌ، فقد قيل، ثم أُمِرَ به فسُحِبَ على وجهه حتّى أُلْقِيَ في النَّارِ .

ورجلٌ تعلّمَ العِلْمَ وعلَّمه، وقرأَ القرآن، فأُتِيَ به، فعرّفه نعمه فعرَفها، قال: فما عملتَ؟ قال: تعلّمتُ العلمَ وعلّمتهُ، وقرأتُ فيكَ القرآن، قال: كذبتَ، ولكنّكَ تعلّمتَ العلم ليُقالَ عالمٌ، وقرأتَ القرآن ليُقالَ قارئٌ، فقد قيل، ثم أُمِرَ به فسُحِبَ على وجهه، حتى أُلقِيَ في النَّارِ .

ورجلٌ وسَّعَ اللهُ عليهِ، وأعطاهُ مِنْ أصنافِ المالِ كله، فأُتِي به فعرّفه نعمهَ فَعَرَفَهَا، قال: فما عملتَ فيها ؟ قال: ما تركتُ مِنْ سبيلٍ تحبُ أن يُنْفَقَ فيها إلاّ أنفقتُ فيها لكَ، قال: كذبتَ، ولكنّكَ فعلتَ ليُقالَ هو جَوَادٌ، فقد قيل، ثم أُمِرَ به فَسُحِبَ على وجهِهِ، ثم أُلْقِيَ في النَّارِ »[(563)] .

ثالثاً ـ ما أعدّ الله لأهلِ النّارِ من عذابٍ:

1 ـ شدة العذاب:

ومن شدّة عذابها أنَّ نفخةً واحدةً منها تكفي بأَن يقرّوا بكلّ شيءٍ، قال تعالى: ﴿وَلَئِنْ مَسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُن ياوَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ*﴾ [الأنبياء: 46] وقال تعالى: ﴿كَلاَّ لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ *وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ *نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ *الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الأَفْئِدَةِ *إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُؤْصَدَةٌ *فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ *﴾ [الهمزة: 4 ـ 9] وقد اشتملت هذه السورةُ ـ مع قصرها ـ على سبعِ أمورٍ تدلُّ على عظيمِ عذابِ نار جهنم، وشدته، وهي كما يلي :

أ ـ قوله: والنبذُ يُستخدَمُ ﴿لَيُنْبَذَنَّ﴾، والمهانة، والذلّ، ويقال: فلانٌ منبوذٌ، أي مهانٌ محتَقر، لا نصير له، ولا معُزّ، فهم إضافةً لعذابهم البدني بالنار، فإنّهم يعذّبون عذاباً نفسياً بالمهانة والتحقير .

ب ـ قوله: تسميةُ النار بالحُطَمَةِ تعظيمٌ ﴿الْحُطَمَةِ *﴾، لأنّها تَحْطِمُ عظامَ ورؤوسَ مَنْ دخلها .

ج ـ قوله: هذا الأسلوبُ أسلوبُ ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ *﴾، كقوله تعالى: ﴿الْحَآقَّةُ *مَا الْحَآقَّةُ *وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَآقَّةُ *﴾ [الحاقة: 1 ـ 3] وقوله: ﴿الْقَارِعَةُ *مَا الْقَارِعَةُ *وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ *﴾ [القارعة: 1 ـ 3] .

د ـ قوله تعالى: ﴿نَارُ اللَّهِ *﴾ الله تعالى النار إلى نفسه سبحانه، وهذه إضافةُ تعظيمٍ، كقوله تعالى: « بَيْتُ الله » و« نَاقَةُ اللهِ » .

هـ وقوله تعالى: على وزن ﴿الْمُوقَدَةُ *﴾، وهذه الصيغةُ من صيغ اسم المفعول[(564)]، ومن المعلوم أنّ هذه الصيغة تدلُّ على من وقع عليه الفعل، فهي إذن نار، ويوقد عليها، والإيقاد إنّما يكون بالنار، وهذا من الغرائب، كيف يوقد على النار، وهي التي يوقد بها لا عليها، ولكنّ نار جهنم من شدّة نارها وحرارتها يوقَدُ عليها حتّى لا تخبوَ وتضعفَ، كما قال تعالى: ﴿كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا *﴾ **[الإسراء: 97]** .

و ـ: من شدة حرارة جهنم أنها ﴿الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الأَفْئِدَةِ *﴾ تحرِقُ الأبشار والجلودَ فقط، بل يصلُ حَرْقُها ونارُها وحرارتُها إلى القلبِ والفؤادِ .

ز ـ من شدّة عذابها أنها مُحْكَمةُ ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُؤْصَدَةٌ *فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ *﴾، موصَدةُ الأبوابِ، ممدّدةُ الأعمدةِ والأسوارِ، لا منجا منه ولا مهرب ولا مفر[(565)] .

2 ـ إحاطة النار بأهلها:

قال تعالى: ﴿هَذَا وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَآبٍ *جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمِهَادُ *﴾ **[ص: 55 ـ 56]** وقال تعالى: ﴿لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ﴾ **[الأعراف: 41]** المهاد: المكان الممهد، الموطأ[(566)]، وهو الفراش، وهذا يكونُ من تحتهم،

ومهادُهم من جهنم، وغواش: جمع غاشية أي: نيران تغشاهم[(567)]، وقال تعالى: ﴿لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لاَ يَكُفُّونَ عَنْ وُجُوهِهِمُ النَّارَ وَلاَ عَنْ ظُهُورِهِمْ ولاَ هُمْ يُنْصَرُونَ *﴾ [الأنبياء: 39] وقال تعالى: ﴿يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ *يَوْمَ يَغْشَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ *﴾ [العنكبوت: 54 . 55] وقال تعالى: ﴿لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ يَاعِبَادِ فَاتَّقُونِ *﴾ [الزمر: 16] الظل: جمع ظلة، والظلة سحابة تظلُّ، كغرفة وغرف، كقوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ﴾ [الأعراف: 171] وقوله: ﴿عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ﴾ [الشعراء: 189] وهذه الظُّلَلُ من نارٍ[(568)] .

3 . قيودُ أهل النار وأغلالُهم وسلاسلُهم ومطارِقُهم:

أعد الله تعالى لأهل النار أغلالاً وسلاسلَ وقيوداً ومطارقَ، وأوثق بها أهل الكفر وثاقاً لا يمكن لأحدٍ من العالمين أن يوثِقَه، قال تعالى: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لاَ يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ *وَلاَ يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ *﴾ [الفجر: 25 . 26] .

والأغلال: جمع غل، وهو ما يقيّد به، فتجعل الأعضاء وسطه[(569)]، قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ

تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَنْدَادًا وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ *﴾ [سبأ: 33] .

والأصفاد: جمع صفد وهو الغل، والأصفاد هي الأغلال . قال تعالى: ﴿وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ *﴾ [إبراهيم: 49] .

والسلاسلُ: معروفةٌ، هي القيودُ من حديدٍ . قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ أَنَّى يُصْرَفُونَ *الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْكِتَابِ وَبِمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ *﴾ [غافر: 69 . 74] وقال تعالى: ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلَ وَأَغْلَالًا وَسَعِيرًا *﴾ [الإنسان: 4] وطول هذه السلسلة سبعون ذراعاً، كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ *ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ *﴾ [الحاقة: 31 . 32] وطولُ السلسلةِ لا يُستغرَبُ، ولا يشكلُ، لأنَّ الكافرَ يكبرُ حجمهُ في النار، حتّى يكون ضِرْسُه كجبل أُحد[(570)] .

والمقامع هي المطارق، ومقامِعُ أهل النار من مادة الحديد حتى يكونَ وقعُها أشدُّ، قال تعالى: ﴿وَلَهُمْ مَقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ *كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ *﴾ [الحج: 21 . 22] أي كلّما أرادَ أحدُهم الخروجَ من النار ضُرِبَ بالمقمعِ، فيهوي مرّةً أخرى في النار[(571)].

4 . قرن أهل النار بمعبوداتهم وشياطينهم:

قال تعالى: ﴿احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ *مِنْ دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ *﴾ [الصافات: 22 . 23] وقال تعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ *لَوْ كَانَ هَؤُلاَءِ آلِهَةً مَا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ *﴾ [الأنبياء: 98 . 99] لما عبد الكفار الالهة من دون الله، واعتقدوا أنّها تشفعُ لهم عند الله، وتقرّبهم إليه، عوقبوا بأنْ جُعِلَتْ معهم في النار، إهانةً لهم وإذلالاً، ونكايةً لهم، وإبلاغاً في حسرتهم وندامتهم، فإنَّ الإنسانَ إذا قُرِنَ في العذاب بمن كان سبب عذابه كان أشدّ في ألمه وحسرته[(572)]، ومن أجل ذلك يُقْذَفُ يومَ القيامة بالشمس والقمر في النار، ليكونا ممّا توقد به النار، تبكيتاً للظالمين الذين يعبدونهما من دون الله ففي الحديث: « الشمسُ والقمرُ يكوّران يوم القيامة »[(573)] .

ولهذا المعنى يقرن الكفار بشياطينهم ليكونَ أشدَّ لعذابهم، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَانِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَاناً فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ *وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ *حَتَّى إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَالَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ *وَلَنْ يَنْفَعَكُمُ الْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ *﴾ [الزخرف: 36 . 39] .

5 . سجون أهلِ النار:

قال تعالى: ﴿كَلاَّ إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ *وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ *﴾ **[المطففين: 7 . 8]** سجّين فعيل من السجن، وهو الضيق، كما يقال: فسيح وشريب وخمير وسكير ونحو ذلك، ولهذا أعظم الله أمره فقال: أي أمرٌ ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ *﴾، وسجنٌ مقيم، وعذابٌ أليم[(574)] .

وقال رسول الله (ﷺ): «يُحْشَرُ المتكبّرون يوم القيامة أمثالَ الذَّرِّ في صورِ الرجالِ، يَغْشَاهُمُ الذّلُّ من كلِّ مكانٍ، فيُساقونَ إلى سجنٍ في جهنم يسمّى بُوْلَس، تعلوهم نارُ الأنيار، يُسْقَوْن من عُصارة أهلِ النارِ، طينةِ الخبال » [(575)] .

6 . طعام أهل النار:

ذكر الله تعالى في اياتٍ كثيرة أنواعاً من طعامهم، وهي كما يلي :

أ ـ النار: قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلاَّ النَّارَ وَلاَ يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلاَ يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ *﴾ **[البقرة: 174]** أي إنّما يأكلون ما يأكلونه في مقابلة كتمان الحق ناراً تأجّجُ في بطونهم يومَ القيامة، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا *﴾

[النساء: 10] وقال رسول الله (ﷺ): «الذي يَشْرَبُ في إناءِ الفِضَّةِ، إنّما يُجَرْجِرُ في بَطْنِهِ نارَ جَهَنَّمَ»[(576)] .

ب ـ الزقوم: من أشجار النار الزقوم، وهي شجرةٌ لا نفعَ فيها، فهي لا ظلَّ لها ينعمون به، ومنظرُها بشعٌ، فطلعُها كأنّه رؤوسُ الشياطين، وما الظنُّ بشجرةٍ تنبتُ في أصلِ الجحيم، وإنّما القصدُ من وضع هذه الشجرة هو تعذيبهم بها، فيأكلون من ثمرها، ظناً منهم أنّه ينفعهم، فما يزيدُهم إلاّ عذاباً، فإذا أكلوا بدأ يغلي في بطونهم، فيفزعون يبحثون عن الماء ليطفىءَ الغليان الذي في بطونهم، فيشربونَ من ماءِ الحميمِ يكرعون منه كرعاً، فيقطّعُ أمعاءَهم، ويتضاعفُ العذاب عليهم[(577)]، قال تعالى: ﴿إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ *طَعَامُ الأَثِيمِ *كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ *كَغَلْيِ الْحَمِيمِ *خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ *ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ *ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ*﴾ [الدخان: 43 ـ 49] .

ج ـ المهل: قيل: هو عكر الزيت[(578)]، وقيل: النُّحاس المذاب [(579)]. فيبدأ يغلي في بطنه كما يغلي الحميمُ وهو الماءُ الحار، قال تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّآلُّونَ الْمُكَذِّبُونَ *لآكِلُونَ مِنْ شَجَرٍ مِنْ زَقُّومٍ *فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ *فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ *فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ *هَذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ *﴾ [الواقعة: 51 ـ 56] . فقوله ﴿فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ *﴾ أي: على الزقومِ

ليطفأ ، و﴿الْهِيمِ *﴾: هي الإبلُ العطاش، واحدها أهيم والأنثى هيماء، ويقال هائم وهائمة، والهِيمُ: داءٌ يأخذُ الإبلَ، فلا تروى أبداً حتى تموت، فكذلك أهلُ جهنم لا يروون من الحميم أبداً [(580)]، وقال تعالى: ﴿أَذَلِكَ خَيْرٌ نُزُلاً أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ *إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ *إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ *طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ *فَإِنَّهُمْ لآَكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ *ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِنْ حَمِيمٍ *ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لإَِلَى الْجَحِيمِ *﴾ [الصافات: 62 . 68] . فبعد شربهم من الحميم يرجعون مرة أخرى إلى النار، فهذا حالُهم من شجر الزقوم مرةً أُخرى، وهكذا كأنهم في طواف، قال تعالى: ﴿هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ *يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ *﴾ [الرحمن: 43 . 44] والحميم الان: هو الماءُ الذي بلغ أقصى حرارته[(581)] .

د . الغسلين: قال تعالى: ﴿فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ *وَلاَ طَعَامٌ إِلاَّ مِنْ غِسْلِينٍ *لاَ يَأْكُلُهُ إِلاَّ الْخَاطِئُونَ *﴾ [الحاقة: 35 . 37] الغسلين: غُسالةُ أبدانِ الكفّار في النار[(582)]، وهو الدمُ والماءُ الذي يسيلُ من لحومهم[(583)].

هـ الضريع: قال تعالى: ﴿لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلاَّ مِنْ ضَرِيعٍ *لاَ يُسْمِنُ وَلاَ يُغْنِي مِنْ جُوعٍ *﴾ [الغاشية: 6 . 7] الضريعُ: نباتٌ في الحجازِ له شوكٌ كبار، يقال له: الشرِق، فإذا يبس قيل له: الضريع .

و ـ طعام ذو غصة: قال تعالى: ﴿إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالاً وَجَحِيمًا *وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا *﴾ [المزمل: 12 ـ 13] قال ابن عباس في قوله ﴿وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ﴾ قال: شوكٌ يأخذُ ، لا يدخلُ ولا يخرجُ[(584)] .

7 ـ شرابهم:

أ ـ **الحميم**: وهو الماءُ المغليُّ شديد الحرارة[(585)]، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ *﴾ [الأنعام: 70] وقال تعالى: ﴿هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ *يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ *﴾ [الرحمن: 43 ـ 44] أي: بلغ وقته من شدة الحر، ومنه قوله تعالى: ﴿تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ *﴾ [الغاشية: 5] قال تعالى: ﴿فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ *وَظِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ *لاَ بَارِدٍ وَلاَ كَرِيمٍ *﴾ [الواقعة: 42 ـ 44] قوله ﴿سَمُومٍ وَحَمِيمٍ *﴾ أي: هواء ، وماء حار، وقال تعالى: ﴿لاَ يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلاَ شَرَابًا *إِلاَّ حَمِيمًا وَغَسَّاقًا *﴾ [النبأ: 24 ـ 25] وهذه الحميم إذا شربوه قطّع أمعاءَهم، كما قال سبحانه ﴿وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ *﴾ [محمد: 15] وإذا لم يشربوه صُبَّ فوق رؤوسهم، فتنصهِرُ جلودهم وما في بطونهم، قال تعالى: ﴿هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ﴾ [الحج: 19–20] وقال رسول الله (ﷺ): «إنَّ الحميمَ ليُصَبُّ على رؤوسهم،

فينفذُ الحَمِيْمُ حتّى يخلصَ إلى جوفه، فَيَسْلتُ ما في جوفِهِ حتّى يمرقَ من قدميه، وهو الصَّهرُ، ثم يعادُ كما كان»[(586)] .

ب . ماء الصديد: قال تعالى: ﴿مِنْ وَرَائِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَى مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ *يَتَجَرَّعُهُ وَلاَ يَكَادُ يُسِيغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِنْ وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ *﴾ **[إبراهيم: 16 . 17]** الصديد: هو القيح والدم[(587)] .

ولا يزالُ هذا الصديدُ يكثُرُ خروجُه من أهل النار، حتّى يصبحَ نهراً يسمّى نهر الخبالِ .

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله (ﷺ): « مَنْ شَرِبَ الخمرَ لم تقْبَلْ له صلاةٌ أربعين صباحاً، فإنْ تابَ تابَ اللهُ عليه، فإنْ عادَ لم تُقْبَلْ له صلاةٌ أربعينَ صباحاً، فإنْ تابَ تابَ اللهُ عليه، فإنْ عادَ لم تُقْبَلْ له صلاةٌ أربعينَ صباحاً، فإنْ تابَ تابَ اللهُ عليه، فإنْ عادَ الرابعةَ لم تُقْبَلْ له صلاةٌ أربعينَ صباحاً، فإنْ تابَ لم يَتُبِ اللهُ عليه، وغضبُ الله عليه، وسَقَاهُ من نَهْرِ الخبال »، قيل: يا أبا عبد الرحمن، وما نهرُ الخبال؟ قال: «نهرٌ من صديدِ أهلِ النّارِ»[(588)] .

ج . **ماء كالمُهل**: قال تعالى: ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا﴾ [الكهف: 29] المهْلُ: دَرْدِيُّ الزيتِ، وهو ما يبقى في أسفله[(589)]، فهو ماءٌ ثقيل، يختلِفُ عن الحميم .

د . **الغسّاق**: قال تعالى: ﴿لاَ يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلاَ شَرَابًا *إِلاَّ حَمِيمًا وَغَسَّاقًا*﴾ [النبأ: 24 . 25] وقال تعالى: ﴿هَذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ *وَآخَرُ مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ *﴾ [ص: 57 . 58] أمّا الحميمُ فهو الحارُّ الذي قد انتهى حرُّه، وأما الغَسّاقُ فهو ضِدّهُ، وهو البارِدُ الذي لا يُسْتَطاعُ من شدّةِ برده المؤلم، ولهذا قال عز وجل: أي: وأشياء من هذا ﴿وَآخَرُ مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ*﴾: الشيءُ وضِدُّه يعاقبون بها[(590)] .

وعن مجاهد قال: الغَسّاقُ الذي لا يستطيعون أن يذوقوه من شدّة برده[(591)]. وعن أبي العالية في قوله تعالى: ﴿لاَ يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلاَ شَرَابًا *إِلاَّ حَمِيمًا وَغَسَّاقًا *﴾ [النبأ: 24 . 25] قال: استثنى من الشراب: الحميمَ، ومن البارِدِ: الغسّاق[(592)] .

8 . لباس أهل النار:

بعد أن يُحْشَرَ الناسُ حفاةً عُراةً يُلْبَسُون لباساً، وهذا اللباسُ ليسَ لسترِ العورةِ، ولا للزينةِ، لأنّه لباسٌ مقطَّعٌ ممزّقٌ، بل لباسٌ لزيادةِ العذابِ، فهو لباسٌ من

نارٍ، قال تعالى: ﴿هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُؤُوسِهِمُ الْحَمِيمُ *يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ*﴾ [الحج: 19 . 20] قوله: ﴿قُطِّعَتْ﴾ يعني ليست مفصّلة على ، بل هي مقطّعةٌ ممزّقةٌ، وكان إبراهيمُ التَّيْميُّ إذا قرأ هذه الآية يقول: سبحانَ من قطّع من النيران ثياباً[(593)]، وقال تعالى: ﴿سَرَابِيلُهُمْ مِنْ قَطِرَانٍ وَتَغْشَى وُجُوهَهُمُ النَّارُ *﴾ [إبراهيم: 50] السرابيل: جمعُ سربال، والسربالُ هو القميصُ أو الدّرعُ، وقيل: كلُّ ما لُبِسَ فهو سربال[(594)] . القطران: النُّحاس المذاب[(595)]، فلباسُهم من نُحاسٍ مذابٍ، والنُّحاسُ لا يكون مذاباً حتى يحمَى عليه، ويكون في الغايةِ من الحرارة والغليان .

وعن أبي مالك الأشعري قال: قال رسول الله (ﷺ) قال: « أربعٌ في أُمَّتي من أمرِ الجاهليةِ لا يتركونهنَّ: الفَخْرُ في الأحسابِ، والطعنُ في الأنسابِ، والاستسقاءُ بالنجومِ، والنياحةُ، وقال: النائحةُ إذا لم تتبْ قبل موتها تقامُ يومَ القيامة، وعليها سِرْبالٌ من قَطِرَانٍ، ودِرْعٌ مِنْ جَرَبٍ »[(596)] .

9 . صور من عذابهم:

أ . **إنضاجُ الجلودِ**: إنّ نيرانَ الجبارِ تحرقُ جلودَ أهل النار، والجلدُ موضعُ الإحساسِ بألمِ الاحتراقِ، ولذلك فإنّ الله يبدّلُ لهم جلوداً أخرى غيرَ تلك التي

احترقتْ لتَحْتَرِقَ من جديدٍ[(597)] . قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ﴾ [النساء: 56] وقال تعالى: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا *﴾ [الكهف: 29] .

ب . الصهر: من ألوانِ العذابِ صبُّ الحميم فوق رؤوسهم، والحميمُ هو ذلك الماء الذي انتهى حَرُّه، فلشدَّة حَرِّهِ تذوبُ أمعاؤهم، وما حوتْه بطونُهم، قال تعالى: ﴿هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُؤُوسِهِمُ الْحَمِيمُ *يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ *﴾ [الحج: 19 . 20] وقال رسول الله (ﷺ): « إنَّ الحميمَ ليصبُّ على رؤوسهم، فينفذُ الحميم حتّى يخلصَ إلى جوفه، فيسلتُ ما في جوفه، حتى يمرقَ من قدميه، وهو الصهرُ، ثم يعادُ كما كان»[(598)].

ج . اللفحُ: أكرمُ ما في الإنسان وجهُه، ولذلك نهانا الرسولُ (ﷺ) عن ضربِ الوَجْهِ، ومن إهانةِ اللهِ لأهلِ النّارِ أنّهم يُحْشرون يوم القيامة على وجوههم عُمياً وصُماً وبُكماً، قال تعالى: ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا *﴾

[الإسراء: 97] . ويلقون في النّارِ على وجوههم، قال تعالى: ﴿وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلاَّ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ *﴾ [النمل: 90] .

ثم إنّ النارَ تلفَحُ وجوهَهم وتغشاها أبداً، لا يجدون حائلاً يحولُ بينهم وبينها، قال تعالى: ﴿لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لاَ يَكُفُّونَ عَنْ وُجُوهِهِمُ النَّارَ وَلاَ عَنْ ظُهُورِهِمْ ولاَ هُمْ يُنْصَرُونَ *﴾ [الأنبياء: 39] وقال تعالى: ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ﴾ [المؤمنون: 103 . 104] .

وفي قوله تعالى: ﴿تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ﴾: تحرقها، واللفح كالنفخ إلا أنّه أشدُّ تأثيراً منه، وتخصيصُ الوجوه بذلك لأنَّها أشرفُ الأعضاءِ، فبيانُ حالها أزجرُ عن المعاصي المؤدية إلى النار، وهو السرُّ في تقديمها على الفاعل[(599)] .

ثم إنَّ وجوههم تعلوها النار، وتحيطُ بها، وتسعّرُ أجسامهم المسربلة بالقطران[(600)]، قال تعالى: ﴿وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُقَرَّنِينَ فِي الأَصْفَادِ *سَرَابِيلُهُمْ مِنْ قَطِرَانٍ وَتَغْشَى وُجُوهَهُمُ النَّارُ *﴾ [إبراهيم: 49 . 50] وقال تعالى: ﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وَجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَالَيْتَنَا﴾ [الأحزاب: 66] إنّه مشهدٌ بائسٌ أليمٌ حين تغشاهم النار من كلّ جهة، فالتعبيرُ على هذا النحو يرادُ به تصويرُ الحركةِ وتجسيمُها، والحرصُ على أن تصلَ النارُ إلى كلِّ صفحةٍ من صفحاتِ وجوههم زيادةً في النكال[(601)] .

د . السَّحْبُ: ومن أنواع العذابِ الأليم سَحْبُ الكفار في النار على وجوههم، قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلاَلٍ وَسُعُرٍ *يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وَجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ *﴾ **[القمر: 47 . 48]**، ويزيدُ في الامهم إهانتُهم حالَ سحبهم في النار أنّهم مقيّدون بالقيود والأغلال والسلاسل، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ أَنَّى يُصْرَفُونَ *الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْكِتَابِ وَبِمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ *إِذِ الأَغْلاَلُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلاَسِلُ يُسْحَبُونَ *فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ *﴾ **[غافر: 69 . 72]** قال قتادة: يسحبون مرة في النار، وفي الحميم مرة[(602)] .

هـ تسويدُ الوجوه: ومن ألوان عذابِ الحياة الآخرة تسويدُ الوجوه، وذلك لما ترى من سوء العاقبة، وما يحلُّ بها من النكال والوبال، قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ *﴾ **[آل عمران: 106]** كأنّما أُلبست وجوهُهم قطعاً من أديم الليل حال كونه حالكاً مظلماً لا بصيصَ فيه من نور القمر الطالع ولا النجم الثاقب، فتشقها قطعةً بعدَ قطعةٍ، فصارت ظُلماتٌ متراكمةٌ بعضها فوق بعض[(603)] . قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِنَ

اللَّيْلِ مُظْلِمًا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ *﴾ [يونس: 27] . ونحو الآية قوله تعالى: ﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ *تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ *﴾ [القيامة: 24 . 25] .

تلك وجوه أهل النار التي تغشاها ظلمة وانكدار، ويبدو عليها مضضٌ[(604)]، وإرهاق، فإنّها ليست كالحةً فحسب، ولكن يخالجها التوجُّسُ[(605)]، أن تنزل بها داهية تقصِمُ[(606)] الفقار[(607)]، والتوجُّس شرٌّ من وقوع العذاب[(608)] .

و . اندلاقُ الأمعاءِ في النار: في (الصحيحين)[(609)] عن أسامة بن زيد عن النبي (ﷺ) قال: « يُجاءُ بالرَّجُلِ يومَ القيامةِ فيُلقى في النَّارِ، فتندلقُ أقتابُه في النارِ، فيدور به كمايدور الحمارُ برحَاه، فتجتمعُ أهلُ النّارِ عليه، فيقولون: يا فلان، ما شأنُكَ، ألسَتَ كنتَ تأمرُ بالمعروفِ، وتنهى عن المنكرِ؟ فيقول: كنتُ امرُكم بالمعروفِ ولا اتيه، وأنهاكُم عن المنكرِ واتيه » .

ز . حيّاتُ جهنم: في النار حياتٌ يعذِّبنَ أهلها، قال تعالى: ﴿وَلاَ يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ*﴾ [آل عمران: 180] وهذا الطوقُ عبارةٌ عن ثعبان في رقابهم، كما فسّرها

بذلك النبيُّ (ﷺ)، فعن عبد الله بن مسعود عن رسولِ الله (ﷺ) قال: « ما مِنْ رجلٍ لا يؤدِّي زكاةَ مالِهِ إلا جعلَ الله يومَ القيامةِ في عُنُقِهِ شُجَاعاً، ثم قرأ علينا مصداقَهُ من كتاب الله عز وجل: ﴿وَلاَ يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ » الآية وقال مرة: قرأ رسولُ اللهِ (ﷺ) مصداقه: ﴿سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾، « مَنِ اقتطعَ مالَ أخيه المسلمِ بيمينٍ لقيَ اللهَ وهو غضبانُ » ثم قرأ رسولُ اللهِ (ﷺ) مصداقه من كتاب الله: ﴿ان الذين يشترون بعهد الله﴾.

وقال رسول الله (ﷺ): « مَنْ اتاهُ الله مالاً فلم يؤدِّ زكاتَهُ مُثِّلَ له يومَ القيامةِ شُجَاعاً[(610)] أقرعَ، له زبيبتانِ يطوَّقه يومَ القيامةِ، ثم يأخذُ بِلِهْزِمتيهِ (يعني شدقيه) ثم يقول: أنا مالُكَ أنا كَنْزُكَ » تَلا هذِهِ الآيَةَ: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ...﴾ **[آل عمران: 180]** إلى آخرِ الآيَةِ.

وقال رسول الله (ﷺ): « إنَّ في النَّارِ حَيَّاتٌ كأمثالِ أعناقِ البُخْتِ تَلْسَعُ إحداهنَّ اللسعةَ فَيَجِدُ حموتَها أربعينَ خريفاً، وإنَّ في النارِ عقاربٌ كأمثالِ البغالِ الموكّفة، تلسعُ أحدَهم اللسعةَ فيجدُ حموتها أربعين سنة »[(611)] .

ح ـ كثرة أهلها: أهل النار كثيرون، وقد دل على ذلك كتاب الله تعالى في ثلاثة مواضع وهي :

الأول: قوله تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ *﴾ [هود: 119] .

والثاني: قول تعالى: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ *﴾ [السجدة: 13] .

والثالث: قول تعالى: ﴿قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ *لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ *﴾ [ص: 84، 85] .

كما دلت السنة على ذلك، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، عن النبيّ(ﷺ) قال: « يقولُ اللّهُ تعالى: يا ادمُ، فيقول: لبَيكَ وسعديكَ، والخيرُ في يديكَ، فيقول: أَخْرِجْ بعثَ النّار، قال: وما بَعْثُ النّارِ ؟ قال: مِنْ كُلِّ ألفٍ تسعمئةٍ وتسعةً وتسعين، فعندَهُ يشيبُ الصغيرُ، وتضعُ كلُّ ذاتِ حَمْلٍ حملها، وترى الناسَ سُكارى وما هُمْ بِسُكارى، ولكنَّ عذابَ اللّهِ شديدٌ »، قالوا: يا رسول الله، وأينَ ذلك الواحدُ ؟ قال: « أبشروا، فإنَّ مِنْكُم رَجُلاً، ومِنْ يأجوجَ ومأجوجَ ألفاً، ثم قال: والذي نفسِي بيدِهِ إِنِّي أَرْجُو أن تكونوا رُبْعَ أهلِ الجنّةِ » فكبَّرْنا، فقال: « أرجو أنْ تكونوا ثُلُثَ أهلِ الجنّةِ » فكبرّنا، فقال: « أرجو أنْ تكونوا نصفَ أهلِ الجنَّةِ » فكبرّنا، فقال: « ما أنتم في الناسِ إلاّ كالشعرةِ السوداءِ في جِلْدِ ثَوْرٍ أبيضَ، أو كشعرةٍ بيضاءَ في جلدِ ثورٍ أسودَ »[(612)] .

رابعاً: مطالبُ أهلِ النار في الآخرة:

مطالبُ أهلِ النار في الآخرة هي :

1 . طلب الفداء: قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لِيَفْتَدُوا بِهِ﴾ **[المائدة: 36 . 37]** إنّ أقصى ما يتصوّره الخيالُ على أساسِ الافتراض، هو أن يكونَ للذين كفروا كلَّ ما في الأرض جميعاً، ولكنَّ السياقَ يفترِضُ لهم ما فوقَ الخيال في عالم الافتراض، فيفرِضُ أنَّ لهم ما في الأرض جميعاً ومثله معه، ويصورهم يحاولون الافتداءَ بهذا، وذلك لينجوا به من عذاب يوم القيامة، ويرسم مشهدهم وهم يحاولون الخروج من النار، ثم عَجْزهم عن بلوغ الهدف، وبقاءهم في العذاب الأليم المقيم، إنَّه مشهدٌ مجسَّمٌ ذو مناظرَ وحركاتٍ متوالياتٍ، منظرُهم ومعهم ما في الأرض ومثله معهم، ومنظرُهم وهم يعرضونه ليفتدوا به، ومنظرُهم وهم مخيبو الطلب، غير مقبولي الرجال، ومنظرُهم وهم يدخلون النار، ومنظرُهم وهم يحاولون الخروجَ منها، ومنظرُهم وهم يُرْغَمون على البقاء، ويسدل الستار ويتركهم مقيمين هناك[(613)] .

قال تعالى: ﴿لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمُ الْحُسْنَى وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لاَفْتَدَوْا بِهِ أُولَئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ

وَبِئْسَ الْمِهَادُ *﴾ [الرعد: 18] أي: من مات فلن يقبل الله منه خيراً أبداً، ولو كان قد أنفقَ مثل الأرضِ ذهباً، لو افتدى نفسه من الله بملء الأرض ذهباً بوزن جبالها وتلالها وترابها ورمالها وسهلها ووعرها وبرها وبحرها[(614)].

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلاَ أَوْلاَدُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ *﴾ [آل عمران: 10] والأموال والأولاد مظنّةُ حمايةٍ ووقايةٍ، ولكنّهما لا يُغنيانِ شيئاً في ذلك اليوم، الذي لا ريبَ فيه، لأنّه لا خلافَ لميعاد الله، وهم فيه ... بهذا التعبير الذي يسلبهم كلَّ خصائص الإنسان ﴿وَقُودُ النَّارِ *﴾، ويصوّرهم في صورة الحطب والخشب وساء ﴿وَقُودُ النَّارِ *﴾ بل إنَّ الأموال والأولاد ومعهما الجاه والسلطان لا تغني شيئاً في الدنيا[(615)].

قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لاَفْتَدَوْا بِهِ مِنْ سُوءِ﴾ [الزمر: 47 . 48]، إنّه الهولُ الملفوفُ في ثنايا التعبير الرهيب، فلو أنَّ لهؤلاء الظالمين، لو أنَّ لهؤلاء مما يحرصون عليه لقدّموه فديةً مما يرون من سوء العذاب يوم ﴿مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ﴾ .

وهولٌ اخرُ يتضمّنه التعبير الملفوف ﴿وَبَدَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ*﴾ ولا يفصحُ عمّا بدا لهم من الله ولم يكونوا يتوقعونه . لا يفصح عنه، ولكنّه هكذا هائلٌ مذهِلٌ مخيفٌ، فهو الله الذي يبدو منه لهؤلاء

الضعاف ما لا يتوقّعون، هكذا بلا تعريفٍ ولا تحديدٍ ﴿وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ *﴾ وهذه كذلك تزيدُ الموقفَ ، حين يتكشّفُ لهم قبحُ ما فعلوه، وحين يحيطُ بهم ما كانوا به يستهزئون من الوعيد والنذير، وهم في ذلك الموقف الأليم[(616)] .

2 . طلبُ العودةِ إلى الدنيا لعمل الصالحات:

قال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَالَيْتَنَا نُرَدُّ وَلاَ نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ *بَلْ بَدَا لَهُمْ مَا كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ *﴾ **[الأنعام: 27 . 28]** وفي قوله ﴿بَلْ بَدَا لَهُمْ مَا كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ *﴾ الله يعلمُ طبيعتهم، ويعلم إصرارهم على باطلهم، ويعلم أنَّ رجفةَ الموقف الرهيبِ الرعيبِ على النار هي التي أنطقت ألسنتهم بهذه الأماني وهذه الوعود ويدعهم السياقُ في هذا المشهد ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ*﴾، وهذا الردُّ يصفعُ وجوهَهم بالمهانة والتكذيب[(617)] .

قال تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلاَّ تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ*﴾

[الأعراف: 53] ﴿يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ﴾ أي: يوم القيامة، وما وُعِدوا به من العذاب والنكال والجنة والنار[(618)] .

قال تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ *لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلاَّ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ*﴾ [المؤمنون: 99 . 100] إنّه مشهدُ الاحتقار وإعلان التوبة عندَ مواجهةِ الموتِ، وطلب الرجعة إلى الحياة، لتدارك ما فاتَ، والإصلاح فيما ترك وراءه من أهلٍ ومالٍ، وكأنّما المشهدُ معروضُ اللحظةَ للأنظار مشهودٌ كالعيان، فإذا الردُّ على هذا الرجاء المتأخر لا يوجَّه إلى صاحبِ الرجاءِ، إنّما يعلَنُ على رؤوس الأشهاد ﴿كَلاَّ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا﴾ كلمةٌ لا معنى لها، ولا مدلول وراءها، ولا تنبغي العناية بها أو بقائلها، إنّها كلمةُ الموقفِ الرهيبِ، لا كلمةُ الإخلاصِ المنيب، كلمةٌ تقالُ في لحظة الضيق ليس لها في القلب رصيدٌ، وبها ينتهي مشهدُ الاحتضار، وإذا الحواجزُ قائمةٌ بين قائل هذه الكلمة والدنيا جميعاً، فلقد قُضِيَ الأمرُ، وانقطعت الصلات، وأغلقتِ الأبوابُ، وأُسدلتِ الأستار﴿وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ *﴾ فلا هم من أهل ، ولا هم من أهل الآخرة، إنّما هم في ذلك البرزخ إلى يوم يبعثون[(619)] .

قال تعالى: ﴿قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ *رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ *قَالَ اخْسَأُوا فِيهَا وَلاَ تُكَلِّمُونِ *إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ *فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّى أَنسَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ *إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ *﴾ [المؤمنون: 106 . 111]، وأحسنُ ما قيل في معنى ﴿غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا﴾ غلبتْ علينا أهواؤنا، فسمّى الأهواءَ واللذّاتِ شقوةً لأنهما يؤديان إليهما أي: كنّا فعلنا ﴿وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ *﴾، ضالين عن الهدى، وليس هذا اعتذارٌ منهم إنما هو إقرار، ويدل على ذلك قولهم ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ *﴾: طلبوا الرجعةَ إلى الدنيا كما طلبوا عند الموت ﴿فإن عدنا﴾ إلى الكفر ﴿فإنا ظالمون﴾ لأنفسنا بالعودة، فيجابون بعد ألف سنة ﴿اخْسَأُوا فِيهَا وَلاَ تُكَلِّمُونِ *﴾: ابعدوا في جهنم[(620)] .

قال تعالى: ﴿وَأَنذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُواْ رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرُّسُلَ أَوَلَمْ تَكُونُواْ أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ * وَسَكَنْتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ الأَمْثَالَ *﴾ [إبراهيم: 44 . 45] أنذرهم يوم يأتيهم ذلك العذابُ المرسوم انفاً، فيتوجه الذين ظلموا يومئذ إلى الله بالرجاء يقولون:

﴿رَبَّنَا﴾ الان وقد كانوا يكفرون به من ، ويجعلون له أنداداً ﴿أَخِّرْنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ نُجِبْ دَعْوَتَكَ ونتبع الرسل﴾ وهنا ينقلِبُ السياق من الحكايةِ إلى ﴿وَنَتَّبِعِ الرُّسُلَ﴾، كأنّهم ماثلون شاخصون يطلبون، وكأننا في الآخرة قد انطوت الدنيا، وما كان فيها، فها هو ذا الخطابُ يوجَّه إليهم من الملأ الأعلى بالتبكيتِ والتأنيبِ والتذكيرِ بما فرط منهم في تلك الحياة ﴿أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِنْ قَبْلُ مَا لَكُمْ مِنْ زَوَالٍ *﴾ ؟ فكيفَ ترون الآن؟ زلتم يا ترى أم تزولوا ؟ ولقد قلتُم قولتكم هذه، واثار الغارين شاخصةٌ أمامكم مثلاً، بارزاً للظالمين مصيرهم المحتوم ﴿وَسَكَنْتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ الأَمْثَالَ *﴾ فكانَ عجباً أن تروا مساكن الظالمين أمامكم خالية منهم وأنتم فيها ، ثم تقسمون مع ذلك ﴿مَا لَكُمْ مِنْ زَوَالٍ *﴾ وعند هذا التبكيتِ ينتهي ، وندركُ أينَ صاروا، وماذا كان بعد الدعاءِ وخيبة الأمل، وإنّ هذا المثلَ ليتجدّدُ في الحياة، ويقعُ كلَّ حين، فكم من طغاةٍ يسكنون مساكنَ الطغاة الذين سكنوا من قبلهم، وربّما يكونون قد هلكوا على أيديهم . ثم هم يطغون بعد ذلك، ويتجبّرون، ويسيرون حذوك النعل بالنعل سِيرةَ الهالكين، فلا تهزّ وجدانَهم تلك الاثار الباقية التي يسكنونها، والتي تتحدّث عن تاريخ الهالكين، وتصوّر مصايرهم للناظرين، ثُم يُؤخذون أخذة الغابرين، ويلحقون بهم، وتخلوا منهم الديارُ بعدَ حينٍ[(621)] .

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لاَ يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلاَ يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ *وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ *﴾ **[فاطر: 36 . 37]** ﴿وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا﴾، يتصارخون، يفتعلون الصراخ، وهو الصياح بجهد وشدة، ويجأرون إلى الله عز وجل بأصواتهم[(622)] .

قال تعالى: ﴿وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنْتُمْ لاَ تَشْعُرُونَ *أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَاحَسْرَتَى عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ *أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ *أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ *﴾ **[الزمر: 55 . 59]** في قوله ﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَاحَسْرَتَى عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ﴾ أي: يتحسّرُ المجرم المفرط في التوبة ، ويودُّ لو كان من المؤمنين المخلصين المطيعين لله[(623)] .

قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ وَلِيٍّ مِنْ بَعْدِهِ وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَى مَرَدٍّ مِنْ سَبِيلٍ *وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَاشِعِينَ مِنَ الذُّلِّ يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ وَقَالَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلاَ إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُقِيمٍ *﴾

[الشورى: 44-45] الظالمون كانوا طغاةً بغاةً، فناسبَ أن يكون الذلُّ مظهرَهم البارزَ في يوم الجزاء، إنّهم يرونَ العذابَ، فيتهاوى كبرياؤهم، ويتساءلون في انكسار ﴿هَلْ إِلَى مَرَدٍّ مِنْ سَبِيلٍ *﴾ في هذه الصيغة الموجبةِ باليأس مع اللهفة ، مع التطلع إلى بارقة للخلاص، وهم يعرضون على النار ﴿خَاشِعِينَ﴾ لا من التقوى ولا من الحياء، ولكن من الذُّلِّ والهوان، وهم يُعْرَضُون منكَّسي الأبصار، لا يرفعون أعينهم من الذل والعار وهي صورةٌ شاخصةٌ ﴿يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ﴾، وفي ظلِّ هذا المشهد يوجَّهُ الخطابُ إلى المعاندين المكابرين ليستجيبوا لربّهم قبل أن يفاجئهم مثل هذا المصير، فلا يجدون لهم ملجأ يقيهم، ولا نصيرَ ينكرُ مصيرهم الأليم[(624)] .

قال تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلاَ أَوْلاَدُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ *وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلاَ أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ *وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ *﴾ [المنافقون: 9 . 11] .

قال تعالى: ﴿وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ * وَلَوْ شِئْنَا لآَتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ

*فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ *﴾ **[السجدة: 12 . 14]** .

3 . طلب الانتقام من الأولياء: قال تعالى: ﴿قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّى إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لأُولاَهُمْ رَبَّنَا هَؤُلاَءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِنَ النَّارِ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَكِنْ لاَ تَعْلَمُونَ *وَقَالَتْ أُولاَهُمْ لأُخْرَاهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ *﴾ **[الأعراف: 38-39]** وفي قوله تعالى: ﴿إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا﴾ وتلاحق اخرُهم، واجتمع قاصِيهم بدانيهم، بدأ الخصامُ والجدالُ[(625)] .

وقال تعالى: ﴿هَذَا وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَآبٍ *جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمِهَادُ *هَذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ *وَآخَرُ مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ *هَذَا فَوْجٌ مُقْتَحِمٌ مَعَكُمْ لاَ مَرْحَبًا بِهِمْ إِنَّهُمْ صَالُو النَّارِ *قَالُوا بَلْ أَنْتُمْ لاَ مَرْحَبًا بِكُمْ أَنْتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا فَبِئْسَ الْقَرَارُ *قَالُوا رَبَّنَا مَنْ قَدَّمَ لَنَا هَذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِي النَّارِ *﴾ **[ص: 55 . 61]** .

وقال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرِنَا الَّذَيْنِ أَضَلاَّنَا مِنَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ الأَسْفَلِينَ *﴾ **[فصلت: 29]** وفي قوله ﴿الَّذَيْنِ أَضَلاَّنَا﴾: الشياطين على ضربين جني وإنسي[(626)] وترى الحنق والتحرّق

على الانتقام في قولهم ﴿نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ الأَسْفَلِينَ*﴾ وذلك بعد المودة والمخادنة والوسوسة، هذه صلة الوسوسة والإغراء[(627)] .

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا *خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لاَ يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلاَ نَصِيرًا *يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَالَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولاَ *وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلاَ *رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْناً كَبِيرًا *﴾ **[الأحزاب: 64 ـ 68]** .

وقال تعالى: ﴿آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ * إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الأَسْبَابُ *وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّأُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ *﴾ **[البقرة: 165 ـ 167]** أولئك الذين اتّخذوا من دونِ الله أنداداً، فظلموا الحقَّ، وظلموا أنفسَهم لو مدُّوا أبصارهم إلى يوم يقفون بين يدي الله الواحد، لو تطلّعوا ببصائرهم إلى يوم يرون العذاب الذي ينتظِرُ الظالمين، لو يرون لرأوا ﴿أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ فلا شركاءَ ولا أندادَ... ﴿وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ *﴾ لو يرون إذ تبرَّأ المتبوعون من التابعين، ورأوا العذاب، فتقطّعت بينهم الأواصر والعلاقات ، وانشغل كلٌّ بنفسه تابعاً كان أم متبوعاً، وسقطت الرياسات والقيادات التي كان المخدوعون يتبعونها، وعجزت عن وقاية

أنفسها، فضلاً عن وقاية تابعيها، وظهرت حقيقةُ الألوهية الواحدة والقدرة الواحدة، وكذب القيادات الضالة وضعفها وعجزها أمام الله وأمام العذاب ﴿وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّأُوا مِنَّا﴾ وتبدّى الحنقُ والغيظُ في التابعين المخدوعين من القيادات ، وتمنَّوا لو يردّون لهم الجميل، لو يعودون إلى الأرض فيتبرأوا من تبعيّتهم لتلك القيادات العاجزة الضعيفة في حقيقتها التي خدعتهم، ثم تبرأت منهم أمام العذاب، إنّه مشهدٌ مؤثرٌ، مشهدُ التبرؤ والتعادي والتخاصم بين التابعين والمتبوعين، بين المحبين والمحبوبين، وهنا يجيء التعقيب المِمضُّ المؤلم ﴿كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم وما هم بخارجين من النار﴾ [(70)]

4 . طلب الاستنجاد بالشركاء والأولياء:

قال تعالى: ﴿وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ قَالُوا لَوْ هَدَانَا اللَّهُ لَهَدَيْنَاكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَحِيصٍ *وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلاَّ أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلاَ تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ *﴾ [إبراهيم: 21 . 22] وفي قوله تعالى: ﴿مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ﴾: بنافعكم

ومنقذكم ومخلصكم مما أنتم فيه ﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ﴾: بنافعي بإنقاذي ممّا أنا فيه من العذاب والنكال[(628)]، وقال القرطبيُّ: فلا أنا بمغيثكم ولا أنتم بمغيثيَّ، والصارخُ والمستصرخُ هو الذي يطلبُ النصرة والمعاونة، والمصرخ هو المغيث[(629)] .

وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ *قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ رَبَّنَا هَؤُلاَءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا أَغْوَيْنَاهُمْ كَمَا غَوَيْنَا تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ *وَقِيلَ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَرَأَوُا الْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ *﴾ **[القصص: 62 ـ 64]** وفي قوله تعالى: ﴿أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ *﴾ والله يعلم أنّه وجودَ اليوم لهؤلاء الشركاء، وأنّ أتباعهم لا يعلمون عنهم شيئاً، ولا يستطيعون إليهم سبيلاً، ولكنّه الخزيُ والفضيحةُ على رؤوس الأشهاد، ومن ثَمَّ لا يجيبُ المسؤولون عن السؤال، فليس المقصودُ به هو الجواب، إنّما يحاولون أن يتبرأَّ من جريرة إغوائهم لمن وراءهم، وصدهم عن هدي الله، كما يفعل كبراءُ قريش مع الناس خلفهم، فيقولون: ﴿رَبَّنَا هَؤُلاَءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا أَغْوَيْنَاهُمْ كَمَا غَوَيْنَا تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ *﴾ ربّنا إننا لم نغوهم، فما كان لنا من سلطان على قلوبهم، إنّما وقعوا في الغواية عن رضًى منهم واختيار، كما وقعنا نحنُ في الغواية دون إجبار ﴿تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ ﴾ من جريمة إغوائهم ﴿ما كانوا إيانا يعبدون﴾ إنّما كانوا

يعبدون أصناماً وأوثاناً وخلقاً من ، ولم نجعل أنفسنا لهم الهةً، ولم يتوجهوا إلينا نحنُ بالعبادة، وفي قوله: ﴿وَرَأَوُا الْعَذَابَ﴾ رأوه في هذا، ورأوه ماثلاً وراءه، فليس وراءَ هذا الموقف إلا العذاب، وهنا في اللحظة التي يصلُ فيها المشهدُ إلى ذِروته يعرض عليهم الهُدى الذي يرفضونه، وهو أمنيةُ المتمنّي في ذلك الموقف المكروب! وهو بين أيديهم في الدنيا، ولو أنّهم إليه يسارعون .

وقال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ مَوْبِقًا * وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا *﴾ [الكهف: 52 . 53] وفي قوله: ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ مَوْبِقًا *﴾: أنّ الله تعالى بيّن أنّه لا سبيلَ لهؤلاء المشركين، ولا وصولَ لهم إلى الهتهم التي كانوا يزعمون في الدنيا، وأنّه يفرِّق بينهم وبينها في الآخرة، فلا خلاصَ لأحدِ الفريقين إلى الآخر، بل بينهم مهلكٌ وهولٌ عظيمٌ، وأمرٌ كبيرٌ[(630)] .

وقال تعالى: ﴿وقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِهَذَا القرآن وَلاَ بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلاَ أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ *قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَى بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ بَلْ كُنْتُمْ مُجْرِمِينَ *وَقَالَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ

نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَنْدَادًا وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الأَغْلاَلَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُجْزَوْنَ إِلاَّ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ *﴾ [سبأ: 31 . 33] .

وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلاَئِكَةِ أَهَؤُلاَءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ *قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيُّنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ *فَالْيَوْمَ لاَ يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَفْعًا وَلاَ ضَرًّا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ *﴾ [سبأ: 40 . 42] .

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ يَتَحَآجُّونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِنَ النَّارِ *قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ *﴾ [غافر: 47 . 48] .

وقال تعالى: ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ *قَالُوا إِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ *قَالُوا بَلْ لَمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ *وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بَلْ كُنْتُمْ قَوْمًا طَاغِينَ *فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا إِنَّا لَذَائِقُونَ *فَأَغْوَيْنَاكُمْ إِنَّا كُنَّا غَاوِينَ *فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ *إِنَّا كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ *﴾ [الصافات: 27 . 34] وفي قوله تعالى: ﴿قَالُوا إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ﴾ ، قال ابنُ عباس: يقولون: كنتم تقهروننا بالقدرة منكم علينا لأنّا كُنّا أذلاء، وكنتم أعزاء[(631)] .

5. طلب الخروج من النار:

قال تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِمْ بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْأَرُونَ *لاَ تَجْأَرُوا الْيَوْمَ إِنَّكُمْ مِنَّا لاَ تُنْصَرُونَ *قَدْ كَانَتْ آيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ تَنْكِصُونَ *مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سَامِرًا تَهْجُرُونَ *﴾ **[المؤمنون: 64 . 67]** وفي قوله ﴿حَتَّى إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِمْ﴾ يعني حتّى إذا جاءَ . وهم المنعمون في الدنيا . عذابُ الله و بأسُه ونقمتُه بهم: ﴿إِذَا هُمْ يَجْأَرُونَ﴾ أي: يصرخون ويستغيثون ﴿ فَكُنْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ تَنْكِصُونَ *﴾ أي: إذا دعيتم أبيتم، وإن طلبتم امتنعتم [(632)] قيل مستكبرين بالبيت يقولون: نحن أهله ﴿مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سَامِرًا تَهْجُرُونَ*﴾، وكانوا يتكبّرون ويسمُرون فيه، ولا يعمرونه ويهجرونه [(633)].

وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَالَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً *يَاوَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلاَنًا خَلِيلاً *لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلإِنْسَانِ خَذُولاً *﴾ **[الفرقان: 27 . 29]** .

وقال تعالى: ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ فَنَادَوْا وَلاَتَ حِينَ مَنَاصٍ *﴾ **[ص: 3]** ومعنى قوله: ﴿فنادوا ولات حين مناص﴾ نادوا بالتوحيد حين تولّت الدُّنيا عنهم وأرادوا التوبةَ في غير وقتها ، قال تعالى: ﴿قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ *ذَلِكُمْ بِأَنَّهُ إِذَا

دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِنْ يُشْرَكْ بِهِ تُؤْمِنُوا فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ *﴾ [غافر: 11 . 12] وفي قوله: ﴿فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ *﴾ فهل أنتَ مجيبنا إلى أن تعيدنا إلى الدار ، فإنّكَ قادِرٌ على ذلك لنعمل غير الذي كنّا نعمل، فإن عُدنا إلى ما كنا فيه فإنّا ظالمون، فأجيبوا إلى أن لا سبيل إلى عودكم ومرجعكم إلى الدار الدنيا، ثم علّل المنعَ من ذلك بأنَّ سجاياكم لا تقبلُ الحقَّ ولا تقتضيه، بل تمجُّه وتنفيه، ولهذا قال تعالى: ﴿ذَلِكُمْ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِنْ يُشْرَكْ بِهِ تُؤْمِنُوا فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ ﴾ فهذا هو الذي يقودكم إلى ذلك الموقف الذليل إيمانكم ، وكفركم بالوحدانية، فالحكم لله العلي الكبير، وهما صفتان تناسبان موقف الحكم، الاستعلاء على كل شيء، والكبر فوق كل شيء في موقف الفصل الأخير[(634)] .

وقال تعالى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ *وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ *﴾ [السجدة: 20 . 21]

6 . طلب التخفيف من العذاب:

قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِنَ الْعَذَابِ *قَالُوا أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَى قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلاَّ فِي ضَلاَلٍ *﴾ [غافر: 49 . 50] .

7. طلب القضاء عليهم :

قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ *لاَ يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ *وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ *وَنَادَوْا يَامَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَاكِثُونَ *لَقَدْ جِئْنَاكُمْ بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ *﴾ [الزخرف: 74 . 78] .

8. طلب سقيا الماء والطعام:

قال تعالى: ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ الأَعْرَافِ رِجَالاً يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَاهُمْ قَالُوا مَا أَغْنَى عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ *أَهَؤُلاَءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لاَ يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ لاَ خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلاَ أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ *وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ *الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ نَنْسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ *﴾ [الأعراف: 48 . 51] .

9. طلب النور:

قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انْظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ

الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ *يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَى وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الأَمَانِيُّ حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ *﴾ [الحديد: 13 ـ 14] إنّ المنافقين والمنافقات في حَيرةٍ وضلال، وفي مهانةٍ وإهمالٍ، وهم يتعلّقون بأذيالِ المؤمنين والمؤمنات ﴿يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انْظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ﴾ فحيثُما تتوجّه أنظارُ المؤمنين والمؤمنات يشعُّ ذلك النور اللطيف ، ولكن أنَّى للمنافقين أن يقتبسوا من هذا النور، وعاشوا حياتهم كلها في الظلام ؟ إنّ صوتاً يناديهم ﴿قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا ناركم﴾ ويبدو أنّه صوتٌ للتهكم والتذكير بما كان منهم في الدنيا من نفاقٍ ودَسٍّ في الظلام: ارجعوا وراءكم إلى الدنيا، إلى ما كنتم تعملون، ارجعوا فالنور يلتمس النور، وعلى الفور يفصل بين المؤمنين والمؤمنات والمنافقين والمنافقات، فهذا يومُ الفصل إن كانوا في الدنيا مختلطين في الجماعة: ﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ *﴾ ويبدو أنّه سورٌ يمنعُ، ولكن لا يمنعُ الصوتَ فها هم أولاء المنافقون ينادون المؤمنين ﴿أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ﴾ فما بالنا نفترق ؟ ألم نكن معكم في الدنيا نعيش في صعيد واحد ؟ وقد بعثنا معكم في صعيد واحد؟[(635)] ﴿وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ﴾: فتنتم أنفسكم باللذات والمعاصي والشهوات، وتربصتم أي: أخرتم التوبة من وقت إلى وقت ﴿وَارْتَبْتُمْ﴾:

بالبعث بعد الموت . ﴿وَغَرَّتْكُمُ الأَمَانِيُّ﴾: قلتم سيغفر لنا وقيل: غرتكم الدنيا ﴿حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ﴾: ما زلتم في هذا حتى جاءكم الموت ﴿وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ *﴾: الشيطان[(636)] .

خامساً ـ جملة الجرائم التي تدخل النار!

من الجرائم التي تدخلُ النارَ، الإشراكُ بالله تعالى، والتكذيبُ للرسل، والكفر، والحسدُ، والكذبُ، والخيانةُ، والظلمُ، والفواحشُ، والغدرُ، وقطيعةُ الرحم، والجبنُ عن الجهادِ، والبخلُ، واختلافُ السرِّ والعلانية، واليأسُ من روحِ الله، والأمنُ من مكر الله، والجزعُ عند المصائب، الفخرُ والبطرُ عند النعم، وتركُ فرائضِ اللهِ، والاعتداءُ على حدوده، وانتهاك حرماته، وخوفُ المخلوق دون الخالق، والعملُ رياءً وسمعةً، ومخالفةُ الكتاب والسنة في أي اعتقادٍ وعملٍ، وطاعةُ المخلوقِ في معصية الخالق، والتعصّبُ للباطل، واستهزاءٌ بايات الله، وجحدُ الحق، والكتمانُ لما يجبُ إظهارُه من علمٍ وشهادةٍ، والسحرُ، وعقوقُ الوالدين، وقتلُ النفس التي حرّم الله إلاّ بالحق، وأكلُ مالِ اليتيم، والربا، والفرارُ من الزحف، وقذفُ المحصناتِ الغافلاتِ المؤمنات[(637)] .

سادساً: أكبر جرائم المخلّدين في النار :

إنّ الذي يتدبّر القرآن الكريمَ يجدُ في آياتٍ كثيرةٍ أنّ الله عزّ وجل قد ذكر أسبابَ جرائم الخالدين الذين استحقوا بها الخلود في النار من أهمها:

1 . **الكفر والشرك:** قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ *﴾ **[البينة: 6]** .

2 . **طاعة قرناء السوء:** قال تعالى: ﴿وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ فَزَيَّنُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ *وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لاَ تَسْمَعُوا لِهَذَا القرآن وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ *فَلَنُذِيقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ *ذَلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ النَّارُ لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ جَزَاءً بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ *﴾ **[فصلت: 25 . 28]** .

3 . **النفاق: قال تعالى:** ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ *﴾ **[التوبة: 68]** وقال تعالى: ﴿وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّآنِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا *﴾ **[الفتح: 6]** .

4 ـ الكبر: قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ *﴾ **[الأعراف: 36]** وقال تعالى: ﴿فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ *﴾ **[الزمر: 72]** وقال تعالى: ﴿ذَلِكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ **[غافر: 75 ـ 76]** .

5 ـ عدم القيام بالتكاليف الشرعية: مع التكذيب بيوم الدين، وترك الالتزام بالضوابط الشرعية، فقد أخبرنا الله سبحانه وتعالى أنّ أهلَ الجنة يَسْأَلون أهلَ النار قائلين ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ *﴾ **[المدثر: 42]** . فيجيبون قائلين: ﴿قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ *وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ *وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ *وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ *حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ *﴾ **[المدثر: 43 ـ 47]** [(638)] .

سابعاً: أشخاص بأعينهم في النار :

ذكر الله تعالى بعضَ الأشخاص بأعيانهم، وبيّن أنهم من أهل النار، ونحن ـ كمسلمين ـ لا نشهدُ لأحدٍ بعينه أنّه من أهل النار إلاّ مَنْ شهدَ الله ورسوله(ﷺ) له بذلك[(639)] ومن هؤلاء :

1 ـ إبليس: والآيات في ذلك كثيرة، ودخولُه النارَ معلومٌ من الدين وبالضرورة، بل معلومٌ في جميع الأديان، كمثل قوله تعالى: ﴿كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ

إِذْ قَالَ لِلإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ *فَكَانَ عَاقِبَتَهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدَيْنِ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ*﴾ [الحشر: 16 . 17] وقال تعالى لإبليس: ﴿قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ *لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ *﴾ [ص: 84 . 85] .

2 . **قابيل**: وأما ابن ادم (قابيل) فقد قال رسول الله (ﷺ): « لا تُقْتَلُ نَفْسٌ ظُلماً إلاّ كان على ابن ادمَ الأولِ كِفْلٌ مِنْ دَمِها، لأنّه أولُ من سَنّ القتلَ »[(640)] .

3 . **فرعون وجنوده**: قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنصَرُونَ * وَأَتْبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُم مِّنَ الْمَقْبُوحِينَ﴾ [القصص: 41 . 42] وقال تعالى: ﴿فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ *النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ *﴾ [غافر: 45 . 46] .

4 . **قارون وهامان**: قال تعالى: ﴿وَقَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ *فَكُلاًّ أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ

يَظْلِمُونَ*﴾ [العنكبوت: 39 . 40] وقال تعالى: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنْتَصِرِينَ *﴾ [القصص: 81] وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ *إِلَى فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ *فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلاَّ فِي ضَلاَلٍ *﴾ [غافر: 23 . 25]، فسمّاهم الله تعالى كافرين[(641)] .

5 . امرأة نوح وامرأة لوط: قال تعالى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَةَ نُوحٍ وَامْرَأَةَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلاَ النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ *﴾ [التحريم: 10] .

6 . كفرة الجن في النار: قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ﴾ [الأعراف: 179] وقال تعالى: ﴿وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا *وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا *﴾ [الجن: 14 . 15].

7 . أحد أبناء نوح: قال تعالى: ﴿وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يابُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا وَلاَ تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ *قَالَ سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لاَ عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلاَّ مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ *﴾ [هود: 42 . 43] .

8 . قوم نوح: قال تعالى: ﴿وَأُوْحِيَ إِلَى نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلاَّ مَنْ قَدْ آمَنَ فَلاَ تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ *وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلاَ تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ *﴾ **[هود: 36 . 37]** .

9 . قوم عاد: قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ﴾ **[هود: 59 . 60]** .

10 . قوم ثمود: قال تعالى: ﴿وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ *كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا أَلاَ إِنَّ ثَمُودَ كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلاَ بُعْدًا لِثَمُودَ *﴾ **[هود: 67 . 68]** فحكم الله عليهم بالكفر، وقد قدّمنا أنَّ أصحاب الخلود في النار هم الكفار والمشركون[(642)] .

11 . قوم لوط: قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ *مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ *﴾ **[هود: 82 . 83]** .

12 . قوم شعيب: قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ *كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا أَلاَ بُعْدًا لِمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ *﴾ **[هود: 94 . 95]** وقال تعالى:

﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ *﴾ [الشعراء: 189] وتكذيبُ الرسل مِنْ أنواعِ الكفر[(643)] .

13 . بنو النضير من اليهود: قال تعالى: ﴿وَلَوْلاَ أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلاَءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخرة عَذَابُ النَّارِ *﴾ [الحشر: 3] وقد نزلتْ هذه الآية في يهود بني النضير لما خانوا الرسول (ﷺ)، وأرادوا قتله بإلقاء حجر عليه، ولكنّ الله تعالى عصمه منهم، فحاصرهم النبيُّ (ﷺ) وأجلاهم[(644)]، وهذا الحكمُ ليس خاصاً بيهود بني النضير، بل كلُّ مَنْ سمعَ بدعوة النبيّ(ﷺ) من اليهود والنصارى ولم يُسْلِمْ فهو في النار[(645)]، قال رسول الله (ﷺ): «والذي نفسُ محمّدٍ بيده لا يسمعُ بي أحدٌ مِنْ هذه الأمةِ يهوديٌّ ولا نصرانيٌّ، ثم يموتُ، ولم يؤمنْ بالّذي أُرسلتُ به، إلاّ كانَ من أصحابِ النّارِ»[(646)] .

14 . أبو لهب وامرأته: قال تعالى في سورة المسد: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ *مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ *سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ *وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ *فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ *﴾ .

15 . الوليد بن المغيرة: وهو المقصودُ بقوله تعالى: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا *وَجَعَلْتُ لَهُ مَالاً مَمْدُودًا *وَبَنِينَ شُهُودًا *وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيدًا *ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ

*كَلاَّ إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا *سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا *إِنَّهُ فَكَّرَ وقَدَّرَ *فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ *ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ *ثُمَّ نَظَرَ *ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ *ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ *فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ يُؤْثَرُ *إِنْ هَذَا إِلاَّ قَوْلُ الْبَشَرِ *سَأُصْلِيهِ سَقَرَ *﴾ [المدثر: 11 . 26]

جاء الوليدُ بنُ المغيرة إلى النبيّ (ﷺ)، فقرأ عليه القرآن، فكأنّه رقَّ له، فبلغَ ذلك أبا جهل، فأتاه فقال: يا عم إنّ قومَك يرون أن يجمعوا لك مالاً، قال: لم ؟ قال: ليعطوكه، فإنّك أتيتَ محمداً تتعرّضُ لِمَا قِبَله، قال: قد علمتْ قريشٌ أني أكثرُها مالاً، قال: فقل فيه قولاً يبلغُ قومَك أنّك منكِرٌ له، أو أنَّكَ كارهٌ له، قال: ماذا أقول ؟ فواللهِ ما فيكم رجلٌ أعلمُ بالأشعارِ مني، ولا برجزٍ ولا بقصيدةٍ مني، ولا بأشعارِ الجنّ، واللهِ ما يُشْبِهُ الذي يقول شيئاً من هذا، واللهِ إنَّ لقولهِ الذي يقولُ حلاوةً، وإنّ عليه لطلاوةً، وإنّه لمثمِرٌ أعلاه، مغدِقٌ أسفلُه، وإنّه ليعلو وما يعلى عليه، وإنّه ليحطِمُ ما تحته، قال: لا يرضى عنك قومُكَ حتّى تقولَ فيه، قال: فدعني حتّى أفكرَ، فلمّا فكر، قال: هذا سحرٌ يؤثر، يأثرُه عن غيره، فنزلت ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا يعني الآياتِ .

* * *

المبحث الثالث : موانع إنفاذ الوعيد

تحدّث العلماءُ عن أسباب سقوط العذاب في الآخرة، وذكروها في موانع إنفاذ الوعيد، والتي منها :

أولاً . التوبة :

التوبةُ مانعٌ من إنفاذِ وعيد جميع الذنوب، ودليلُ ذلك الكتاب والسنة والإجماع .

أما الدليل من كتاب الله تعالى فقد قال تعالى: ﴿قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لاَ تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ *﴾ **[الزمر: 53]** أي لمن تاب[(647)]، وقال تعالى: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ *فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ *﴾ **[المائدة: 38-39]** .

أما الدليل من السنة فقد جاء عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله (ﷺ): « إنّ اللهَ عزّ وجلّ يَبْسُطُ يدَه بالليلِ ليتوبَ مسيءُ النهارِ، ويبسطُ يدَه بالنهارِ ليتوبَ مسيءُ الليلِ، حتّى تطلعَ الشمسُ من

مغرِبها »[(648)] . وقال رسول الله (ﷺ): « إنّ الله يقبلُ توبةَ العبدِ ما لم يُغَرْغِرْ »[(649)] .

وأما الإجماع: فقد اتفق العلماءُ على أنّ التوبةَ من الكفرِ مقبولةٌ ما لم يوقنِ الإنسانُ بالموتِ بالمعاينة، ومن الزنا، ومن فعل فعلة قوم لوط، ومن شُربِ الخمر، ومن كلِّ معصيةٍ بين المرء وربه تعالى، ممّا لا يحتاجُ في التوبة إلى دفع مال، ومما ليس مظلمة للإنسان[(650)] . فالتوبةُ مانعٌ شاملٌ، يمنعُ إنفاذَ وعيدِ جميعِ الذنوب، كالكفر وما دونه، وهذا الشمولُ مختصٌّ بهذا المانع[(651)] . فالتوبةُ تمحو جميعَ السيئات، وليس شيءٌ يغفِرُ جميعَ الذنوب إلاّ التوبة[(652)].

ثانياً: الاستغفار :

دلّتِ النصوصُ الشرعيةُ على أنَّ الاستغفارَ مانعُ من إنفاذِ الوعيد، ومن هذه النصوص :

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ *أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ *﴾ [آل عمران: 135 . 136] وقوله تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنْثَيَيْنِ فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا

تَرَكَ وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلأُمِّهِ السُّدُسُ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لاَ تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا *﴾ [النساء: 11] وقوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلاَّ لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا *﴾ [النساء: 64] .

وقال رسول الله (ﷺ): « إنّ عبداً أصابَ ذنباً، فقال: ياربّ إنّي أذنبتُ ذنباً، فاغفره لي، فقال له ربُّه: عَلِمَ عَبْدِي أَنَّ لَهُ ربًّا يغفِرُ الذَّنبَ ويأخذُ به ،فغفر له .

ثم مكثَ ما شاء الله، ثم أصابَ ذنباً اخر، وربما قال: ثم أذنبَ ذنباً اخر ، فقال: ياربِّ إنّي أذنبتُ ذنباً اخر فاغْفِرْهُ لي، فقال ربُّه: عَلِمَ عبدي أنّ له رباً يغفِرُ الذنبَ، ويأخذُ بِهِ، فغفرله، ثم مكث ما شاء الله، ثم أصابَ ذنباً اخر، قال أذنب ذنباً اخر، فقال: ياربِّ أذنبت ذنباً فاغفره لي، فقال ربه: علم عبدي أن له ربّاً يغفِرُ الذنبَ، ويأخذُ به، فقال ربُّه: غفرتُ لعبدي، فليعملْ ما شاء »[(653)] . وقال رسول الله (ﷺ): « والذي نفسِي بيدِه لو لم تُذْنِبوا لذهبَ اللهُ بِكُم، ولجاءَ بقومٍ يُذْنِبُوْنَ فَيَسْتَغْفِرُوْنَ اللهَ فَيَغْفِرَ لهم»[(654)].

فدلّت هذه النصوصُ المحْكَمَةُ على أنَّ الاستغفارَ مانعٌ من إنفاذِ الوعيدِ [(655)] .

ثالثاً: الحسنات الماحية :

دلّت نصوصٌ شرعيةٌ كثيرةٌ على أنَّ الحسناتِ يمكنُ أن تمنعَ إنفاذَ وعيدِ السيئاتِ، والأدلّةُ على ذلك كثيرة منها: قوله تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلاَةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ *﴾ **[هود: 114]** .

وعن أبي ذر رضي الله عنه، قال: قال لي رسولُ الله (ﷺ): « اتَّقِ اللهَ حيثُما كنتَ، وأتبعِ السيئةَ الحسنةَ تَمْحُها، وخالِقِ النّاسَ بِخُلقٍ حَسَنٍ »[(656)] .

وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه، قال سمعتُ رسولَ اللهِ (ﷺ) يقول: «ما مَنْ أحدٍ يَشْهَدُ أنْ لا إلهَ إلاّ الله، وأنَّ محمداً رسولُ اللهِ صدقاً من قلبه إلا حرّمَ اللهُ عليه النَّارَ »[(657)] .

وعن عثمان بن عفان رضي الله عنه، قال: قال رسولُ اللهِ (ﷺ): « مَنْ تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الوُضُوْءَ خَرَجَتْ خطاياه مِنْ جَسَدِهِ حتّى تخرجَ مِنْ تحت أظفارِهِ »[(658)] .

وقال رسولُ اللهِ (ﷺ): « أرأيتُم لو أنَّ نَهْراً ببابِ أحدِكم يَغْتَسِلُ فيه كلَّ يومٍ خَمْسَ مرّاتٍ ،هل يَبْقَى مِنْ دَرَنِهِ شيءٌ » ؟ قالوا: لا يَبْقَى مِنْ دَرَنِهِ شَيْءٌ، قال: فكذلك مَثَلُ الصلواتِ الخَمْسِ، يَمْحُو الله بهن الخَطَايا »[(659)] .

وقال رسول الله (ﷺ): « مَنْ صامَ رمضان إيماناً واحتساباً غفرَ لَهُ ما تقدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ »[(660)] .

وقال رسول الله (ﷺ): « مَنْ حَجَّ للهِ فلم يَرْفُثْ وَلَمْ يَفْسُق، رَجَعَ من ذنوبه كيومَ ولدتْه أُمُّهُ »[(661)] .

رابعاً . دعاء المؤمنين:

النصوصُ الشرعيةُ التي دلّت على مشروعيةِ الدُّعاء للمؤمنين بالمغفرةِ والرحمةِ تدلُّ قطعاً على انتفاع المدعو بدعاء إخوانه المؤمنين، ومن أهمِّ مظاهرِ انتفاعهِ عدمُ إنفاذِ الله وعيدَه بسببِ دعاء المؤمنين واستغفارِهم، ولا شك أنَّ الدعاء بالمغفرةِ والرحمةِ لا يمكِنُ أن يمنعَ إنفاذَ وعيدِ المدعو له إذا لقي الله متلبِّساً بمكفِّرٍ، كالشرك الأكبر والنفاق الأكبر، لأنّ الله أخبرَ في كتابه: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا *﴾ [النساء: 48] .

كما أنَّ النصوصَ الشرعيةَ دلّت على تحريم الاستغفار المطلق والمقيد بفعلٍ معيّنٍ كمن لقيَ الله كافراً، فقد دلَّ على تحريم الاستغفار المطلق قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ *﴾ [التوبة: 113] والمقصودُ من هذا كله أنَّ تحريمَ الاستغفار بمختلَفِ صوره لَمَنْ لَقِيَ الله كافراً، يدلُّ مِنْ وجهٍ اخرَ على أنَّ طلب المغفرة وما في معناها لا أثر له البتَّة في إسقاطِ وعيدِه، كما أنَّ الدعاءَ من حيث هو لا يترتّبُ عليه أثرهُ إلاّ إذا تحققتْ شروطُه، وانتفتْ موانعُه، ومن شروطه أن يكون المطلوب جائزَ الطلبِ شرعاً، ومن موانِعِه الاعتداءُ في الدعاء، وحينئذٍ فطلب المغفرة وما في معناها لمن لقي الله كافراً لا يمكِنُ أن يترتّبَ عليه أثرهُ، لتخلّف شرطه، ووجودٍ مانعه[(662)] .

وأمّا الأدلة الشرعية على مشروعية الدعاء لأحياء المؤمنين وأمواتهم بالمغفرة والرحمة فمنها: قوله تعالى: ﴿وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ [محمد: 91] وقوله: ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ [آل عمران: 159] وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلاَ تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاًّ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ*﴾ [الحشر: 10] .

وقال رسول الله (ﷺ): « قَدْ تُوفِّيَ اليومَ رجلٌ صالحٌ مِنَ الحَبَشِ فهلمَّ فَصَلُّوا عَلَيْهِ »[(663)] .

وقال رسول الله (ﷺ): « مَا مِنْ رَجُلٍ مُسْلِمٍ يموتُ، فيقومُ على جنازتِهِ أربعونَ رجلاً لا يُشْرِكُونَ باللهِ شيئاً إلاّ شَفَّعهم اللهُ فِيْهِ »[(664)]، والشفاعةُ للميّتِ ـ أي الدعاء للميت بالمغفرة والرحمة ـ هي المقصودُ من هذه الصلاة أصالةً، ولذلك أمر النبيُّ (ﷺ) في صلاة الجنازة بإخلاصِ الدُّعاءِ للميت، فقد قال رسول الله (ﷺ): « إذا صَلَّيْتُم على الميِّتِ فَأَخْلِصُوْا لَهُ الدُّعَاءِ »[(665)]، ومن دعاءِ النبيّ (ﷺ) في صلاةِ الجنازةِ، قوله (ﷺ): « اللهمَّ اغْفِرْ لَهُ، وارْحَمْهُ، وعافِهِ وأعْفُ عَنْهُ، وأَكْرِمْ نُزُلَه، وَوَسِّعْ مُدْخَلَهُ، وَاغْسِلْهُ بالماءِ والثَّلْجِ والبَرَدِ، ونقِّه مِنَ الخطايا كما نَقَّيْتَ الثوبَ الأبيضَ مِنَ الدَّنَسِ، وَأَبْدِلْهُ داراً خيراً مِنْ دارِهِ، وأهلاً خَيْراً مِنْ أهلِهِ، وزَوْجَاً خيراً مِنْ زوجِهِ، وَأَدْخِلْهُ الجَنَّةَ، وأَعِذهُ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ، ومِنْ عَذَابِ النَّارِ »[(666)] .

وقال رسول الله (ﷺ): « إنَّ الله لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ، ويغفر ما دُوْنَ ذلك لمن يشاءُ، وقال: أَخَّرْتُ شَفَاعَتِي لأَهْلِ الكبائِرِ »[(667)] .

فالاستغفارُ للمؤمنينَ وما في معناه، إنّما يَمْنَعُ إنفاذَ الوعيدِ ظنّاً لا قطعاً، لأنّه دعاء، والدعاءُ: قَدْ يستجاب وقد لا يُستجابُ، إمّا لتخلّف شرطٍ، وإمّا لوجودِ مانعٍ، وإمّا لحكمةٍ إلهيةٍ لا نعلمُها، ولكنّ جانبَ الإجابةِ أرجحُ لقوّة

دلالةِ النصوص، والعملُ بالراجحِ مطلوبٌ شرعاً، فينبغي الحِرْصُ على الدعاء للمؤمنين بالمغفرة والرحمة، والاجتهادُ في ذلك، فقد يُعْتِقُ الله بدعائه كثيراً من أهل البلاء والمحنة في البرزخِ أو في الآخرة، قال تعالى: ﴿مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقِيتًا *﴾ [النساء: 85]، وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه مرفوعاً: « اشْفَعُوا تُؤْجَرُوا »[(668)] والشفاعة الحسنة تشملُ الشفاعة للناس في قضاء حوائجهم، والدعاءَ لهم بخيري الدُّنيا والآخرة وغير ذلك، فَمَنْ شفَع لينفعَ كانَ له نصيبٌ من الأجرِ، ومَنْ دعا لأخيه بظهرِ الغيبِ أَمَّنَ المَلَكُ على دعائِهِ، وقال: « ولك بمثلٍ »[(669)] .

خامساً ـ إهداء القربات:

دلّتِ النصوصُ الشرعيةُ على انَّ الجزاءَ ثواباً أو عقاباً إنّما يترتّبُ على عمل الإنسان، وعلى ما هو من اثارِ عملهِ . قال تعالى: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ [البقرة: 286] وقال تعالى: ﴿وَلاَ تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلاَّ عَلَيْهَا﴾ [الأنعام: 164] وقال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ *﴾ [يس: 12] أي نكتبُ أعمالَهم التي

باشروها بأنفسهم واثارَهم التي اثروها من بعدهم، فنجزيَهم على ذلك، إنْ خيراً فخير، وإنْ شراً فشر[(670)] .

وقال رسول الله (ﷺ): « مَنْ سَنَّ في الإسلامِ سُنَّةَ حَسَنَةً، فَله أجرها، وأجر مَنْ عمله بها مِنْ بَعْدِهِ، من غير أن يَنْقُصَ مِنْ أُجُوْرِهِمْ شيءٌ، وَمَنْ سَنَّ في الإسلامِ سُنَّةً سَيِّئَةً كان عليه وزرُها ووزرُ مَنْ عمل بها، من غير أن ينقصَ من أوزارهم شيء »[(671)] . وقال رسول الله (ﷺ): « مَنْ دَعَا إلى هُدًى، كانَ له مِنَ الأَجْرِ مِثْلَ أُجُوْرِ مَنْ تَبِعَهُ، لا يَنْقُصُ ذلك مِنْ أجورِهِم شيئاً، ومَنْ دَعَا إلى ضَلالةٍ، كانَ عَلَيْهِ مِنَ الإِثْم مِثْلَ اثامِ مَنْ تَبِعَهُ، لا يَنْقُصُ ذلك مِنْ آثامِهِم شَيْئاً[(672)] . وقال رسول الله (ﷺ): « لا تُقْتَلُ نفسٌ ظُلْماً إلاّ كانَ على ابنِ ادَمَ الأول كِفْلٌ من دمها، لأنَّه أوَّلُ مَنْ سَنَّ القَتْلَ»[(673)]، وقال رسول الله(ﷺ): « إذا ماتَ الإنسانُ انقطعَ عنه عملُه إلاّ مِنْ ثلاثةٍ: إلاّ من صدقةٍ جاريةٍ، أو علمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أو ولدٍ صالحٍ يدعو له »[(674)] .

وأمّا عملُ الآخرين، وما نشأَ عنه من اثار، فإنَّ مقتضى دلالةِ هذه النصوص عدمُ مؤاخذةِ الإنسانِ إن كان شراً، وعدمُ استحقاقِ ثوابه إنْ كان خيراً، وقد نصَّ على هذا لمعنى صراحةً قولُه سبحانه: ﴿أَلاَّ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى *وَأَنْ لَيْسَ لِلإِنْسَانِ إِلاَّ مَا سَعَى *﴾ **[النجم: 38 . 39]** وهذه الآية الكريمةُ لا تعني أنَّ الإنسانَ لا ينتفِعُ بعملِ غيرِه، وإنّما تعني أنَّ الإنسانَ لا يستحقُّ عملَ

غيرِه[(675)]، فظاهِرُ الآية أنَّ الإنسانَ ليس له إلا سعيه، وهذا حقٌّ، فإنَّه لا يملِكُ ولا يستحقُّ إلا سعيَ نفسِه، وأمَّا سعيُ غيرِه فلا يملِكُه ولا يستحقُّه، لكنّ هذا لا يمنعُ أن ينفعه الله ويرحمه به، كما أنّه دائماً يرحمُ عبادَه بأسبابٍ خارجةٍ عن مقدورهم[(676)] .

وقد دلّتِ النصوصُ الشرعيةُ على مُطْلَقِ الانتفاع بعمل الآخرين، ومن ذلك ما رواه البخاري[(677)] بسنده عن ابن عباس رضي الله عنه أنَّ سعدَ بنَ عبادةَ رضي الله عنه، توفِّيَتْ أُمه، وهو غائبٌ عنها، فقال: يا رسولَ اللهِ، إنَّ أُمي توفيتْ، وأنا غائبٌ عنها، فهل ينفعُها شيءٌ إنْ تصدَّقْتُ به عنها؟ قال «نعم» قال: «فإني أُشْهِدُكَ أنَّ حائطي المِخْرَافَ[(678)] صدقةٌ عليها» .
ومعنى نفعُ الميتِ بالصدقةِ عنه، تنزيلُه منزلةَ
المتصدِّقِ، بحيثُ تقعُ الصدقةُ نفسُها عن الميتِ، ويُكْتَبُ له ثوابُها[(679)] .

وهناك نصوصٌ شرعية تدلُّ على الانتفاع بعمل الآخرين في إسقاطِ هذه الحقوق إجمالاً وتفصيلاً .

أما الدليل الإجمالي فما رواه البخاريُّ[(680)] بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما، أنّ امرأةً من جُهينة جاءتْ إلى النبيِّ (ﷺ) فقالتْ: إنَّ أُمي نذرتْ أن تحجَّ، فلم تحجَّ حتَّى ماتتْ، أفأحجُّ عنها ؟ قال: « نعم، حُجِّي عنها، أرأيتِ لو كان على أُمُّكِ دينٌ أكنتِ قاضيتَه ؟ أقضوا اللهَ فاللهُ أحقُّ بالوفاءِ»،

والحديثُ وإنْ وردَ على سبب خاص، وهو الحجُّ إلا أنَّ العبرةَ بعمومِ اللفظِ لا بخصوصِ السببِ على المعتمد من أقوال أهل العلم، ولذلك قال ابن حجر: ويلتحِقُ بالحجِّ كلُّ حقٍّ ثبتَ في ذمته، من كفارةٍ أو نذرٍ أو زكاةٍ أو غير ذلك[(681)] .

وأما الأدلة التفصيلية فمنها ما روته عائشة رضي الله عنها أنّ رسول الله (ﷺ) قال: « مَنْ ماتَ وعليه صيامٌ صامَ عنه وليُّه »[(682)]، وعن ابن عباس رضي الله عنه، قال: استفتى سعدُ بنُ عبادة رسول الله (ﷺ) في نذرٍ كان على أُمِّه، توفيتْ قبل أن تقضيَه، قال رسول الله (ﷺ): « فاقضِه عَنْها»[(683)] . وعن بُريدةَ رضي الله عنه، قال: بينما أنا جالسٌ عند رسولِ اللهِ (ﷺ) إذ أتته امرأةٌ فقالت: إِنِّي تصدقتُ على أُمي بجاريةٍ، وإنَّها ماتتْ، قال: فقال: « وجبَ أجرُكِ، وردّها عليكِ الميراثُ » قالت: يا رسول الله، إنه كان عليها صومُ شهرٍ فأصومُ عنها ؟ قال: « صومي عنها » قالت: إنّها لم تحجَّ قط، أفأحجُّ عنها ؟ قال: « حُجّي عنها »[(684)] .

أمّا الحقوقُ التي للناس كالدَّين، فقد دلَّ على الانتفاع بعمل الآخرين في إسقاطها النصُّ والإجماعَ . أمّا النصُّ فما رواه البخاري[(685)] بسنده عن سلمة بن الأكوع، أنَّ النبيَّ (ﷺ) أُتِيَ بجنازةٍ ليصلّي عليها، فقال: « هل عليه من دينٍ ؟ » قالوا: لا، فصلّى عليه . ثم أُتِيَ بجنازةٍ أُخرى فقال: « هل عليه

مِنْ دينٍ ؟ » قالوا: نعم، قال: « صلوا على صاحبكم » . قال أبو قتادة: عليَّ دينُه يا رسولَ اللهِ، فصلّى عليه .

وأجمع المسلمون على أنَّ قضاءَ الدَّينِ يسقطُه من ذمّةِ الميِّت، ولو كان من أجنبي، أو مِنْ غير تركته ... وأجمعوا على أنَّ الحيَّ إذا كان له في ذمة الميّتِ حقٌّ من الحقوقِ، فأحلّه منه أنه ينفعُه ويبرأُ منه، كما يسقط من ذمة الحي[(686)]، ومن كلِّ ما سبق يتبيّن أنَّ النصوص الشرعية دلّت على جوازِ إهداءِ القُربات في الجملة[(687)]، وأنَّ الميّت يمكنُ أن ينتفعَ بكلّ ما يُهدى إليه من قرباتٍ عدا القرباتِ التي يتعيّن أن يفعلَها العبدُ بنفسه، كالإيمانِ والتوبةِ[(688)] .

سادساً ـ الشفاعة في أهل الكبائر:

الشفاعةُ المقبولة يمكِنُ أن تمنعَ إنفاذَ وعيدِ المعيّنِ من أهلِ الكبائرِ ظنّاً لا قطعاً، والشفاعةُ المقبولةُ هي التي انتظمت فيها شروطُ القَبولِ، وهي ثلاثة: إذنُ الله في الشفاعةِ، ودليله قوله تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ﴾ **[البقرة: 255]** ورضاه عن الشافع، ودليله قوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ لاَ تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلاَّ مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَانُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلاً *﴾ **[طه: 109]** أي إلاّ شفاعة مَنْ أَذَنِ له الرحمنُ[(689)]، ورضاه عن المشفوع له، ودليلُه قوله تعالى: ﴿وَلاَ

يَشْفَعُونَ إِلاَّ لِمَنِ ارْتَضَى﴾ [الأنبياء: 28] وأهلُ رضا اللهِ هم أهلُ التوحيدِ، ولو كانوا أهل كبائر[(690)] . وقد دلّ على هذه الشروط مجتمعةً قوله تعالى: ﴿وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لاَ تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلاَّ مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى *﴾ [النجم: 26] أي الشافعِ والمشفوعِ له[(691)] .

سابعاً ـ المصائِبُ المكفّرة :

المصائبُ اسمٌ جامع للآلام التي تلحقُ الإنسان نفسيةً كانتْ أو عضويةً، وهذه الالامُ إمّا أن تكونَ قدريةً، وإمّا أن تكونَ شرعيةً .

أمّا الالامُ القدريةُ فتنقسِمُ باعتبارِ المكانِ الذي تقع فيه إلى ثلاثة أقسام :

القسم الأول: الام دنيوية: كنقصِ الأموالِ والأنفسِ والثمراتِ .

القسم الثاني: الام برزخية، وهي ما تكونُ في القبر من الفتنةِ والضغطةِ والروعةِ.

القسم الثالث: الام أخروية، وهي ما تكونُ في عَرْصاتِ القيامة من الأهوالِ والكُرُبات والشدائد[(692)] .

وقد دلّتِ النصوص الشرعية بعمومها على أنَّ هذه الالام مما يكفِّرُ الله به الخطايا، ومن هذه الأدلة: ما قاله رسولُ اللهِ (ﷺ): «ما مِنْ مصيبةٍ تصيبُ

المسلمَ إلاّ كفَّرَ اللهُ بها عنه، حتَّى الشوكةِ يُشاكُها»[(693)] وقال رسول الله(ﷺ): «ما يصيبُ المسلمَ من نَصَبٍ[(694)]، ولا وَصَبٍ[(695)]، ولا هَمٍّ، ولا حَزنٍ ،ولا غمٍّ، حتّى الشوكةِ يشاكُها إلا كفّرَ الله بها من خطاياهُ»[(696)] وقال رسول الله (ﷺ): « ما مِنْ مُسْلمٍ يصيبُه أذًى، مرضٌ فما سواه، إلا حطَّ اللهُ به سيئاتِهِ كما تحطُّ الشجرةُ ورقَها »[(697)]، وقال رسول الله (ﷺ): « لا يموتُ لأحد من المسلمين ثلاثةٌ من الولدِ فتمسه النارُ إلا تحلّةَ القَسَمِ»[(698)] .

وقد ذهبَ الجمهورُ مِن أهلِ العلمِ إلى أنَّ نفسَ المصائبِ مكفّراتٌ ومثيباتٌ ، واستدلوا بقول الله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا﴾ **[التوبة: 120]** فرتّبَ الله سبحانه الأجرَ على جملةِ أمورٍ، منها ما هو من المصائب، كالنَّصَبِ، فدلّ ذلك على أنَّ الإنسان يؤجر على المصائب نفسها[(699)]، وقال رسول الله (ﷺ): « ما مِنْ مسلمٍ يشاكُ شوكةً فما فوقَها إلا كُتِبَتْ له بها درجةً، ومُحِيَتْ عنه بها خطيئةً »[(700)] .

إنّ ما يحصلُ للمؤمن في الدنيا والبرزخ والقيامةِ من الالام التي هي عذابٌ، فإنّ ذلك مما يكفر به خطاياه[(701)] .

وأمّا الالام الشرعية فهي الحدودُ والتعزيراتُ، لأنها زواجِرُ وجوابرُ معاً .

أمّا إنها زواجرُ عن ارتكاب المحظورات وتركِ المأموراتِ، فالأمرُ فيها ظاهرٌ، ولذا قال الله تعالى في الزانية والزاني: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِئَةَ جَلْدَةٍ وَلاَ تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأَفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخر وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ *﴾ [النور: 2] وذلك للتغليظِ في زجرِهما عن المعاودةِ، ولزجر الناسِ عن فعلهما .

وأمّا إنّها جوابرُ بمعنى أنّ مجرّدَ فعلها مكفِّرٌ لذنبِ المعاقَبِ دون حاجة إلى مكفر اخر، فدليله ما رواهُ عبادةُ بن الصامت رضي الله عنه، قال: كنّا مع رسولِ اللهِ (ﷺ) في مجلسٍ، فقال: « تُبايعوني على أنْ لا تُشْرِكوا باللهِ شيئاً، ولا تَزْنُوا، ولا تَسْرِقوا، ولا تَقْتُلوا النَّفْسَ التي حرّم اللهُ إلاّ بالحقّ، فَمَنْ وفَّى مِنْكُم فَأَجْرُهُ على اللهِ، ومَنْ أصابَ شيئاً من ذلكَ فعوقب به، فهو كفارةٌ له، ومَنْ أصاب شيئاً من ذلك فَسَتَرَهُ اللهُ عليهِ، فَأَمْرُهُ إلى اللهِ، إنْ شاءَ عفا عنه، وإنْ شاءَ عَذّبَهُ »[(702)]، فدلَّ الحديثُ على أنَّ العقابَ مكفِّرُ للذنب بمجرّد فعله، وهذا يعمُّ العقوباتِ الشرعيةِ المقدّرة وهي الحدودُ، وغير المقدرة وهي التعزيراتُ[(703)] .

ثامناً ـ العفو الإلهي:

دلّت النصوصُ الشرعيةُ المتواترةُ دِلالةً قطعيةً على أنَّ الله تعالى عفوٌّ غفورٌ، يتجاوَزُ عمّا يستحقّه المذنبون من العقابِ، منها قوله تعالى: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمَثُلاَتُ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ *﴾ [الرعد: 6] وقال تعالى: ﴿وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ﴾ [الشورى: 25] وقوله تعالى: ﴿وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ *﴾ [الشورى: 30] وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ *﴾ [الحج: 60] وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا *﴾ [النساء: 43]، وهذه النصوصُ، وما في معناها تدلُّ قطعاً على أنَّ العفو الإلهي من موانعِ إنفاذِ الوعيدِ[(704)].

ولكن لا يمكنُ أن يمنعَ إنفاذُ وعيدِ الكفرِ قطعاً، ودليلُ هذا الأصلِ القرآن والسنةُ :

فالقرآن الكريم يقول: ﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾ [النساء: 48] وقال تعالى: ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ *﴾ [المائدة: 72] .

وأمّا السنة فقد قال رسول الله (ﷺ): « مَنْ ماتَ وهو يدعو مِنْ دونِ اللهِ نِدّاً دخلَ النارَ »[(705)] . ولا خلاف بين المسلمين أنَّ المشرك إذا ماتَ على شركِه لم يكنْ من أهلِ المغفرةِ[(706)] .

والعفو الإلهي يمكِنُ أن يمنعَ إنفاذَ وعيدِ أهل الكبائر، قال تعالى :

﴿لاَ يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا *﴾ **[النساء: 48]** أبانت هذه الآية أنَّ كلَّ صاحبِ كبيرةٍ ففي مشيئة الله، إنْ شاءَ عفا عنه، وإن شاء عاقبه عليه، ما لم تكن كبيرته شِرْكاً بالله[(707)] .

وعن ابن عمر رضي الله عنه قال: سمعتُ رسولَ اللهِ (ﷺ) يقول: « يُدْنَى المؤمنُ يومَ القيامةِ مِنْ رَبّه عزّ وجلّ حتّى يضعَ عليه كَنَفَهُ[(708)]، فيقرّره بذنوبه، فيقول: هل تَعْرِفُ؟ فيقول: أيْ ربّي أعرفُ، قال: فإنّي قَدْ سترتُها عليكَ في الدنيا، وإنّي أغفرُها لك اليوم »[(709)]، وعن أنس رضي الله عنه، قال: سمعتُ رسولَ الله (ﷺ) يقول: « قال الله تعالى: يا ابنَ ادمَ إنَّك لو لقيتني بِقُرابِ الأرضِ خطايا، ثم لقيتَني لا تشرك بي شيئاً لأتيتُك بقُرابها مغفرةً»[(710)] .

* * *

المبحث الرابع : الجَنَّة

أولاً . الطريق إلى الجنة:

إنّ بدايةَ الطريق إلى الجنة هو أن نتذكّرَ الغايةَ التي خلقنا الله تعالى لأجلها، حيث قال: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ *مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ *﴾ [الذاريات: 56 . 57] . ومعنى الآية أنّه تبارك وتعالى خلَقَ العبادَ ليعبدوه وحدَه، لا شريكَ له، فَمَنْ أطاعه جازاه أتمَّ الجزاء، ومن عصاه عذّبه أشدَّ العذاب، وأخبر أنّه غيرُ محتاجٍ إليهم، بل هم الفقراء إليه في جميع أحوالهم، فهو خالقُهم ورازقُهم، وفي الحديث القدسي: « يا ابنَ ادمَ تفرّغْ لعبادتي أملأْ صدركَ غنًى، وأسدُّ فقرَكَ، وإلاّ تفعلْ ملأتُ صدرَكَ شُغلاً، ولم أسدَّ فقرَكَ »[(711)] . فالله عزّ وجلّ ما خلَقَ العبادَ إلا لغايةٍ واحدةٍ، وهي أن يعبدُوه سبحانه، وهذا يقتضي أن يحرصَ العبدُ أن تكونَ كلُّ أعماله بل كلُّ حياته عبادةً لله تعالى ﴿قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ *لاَ شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ *﴾ [الأنعام: 162 . 163] .

والعبادةُ الشاملةُ المطلوبةُ هي ألاّ تتقدّم بين يدي الله ورسوله (ﷺ) بقولٍ أو فعلٍ تفعله مِنْ عندِ نفسك، قبل أن تعلمَ حكمَ الله وحكمَ الرسول (ﷺ) فيه،

قال تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ *﴾ [الحجرات: 1] فمن العبادةِ المتابعةُ التامةُ لكلِّ ما جاء عن النبيِّ (ﷺ) من الأقوالِ والأفعالِ، مع الإخلاص في ذلك لله ربِّ العالمين [(712)] . فالمتابعة التامة للنبيّ (ﷺ) هي الكفيلةُ بتحقيقِ منزلةِ العبودية التامة لله ربِّ العالمين، مع الوفاء بحاجتنا البشرية على أكملِ وجهٍ ممكن[(713)] .

ولابدَّ لدخولِ الجنّة من عملٍ، فالعملُ ركنٌ من أركان الإيمان، وقد نصَّ الله تعالى في مواضعَ كثيرةٍ أنَّ العملَ سببٌ لدخولِ الجنان، كما قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ *﴾ [الزخرف: 72] وقال تعالى: ﴿وَنُودُوا أَنْ تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ *﴾ [الأعراف: 43] .

والقرآن يذكر كثيراً أنَّ أصحاب الجنة هم المؤمنون الذين يعملون الصالحات، فالإيمانُ هو ما في القلب، والعملُ الصالحُ هو ما ظهرَ على الجوارح، فهو جمعٌ بين العقيدة والشريعة، أو الإيمان والإسلام، أو عمل الباطن (القلب) وعمل الظاهر (الجوارح)، فلا يكفي أحدُهما عن الآخر، فمن امن ولم يعمل فهو كاذبٌ في إيمانه، إذ لو امنَ حقاً لظهر على جوارحه أثرُ الإيمان بالأعمال الصالحة، ومن عمل الصالحات من غير إيمانٍ فإنّها لا تنفعه ،إذ شرط قبول الأعمال تقدم الإيمان، كما في حديث عائشة قالت: قلتُ يا رسول الله ابنُ جدعان كان في الجاهلية يصلُ رحمَه، ويطعمُ المسكينَ، فهل ذلك نافعهُ ؟

قال: « لا ينفعهُ، إنّه لم يقلْ يوماً ربِّ اغفر لي خطيئتي يوم الدين» [(714)]،

وعن أنس بن مالك قال: قال رسولُ اللهِ (ﷺ): « إنّ الله لا يظلِمُ مؤمناً حسنةً يعطي بها في الدنيا، ويجزي بها في الآخرة، وأمَّا الكافِرُ فيُطعَمُ بحسناتِ ما عملَ بها للهِ في الدنيا، حتى إذا أفضَى إلى الآخرة لم تكن له حسنةٌ يجزَى بها »[(715)] .

إذن لابدّ للجنة من إيمانٍ وعملٍ صالحٍ، فمن كان عنده هذان الشرطان استحقَّ ـ بعدَ رحمةِ الله ـ الجنَةَ[(716)]، قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ *﴾ [البقرة: 82] وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ *أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ *﴾ [الأحقاف: 13 ـ 14] .

وقد فصّل لنا الله تعالى بعضَ أنواعِ الأعمال الصالحة، فمن ذلك :

1 ـ **التوبة**: قال تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلاَةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا *إِلاَّ مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلاَ يُظْلَمُونَ شَيْئًا *﴾ [مريم: 59 ـ 60] .

2 ـ **تزكية النفس**: قال تعالى: ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى *﴾ [طه: 76] .

3 . **التقوى**: قال تعالى: ﴿تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا *﴾ [مريم: 63] .

4 . **الصبر في البأساء والضراء**: قال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلاَ إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ *﴾ [البقرة: 214] .

5 . **الجهاد في سبيل الله**: قال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ *﴾ [آل عمران: 142] وقال تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ *تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ *يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ *﴾ [الصف: 10 . 12] .

6 . **الشهادة**: قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ *سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ *وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ *﴾ [محمد: 4 . 6] .

7 . **الابتعاد عن الكبائر**: قال تعالى: ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلاً كَرِيمًا *﴾ [النساء: 31] .

8 . إقام الصلاة والإنفاق في سبيله تعالى: قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلاَةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلاَنِيَةً وَيَدْرَأُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَئِكَ﴾ **[الرعد: 22 . 24]** .

9 . التوكل على الله: قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ *الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ *﴾ **[العنكبوت: 58 . 59]** .

10 . قيام الليل: قال تعالى: ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا﴾ **[السجدة: 16 . 17]** وقال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ *آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ *﴾ **[الذاريات: 15-19]** .

11 . خوف الله: قال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى *فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى *﴾ **[النازعات: 40 . 41]** .

وهذه بعض الآيات التي جمعت الكثير من الأعمال الصالحة[(717)] .

من سورة المؤمنون: قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ *الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاَتِهِمْ خَاشِعُونَ *وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ *وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ *وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ *إِلاَّ عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ

مَلُومِينَ *فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ *وَالَّذِينَ هُمْ لأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ *وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ *أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ *الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ *﴾ .

من سورة الفرقان: قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا * وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَاناً *وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا *أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلاَمًا *خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا *﴾ .

من سورة التوبة: قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ وَالقرآن وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ *التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ *﴾ .

من سورة ق: ﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ *هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ *مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَانَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ *ادْخُلُوهَا بِسَلاَمٍ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ *لَهُمْ مَا يَشَاؤُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ *﴾ .

من سورة المعارج: قال تعالى: ﴿إِلاَّ الْمُصَلِّينَ *الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلاَتِهِمْ دَائِمُونَ *وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ *لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ *وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ *وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ *إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ *وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ *إِلاَّ عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ *فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ *وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ *وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ *وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلاَتِهِمْ يُحَافِظُونَ *أُولَئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُكْرَمُونَ *﴾ .

من سورة آل عمران: قال تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ *الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ *وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ *أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ *﴾ .

وعموماً فكلُّ طاعةٍ لله ورسوله (ﷺ) هي من الأعمال الصالحة، وهي سببٌ لدخول الجنة، قال تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الأَعْمَى حَرَجٌ وَلاَ عَلَى الأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلاَ عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا

الأَنْهَارُ وَمَنْ يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا *﴾ [الفتح: 17]، وهذا في القرآن كثير، ومداره على ثلاثِ قواعدَ: إيمانٌ، وتقوًى، وعملُ خالصٌ لله على موافقة السنة، فأهل هذه الأصول الثلاثة هم أهل البُشرى دون من عداهم من سائر الخلق، وعليها دارت بشاراتُ القرآن والسنّةُ، وجميعها تجتمع في أصلين: إخلاص في الطاعة، وإحسان إلى الخلق .

وضدُّها يجتمع في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ *وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ *﴾ [الماعون: 6 . 7] .

وترجعُ إلى خصلةٍ واحدةٍ وهي موافقةُ الربِّ تبارك وتعالى في محابّه، ولا طريقَ إلى ذلك إلا بتحقيق القدوة ظاهراً وباطناً برسول الله (ﷺ) .

وأما الأعمال التي هي تفاصيلُ هذا الأصل، فهي بضعٌ وسبعونَ شعبة، أعلاها قولُ لا إله إلاّ الله، أدناها إماطةُ الأذى عن الطريق، وبين هاتين الشُّعبتينِ سائرُ الشُّعَبِ التي مرجعُها تصديقُ الرسول (ﷺ) في كلِّ ما أخبرَ، وطاعته في جميع ما أمرَ استحباباً وإيجاباً[(718)] .

وأمّا الأعمالُ التي هي سببٌ لدخول الجنة الواردة في السنة، فالأحاديثُ فيها أكثر من أن تحصر[(719)] .

ثانياً ـ هل الجنة ثمناً للعمل:

لاشكَّ أنَّ الأعمال سببٌ لدخول الجنة، ولكنَّ الجنَّة أعظمُ من أعمالنا، ولا يمكنُ لأعمالنا أن تدرِكَ بذاتها الجنةَ، لذلك فإنّ اللهَ برحمته يُدْخِلُ المؤمنين الجنَّة، ويجعلها من نصيبهم، مع تقصيرهم في العمل لها، وكيف لهم أن يدركوا هذا الفضلَ وأصلُ هدايتهم إلى العمل الصالح من الله، قال تعالى: ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ﴾ **[الأعراف: 34]** .

ثم إنَّ الله تعالى يكرمهم ويجازيهم على هذه الهداية، التي أعطاهم إيّاها بجزاءٍ عظيمٍ جدّاً وهي الجنة، فكيف يمكِنُ لأعمالهم أن تدركَ هذا الجزاءَ الذي الفضلُ فيه لله أولاً واخراً[(720)]؟ وقال رسول الله (ﷺ): «لا يدخلُ أحدُكم الجنّةَ بعمله» قالوا: ولا أنتَ يا رسول اللهِ؟ قال: «ولا أنا؛ إلاّ أن يتغمدَني اللهُ برحمةٍ مِنْ فَضْلِهِ»[(721)]، وعن عائشة زوجِ النبيّ (ﷺ) أنَّها كانتْ تقولُ، قال رسول الله (ﷺ): «سَدِّدُوا وقارِبُوا وأَبْشِروا، فإنّه لن يُدْخِلَ الجنةَ أحداً عملُه»[(722)]، قالوا: ولا أنتَ يا رسول الله؟ قال: «ولا أنا؛ إلا أنْ يتغمَّدني اللهُ مِنْهُ برحمة، واعلمُوا أنَّ أحبَّ العملِ إلى اللهِ أدومُه وإنْ قَلّ»[(723)]. وعن جابرٍ قال سمعتُ النبيَّ (ﷺ) يقول: « لا يُدْخِلُ أحداً مِنْكُمْ عملُهُ الجنةَ، ولا يجيرُه من النَّارِ، ولا أنا ؛ إلاّ برحمةٍ مِنَ اللهِ »[(724)] وهو حديث متواتر[(725)].

وأما قوله تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلاَ أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَنُودُوا أَنْ تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ *﴾ [الأعراف: 43] وقوله: ﴿فَلاَ تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ *﴾ [السجدة: 17] فلا تعارُضَ بينها وبين الحديث، لأنّ الآية تدلُّ على أنَّ العملَ سببٌ، والحديثُ يدلُّ على أنَّ الأعمالَ ليستْ ثمناً للجنّةِ ولابدَّ مِنْ رحمةِ الله تعالى حتّى يبلّغوا هذا العطاءَ العظيمَ[(726)] .

ثالثاً ـ أول واخر من يدخل الجنة :

قال تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ *أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ *فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ *﴾ [الواقعة: 10 ـ 12] السابقون همُ المبادرون إلى فعل الخيرات، فالسابقون إليها في الحياة الدنيا هم السابقون إلى الجنة في الحياة الآخرة، ثم يلي السابقينَ أصحابُ اليمين الأبرار، الذين يؤتون كتبهم بأيمانهم، منزلتُهم دونَ المقرّبين، فهم أقلُّ درجة في النعيم من السابقين[(727)]، قال تعالى: ﴿وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ *فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ *وَطَلْحٍ مَنْضُودٍ *وَظِلٍّ مَمْدُودٍ *وَمَاءٍ مَسْكُوبٍ *وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ *لاَ مَقْطُوعَةٍ وَلاَ مَمْنُوعَةٍ *وَفُرُشٍ مَرْفُوعَةٍ *إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً *فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا *عُرُبًا أَتْرَابًا *لأَِصْحَابِ الْيَمِينِ *ثُلَّةٌ مِنَ

الأَوَّلِينَ *وَثُلَّةٌ مِنَ الآخرينَ *﴾ [الواقعة: 27 . 40] ولاشك أنَّ رسولَنا محمّداً(ﷺ) أولُ السابقينَ، وأنَّه أولُ مَنْ تُفْتَحُ له الجنةُ، وتدخلُ أمتُهُ بعدَه، وهي أول الأمم دخولاً الجنة .

وقد دلَّ على ذلك أحاديث كثيرة منها[(728)]: عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله (ﷺ): « أنا أكثرُ الأنبياءِ تَبَعاً يومَ القيامةِ، وأنا أَوّلُ من يقرعُ بابَ الجنَّةِ »[(729)] . وقال رسول الله (ﷺ): « اِتي بابَ الجنَّةِ يومَ القيامةِ فأَسْتَفْتِحُ، فيقولُ الخازنُ: مَنْ أنتَ ؟ فأقول: محمّدٌ، فيقولُ: بِكَ أُمِرتُ لا أفتحُ لأحدٍ قبلك »[(730)]، وقال رسول الله (ﷺ): « نحنُ الآخرونَ الأوّلونَ يومَ القيامةِ، ونحنُ أوَّلُ مَنْ يدخلُ الجنَّة »[(731)] .

وأما اخِرُ مَنْ يدخل الجنَّة، فقد ذكرَ رسولُ اللهِ (ﷺ) حديثاً عن ذلك، فقال: « إنِّي لأعلمُ اخرَ أهلِ النارِ خُروجاً مِنها، واخرَ أهلِ الجنّة دخولاً، رجلٌ يخرجُ مِنَ النّارِ حَبْواً، فيقولُ اللهُ: اذهبْ فادْخُلِ الجنَّةَ، فيأتيها فيُخيَّلُ إليه أنَّها ملأى، فيرجِعُ فيقول: يا ربِّ وجدتُها ملأى، فيقول: اذهبْ فادْخُلِ الجنّة، فيأتيها فيُخيّلُ إليه أنَّها ملأى، فيرجعُ فيقولُ: يا ربِّ وجدتُها ملأى، فيقول: اذهبْ فادْخُلِ الجنّةَ، فإنَّ لكَ مِثْلَ عشرةِ أمثالِ الدُّنيا، فيقول: تسخرُ منّي أو تضحَكُ منِّي، وأنتَ الملِكُ؟ » قال الراوي عبد الله بن مسعود: فلقد رأيتُ

رسولَ اللهِ (ﷺ) ضَحِكَ حتّى بَدَتْ نواجِذُه، وكان يقال: « ذلك أدنى أهلِ الجنّةِ منزلةً »[(732)] .

رابعاً ـ الذين يدخلون الجنة بغير حساب:

أولُ زمرةٍ تدخلُ من هذه الأمة الجنةَ هم القمم الشامخة في الإيمان والتُّقى والعمل الصالح، والاستقامة على الدين الحق، يدخلون الجنّةَ صفاً واحداً، لا يدخلُ أولهم حتى يدخلَ اخرُهم، صورُهم على صورة القمر ليلة البدر، قال رسول الله (ﷺ): « أوّلُ زمرةٍ تلجُ الجنَّة صورهم على صورةِ القمر ليلةَ البدرِ[(733)]، لا يَبْصُقُونَ فيها، ولا يتمخّطون، ولا يتغوّطون، انيتُهم فيها الذهبُ، أمشاطُهم من الذهبُ والفِضّةُ، وَمَجامِرُهم من الأُلوّةِ، ورشحُهم المِسْكُ، ولكلِّ واحدٍ منهم زوجتانِ، يُرَى مخُّ ساقِهما من وراءِ اللحمِ من الحُسْنِ، لا اختلافَ بينهم ولا تباغُضَ، قلوبُهم قلبُ رجلٍ واحدٍ، يسبّحون الله بكرةً وعشياً »[(734)] .

وقال رسول الله (ﷺ): « أعطيتُ سبعينَ ألفاً من أُمّتي يدخلونَ بغيرِ حسابٍ، وجوهُهم كالقمرِ ليلةَ البدرِ، قلوبُهم على قلب رجلٍ واحدٍ، فاستزدتُ ربّي عزّ وجلّ فزادني مع كلِّ واحد سبعين ألفاً[(735)] .

وقد وصف الرسول (ﷺ) السبعين ألفاً الأوائل وبيّن علاماتهم، فقال: « عُرِضَتْ عليَّ الأممُ، فأخذَ النبيُّ يمرُّ معه الأمةُ، والنبيُّ يمرُّ معه النفرُ، والنبيُّ يمرُّ معه العشرةُ، والنبيُّ يمرُّ معه الخمسةُ، والنبيُّ يمرُّ وحدَه، فنظرتُ فإذا سوادٌ كثيرٌ . قال: هؤلاءِ أمتُك، وهؤلاءِ سبعون ألفاً قدّامهم، لا حسابَ عليهم ولا عذابَ، قلتُ: ولِمَ ؟ قال: كانوا لا يَكْتَوُوْنَ، ولا يَسْتَرْقُوْنَ، ولا يَتَطيَّرُوْنَ، وعلى ربِّهم يتوكّلون »، فقام إليه عُكّاشة بن مِحْصن فقال: ادعُ الله أن يجعلني منهم، قال: « اللهمّ اجْعَلْه مِنْهم » ثم قام إليه رجل فقال: ادع الله أن يجعلني منهم، قال: « سبقك بها عُكّاشة »[(736)] .

خامساً: أسماء الجنة:

الجنةُ هي دار كرامةِ الله التي أعدّها لعباده المتقين، ولها أسماء كثيرة فمنها :

1 . الجنة: وهو الاسم المشهور لها، قال تعالى: ﴿لاَ يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ *﴾ **[الحشر: 20]** .

2 . جنة الخلد: قال تعالى: ﴿قُلْ أَذَلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءً وَمَصِيرًا *﴾ **[الفرقان: 15]** وسُمّيت بذلك لخلودِ أهلها فيها.

3 . **جنة النعيم**: قال تعالى: ﴿وَاجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ *﴾ [الشعراء: 85]

وسُمِّيت بذلك لما فيها من النعيم المقيم الكريم .

4 . **جنة المأوى**: قال تعالى: ﴿عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى *﴾ [النجم: 15] وسمّيت بذلك لأنها مأوى المؤمنين .

5 . **جنات عدن**: قال تعالى: ﴿جَنَّاتِ عَدْنٍ مُفَتَّحَةً لَهُمُ الأَبْوَابُ *﴾ [ص: 50] فهي درجةٌ من درجاتِ الجنة .

6 . **دار السلام**: قال تعالى: ﴿لَهُمْ دَارُ السَّلاَمِ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ *﴾ [الأنعام: 127] وقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلاَمِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ *﴾ [يونس: 25] وسمّيت بذلك لأمور منها :

ـ لأنها سالمةٌ من كلِّ المنغصات والمكدرات، ومن كلِّ بليةٍ وافةٍ .

ـ لأنّها دارُ السلام، ومن أسمائه «السلام» كما قال تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لاَ إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ [الحشر: 23] فهي دارُ السّلام، يعني دار اللهِ، فهو سبحانه الذي سلّمها، وسلّم أهلها .

ـ لأن: ﴿تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلاَمٌ *﴾ [إبراهيم: 23] ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلاَمٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ﴾ [الأحزاب: 44] .

ـ لأنّ أولَ ما يستقبِلُهم به خزنةُ الجنّة هو السلامُ: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلاَمٌ عَلَيْكُمْ

طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ *﴾ [الزمر: 73] وقال تعالى: ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلاَئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ *سَلاَمٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ *﴾ [الرعد: 23 . 24] والربُّ يسلم عليهم من فوقهم ﴿لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُمْ مَا يَدَّعُونَ *سَلاَمٌ قَوْلاً مِنْ رَبٍّ رَحِيمٍ *﴾ [يس: 57 . 58] .

ـ لأنّ كلامَهم فيها سلامٌ، أي لا لغو فيها ولا فحش ولا باطل، لا يقولونه ولا يسمعونه، وقال تعالى: ﴿لاَ يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلاَّ سَلاَمًا وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا *﴾ [مريم: 62] وقال تعالى: ﴿لاَ يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلاَ كِذَّابًا*﴾ [النبأ: 35] وقال تعالى: ﴿لاَ يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلاَ تَأْثِيمًا *إِلاَّ قِيلاً سَلاَمًا سَلاَمًا *﴾ [الواقعة: 25 . 26] .

7 . **دار المتقين**: قال تعالى: ﴿وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ *﴾ [النحل: 30] وسُمِّيت بذلك لأنّهم أهلُها .

8 . **دار الآخرة**: قال تعالى: ﴿وَلَدَارُ الآخرة خَيْرٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا أَفَلاَ تَعْقِلُونَ*﴾ [يوسف: 109] والغالبُ أنْ تذكر بلفظ التعريف للدار، فيقال: الدّار الآخرة، قال تعالى: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الآخرة نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لاَ يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الأَرْضِ وَلاَ فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ *﴾ [القصص: 83] .

9 . الحسنى: قال تعالى: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ﴾ **[يونس: 26]** [(737)]

وقال رسول الله (ﷺ): « الحُسْنَى الجنةُ، والزيادةُ النظرُ إلى وَجْهِ الرحمن»[(738)] .

10 . دار المقامة: قال تعالى: ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ﴾ **[فاطر: 34 . 35]** دار المقامة يعني دار الإقامة[(739)] .

11 . الفردوس: قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ *الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ *﴾ **[المؤمنون: 10 . 11]** .

ولو توسعنا في هذا لذكرنا أسماءً كثيرةً مثل :

12 . المُدْخَلِ الكريم، المأخوذ من قوله: ﴿وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلاً كَرِيمًا *﴾ **[النساء: 31]** .

13 . حُسْنَ الماب، المأخوذ من قوله تعالى: ﴿هَذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ *جَنَّاتِ عَدْنٍ مُفَتَّحَةً لَهُمُ الأَبْوَابُ *﴾ **[ص: 49 . 50]** [(740)].

سادساً: صفة الجنة:

مهما كتبَ الكتّاب والأُدباء، وتخيّل المتخيلون، وأبدعَ المبدعون وصفاً للجنة، فلن نجدَ مثل وصف القرآن الكريم ونبيّه الكريم(ﷺ) لحقيقتها، فقد وصفها الله عز وجل بأمور منها :

1 . أبواب الجنة:

قال تعالى: ﴿هَذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ *جَنَّاتِ عَدْنٍ مُفَتَّحَةً لَهُمُ الأَبْوَابُ *﴾ [ص: 49 .50] وقال تعالى: ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ *سَلامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ *﴾ [الرعد: 23 . 24] وقال تعالى: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ *﴾ [الزمر: 73] .

وقال رسول الله (ﷺ): « في الجنّةِ ثمانيةُ أبوابٍ، فيها بابٌ يُسمّى الريانُ، لا يدخلُه إلا الصّائمون »[(741)] .

وقال رسول الله (ﷺ): « مَنْ قال: أشهدُ أنْ لا إلهَ إلاّ اللهُ وحدَه، لا شريكَ له، وأنَّ مُحمَّداً عبدهُ ورسولُه، وأنَّ عيسى عبدُ اللهِ، وابنُ أمَتِهِ، وكلمتُه ألقاها إلى مريمَ، وروحٌ منه، وأنَّ الجنةَ حقٌّ، والنّارَ حَقٌّ، أدخله اللهُ مِنْ أيِّ أبوابِ الجنّةِ الثمانيةِ شاء »[(742)] .

وقال رسول الله (ﷺ): « مَنْ أنفقَ زوجينِ[(743)] في سبيلِ اللهِ نُودي في الجنّةِ: يا عبدَ اللهِ، هذا خيرٌ، فَمنْ كانَ مِنْ أهلِ الصَّلاةِ دُعي مِنْ بابِ الصلاةِ، ومَنْ كانَ مِنْ أهلِ الجهادِ دُعِيَ من بابِ الجهادِ، ومَنْ كانَ مِنْ أهلِ الصّدقةِ دُعِيَ من بابِ الصدقةِ، ومَنْ كانَ من أهلِ الصيامِ دُعِيَ من بابِ

الرّيانِ »، قال أبو بكر الصديق: يا رسول الله، ما على أحدٍ يُدعى من تلك من ضرورةٍ، فهل يُدْعَى أحدٌ من تلك الأبوابِ كلّها ؟ قال رسول الله (ﷺ): « نعم، وأرجو أن تكونَ مِنْهُم »[(744)] .

2. قصور الجنة وخيامها:

لقد بنى الله سبحانه في الجنة مساكنَ طيبةً للإقامة المطمئنة الخالدة، وقد سمّى الله عزّ وجلّ في مواضعَ من كتابه العزيز هذه المساكن بالغُرفات، وهي القصور التي مِنْ فوقها غُرَفٌ مبنية محكمة مزخرفة عاليةٌ[(745)]، كما أنّ الغرفة أكرمُ من البهوِ فيما اعتادَ الناسُ في البيوت في هذه الحياة الدنيا عندما يستقبلون الضيوفَ، وأنَّ في الجنةِ خياماً عجيبةً، فهي من دُرّةٍ مجوّفةٍ، وفي ذلك يقول سبحانه في ايات كثيرة منها :

قال تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ *﴾ **[التوبة: 72]** .

وقال تعالى: ﴿وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلاَ أَوْلاَدُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَى إِلاَّ مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ *﴾ **[سبأ: 37]** .

وقال تعالى: ﴿أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلاَمًا *خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا *﴾ [الفرقان: 75 . 76] .

وقال تعالى: ﴿لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِنْ فَوْقِهَا غُرَفٌ مَبْنِيَّةٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ وَعْدَ اللَّهِ لاَ يُخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ *﴾ [الزمر: 20] .

وقوله سبحانه في خيام الجنة: ﴿حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ *﴾ [الرحمن: 72] إشارةٌ إلى معنًى في غاية اللطف، وهو أنَّ المؤمنَ في الجنةِ لا يحتاجُ إلى التحرّك لشيءٍ، وإنَّما الأشياءُ تتحرّك إليه، فالمأكولُ والمشروبُ يصلُ إليه من غيرِ حركةٍ منه، ويطافُ عليهم بما يشتهونه، فالحورُ يَكُنَّ في بيوت، والعرب يمدحون النساء الملازماتِ للبيوتِ للدِّلالة على شدّة الصيانة[(746)]، وعندِ الانتقال إلى المؤمنين في وقتِ إرادتهم تسيرُ بهم للارتحال إلى المؤمنين خيامٌ، وللمؤمنين قصورٌ تنزل الحورُ من الخيامِ إلى القصور[(747)] .

وقد وصف رسولنا (ﷺ) قصورَ الجنة، حين دلّنا على صفاتِ بعض قصور أصحابه، فقال: أتى جبريلُ النبيَّ (ﷺ) . فقال: « يا رسولَ اللهِ، هذه خديجةُ قد أتتْ مَعَها إناءٌ فيه إدامٌ أو طعامٌ أو شرابٌ، فإذا هي أتتْكَ فاقرأ عليها السلامَ مِنْ ربِّها ومنّي، وبشّرْها ببيتٍ في الجنَّةِ من قَصَبٍ[(748)]، لا صَخَبَ[(749)] فيه ولا نَصَبَ »[(750)] .

وقال رسول الله (ﷺ): « دخلتُ الجنةَ فرأيتُ فيها داراً أو قصراً، فقلتُ: لِمَنْ هذا ؟ فقالوا: لعمر بنِ الخطابِ، فأردتُ أن أدخلَ، فذكرتُ غيرتَك » فبكى عمر وقال: أي رسول الله، أو عليكَ يُغَارُ[(751)] .

وقد وصف النبيُّ (ﷺ) خيامَ الجنة بأنها دُرّةٌ مجوّفة طولها في السماء ثلاثون ميلاً، عن أبي بكر الأشعري عن أبيه أن النبيَّ (ﷺ) قال: « الخيمةُ درّةٌ مجوّفةٌ طولها في السماءِ ثلاثون ميلاً، في كلِّ زاويةٍ منها للمؤمن أهلٌ لا يراهم الآخرون »[(752)] .

3 . أشجار الجنة وثمارها :

وُصِفَتِ الجنّةُ بأنها البستانُ المحفوفُ بالشجر، المتكاثفُ بالأعناب والنخيل والرمان، حيثُ الجمالُ الرائعُ، والأشجارُ المتدانية القطوفُ، الوفيرةُ الاثار، وقد حفل القرآن الكريم بشواهدَ لهذا الصنف من الخير والجمال، فقال تعالى: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا *حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا *﴾ [النبأ: 31 . 32] .

وإلى جانب هذه الحدائق والأعناب هناك فاكهة كثيرة متنوعة، منها ثمرُ النخيل والرمان ﴿فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ *﴾ [الرحمن: 68] كما أن مِنْ أشجارِ الجنّةِ السِّدْرُ المخضودُ الذي لا شوك فيه، بخلافِ سدر الدنيا، فإنَّه كثيرُ الأشواكِ، قليلُ الثمرِ، وفي الآخرة على العكس، وإنَّ مِنْ أشجارِ الجنّةِ

الطلحُ المنضودُ الذي يشبه طلحَ الدنيا، لكن له ثمرٌ أحلى من العسل، وأنَّه متراكِمُ الثمر[(753)]، وقال تعالى: ﴿وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ *فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ *وَطَلْحٍ مَنْضُودٍ *وَظِلٍّ مَمْدُودٍ *وَمَاءٍ مَسْكُوبٍ *وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ *لاَ مَقْطُوعَةٍ وَلاَ مَمْنُوعَةٍ *﴾ **[الواقعة: 27 . 33]** [(754)].

وفواكهُ الجنّةِ لا تُحجَبُ عن مؤمن فضلاً عن كل معين يطلبه، وإذا كان قد ذكر بعض أنواع الفواكه، فإنَّ ما يحبه المؤمن من فاكهة يعرفها، له أن يدعوَ ليجدَ بغيته أمامه، قال تعالى: ﴿مُتَّكِئِينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ *﴾ **[ص: 51]** وقال تعالى: ﴿وَفَاكِهَةٍ مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ *﴾ **[الواقعة: 20]** وقال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلاَلٍ وَعُيُونٍ *وَفَوَاكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ *كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ *﴾ **[المرسلات: 41 . 43]** .

وأشجارُ الجنة دائمةُ العطاء، فهي ليست كأشجارِ الدنيا تعطي في وقتٍ دونَ وقتٍ، وفصلٍ دون فصلٍ، بل هي دائمةُ الأثمارِ والظلالِ، وهي نعمةٌ تطمئنّ لها النفسُ وتستريح[(755)]، قال تعالى: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ *﴾ **[الرعد: 35]** وقال سبحانه: ﴿وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ *لاَ مَقْطُوعَةٍ وَلاَ مَمْنُوعَةٍ*﴾ **[الواقعة: 32 . 33]** .

ووصف الله عز وجل أشجار الجنة بأنّها ذاتُ أغصانٍ جميلةٍ، وأنها شديدةُ الخضرةِ، وأنَّ ثمارَها قريبةٌ دانيةٌ مذلَّلةٌ، ينالها أهلُ الجنّةِ بيسرٍ وسهولةٍ[(756)]

قال تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ *فَبِأَيِّ آلاَءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ *ذَوَاتَا أَفْنَانٍ *﴾ **[الرحمن: 46 . 48]** وقال عز وجل: ﴿وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ *فَبِأَيِّ آلاَءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ *مُدْهَآمَّتَانِ *﴾ **[الرحمن: 62 . 64]** وقال سبحانه: ﴿مُتَّكِئِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ *﴾ **[الرحمن: 54]** وقال تعالى: ﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ *قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ *﴾ **[الحاقة: 22 . 23]** .

ولقد وصف الرسولُ (ﷺ) بعض أشجار الجنة بأوصافٍ عجيبةٍ منها[(757)] :

أ . الشجرة التي يسير الراكب فيها مئة عام: وهي الشجرةُ التي ذكرت في قوله سبحانه: ﴿وَظِلٍّ مَمْدُودٍ *﴾ **[الواقعة: 30]** وقد فسّره النبيُّ (ﷺ) فقال: «إنّ في الجنّةِ شجرةً يسيرُ الراكبُ في ظلِّها مئةَ عام لا يقطعُها، واقرؤوا إنْ شئتم: [(758)]»، وعن ﴿وَظِلٍّ مَمْدُودٍ *﴾ بن سعد عن رسول الله (ﷺ) قال: «إنّ في الجنّةِ لشجرةٌ يسير الراكبُ في ظلِّها مئةَ عامٍ لا يقطعُها »[(759)].

ب . سدرة المنتهى: قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى *عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى *عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى *إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى *مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى *لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى *﴾ **[النجم: 13 . 18]** وقال تعالى: ﴿فِي سِدْرٍ

مَخْضُودٍ *وَطَلْحٍ مَنْضُودٍ *وَظِلٍّ مَمْدُودٍ *﴾ [الواقعة: 28 . 30] فذكر في هذه الآيات ثلاثَ أنواعٍ من الأشجارِ، منها: السِّدْرُ، وفي قوله: مخضود أي منزوعُ الشوكِ .

ج . **شجرة طوبى:** ومن أشجار الجنة شجرةٌ تسمّى « طوبى » وهي كما تبيّنَ مِنْ وصفها شجرةٌ عظيمةٌ تَخرج منها ثيابُ أهل الجنة، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن رسول الله (ﷺ) أنَّ رجلاً قال له: يا رسول الله، طوبى لمن راك، وامن بك، قال: « طُوبى لِمَنْ راني وامَن بي، ثم طُوْبَى ثم طُوْبَى ثم طُوْبَى لمن امن بي ولم يَرَني »، وقال له رجل: وما طوبى ؟ قال: « شجرةٌ في الجنّةِ، مسيرةُ مئةِ عامٍ، ثيابُ أهلِ الجنّةِ تخرجُ من أكمامِهَا »[(762)] .

وجميعُ أشجار الجنة لها ظلٌّ ظليلٌ، كما قال سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلاًّ ظَلِيلاً *﴾ [النساء: 57] والمؤمن يكثر حظُّه من أشجارِ الجنة بالإكثارِ من سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، قال رسولُ الله (ﷺ): « لقيتُ إبراهيمَ ليلةَ أُسرِيَ بي، فقال: يا محمّدُ، أقرىء أُمّتكَ منّي السَّلامَ وأخبرهم أنَّ الجنةَ، طيبةُ التربةِ، عذبةُ الماءِ، وأنَّها قيعانٌ، وأنَّ غرسَها: سبحانَ اللهِ، والحمدُ للهِ، ولا إله إلا اللهُ، واللهُ أكبرُ»[(763)] .

وسيقان أشجارِ الجنّةِ مِنْ ذهبٍ، قال رسول الله (ﷺ): « ما في الجنّةِ شجرةٌ إلا وساقُها من ذَهبٍ »[(764)] .

فالجنةُ خالدةٌ، لا تفنى ولا تبيد، وأنواعُ نعيمها دائمةٌ، لا تنقطعُ ولا تمنعُ، وأهلُها فيها خالدون، لا يرحلون عنها ولا يظعنون، ولا يبيدون ولا يموتون[(765)] . قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلاً *﴾ **[النساء: 122]** وقال عز وجل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلاً *خَالِدِينَ فِيهَا لاَ يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلاً *﴾ **[الكهف: 107 . 108]** وقال سبحانه: ﴿فِي مَقَامٍ أَمِينٍ * فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ *يَلْبَسُونَ مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَقَابِلِينَ *كَذَلِكَ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ *يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمِنِينَ *لاَ يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلاَّ الْمَوْتَةَ الأُولَى وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ *فَضْلاً مِنْ رَبِّكَ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ *﴾ **[الدخان: 51 . 57]** .

4 . درجات الجنة:

الجنةُ درجاتٌ متفاضلاتٌ تفاضلاً عظيماً، وأولياءُ الله المتقون في تلك الدرجات بحسب إيمانهم وتقواهم، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِناً قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ﴾ [طه: 75] .

وقال تبارك وتعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلاَهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا *وَمَنْ أَرَادَ الآخرة وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا *كُلاًّ نُمِدُّ هَؤُلاَءِ وَهَؤُلاَءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا *انْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلَلآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلاً *﴾ [الإسراء: 18 . 21] فبيّن الله سبحانه وتعالى أنه يمدُّ من يريدُ الدنيا ومن يريدُ الآخرة من عطائه، وأنَّ عطاءَه ما كان محظوراً من بَرٍّ ولا فاجر، ثم قال: ﴿انْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلَلآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلاً *﴾ فبيَّن الله سبحانه أنّ أهل الآخرة يتفاضلون فيها أكثر مما يتفاضل الناسُ في الدنيا، وأن درجات الآخرة أكبر من درجات الدنيا[(766)] .

وتفاضلُ أنبيائه عليهم السلام كتفاضل سائر عباده المؤمنين، قال تعالى: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾ [البقرة: 253]

وقال تعالى: ﴿هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ *﴾ [آل عمران: 163] .

وهذه الدرجات تختلف باختلاف العمل، فكلّما كان عملُ الإنسانِ أكثرَ، وموافقاً للسنة، كان أجرُه أكثرَ، ودرجتهُ في الجنة أعلى، قال تعالى: ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِمَّا عَمِلُوا وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَالَهُمْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ *﴾ [الأحقاف: 19] .

وأهلُ الدرجاتِ العالياتِ يكونون في نعيمٍ أرقى من الذين دونهم، فقد ذكر الله أنّه أعدَّ للذين يخافون جنتين: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ *﴾ [الرحمن: 46] ووصفهما ثم قال: ﴿وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ *﴾ [الرحمن: 62] أي دونَ تلك الجنتين في المقام والمرتبة، ومن تأمّلَ صفاتِ الجنتين اللتين ذكرهما الله اخراً، علم أنّهما دون الأُوليينِ في الفضل، فالأُوليان للمقربين، والآخريان لأصحاب اليمين، قال القرطبيُّ: لما وصفَ الجنتين أشار إلى الفرق بينهما .

فقال في الأُوليين: ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ *﴾ [الرحمن: 50] وقال في الآخريين: ﴿فِيهِمَا *﴾ [الرحمن: 66] أي فوّارتان بالماء، ولكنّهما ليستا كالجاريتين، لأنَّ النضخَ دون الجري .

وقال في الأُولييِن: ﴿فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ *﴾ [الرحمن: 52] معروفٌ وغريبٌ، رطبٌ ويابسٌ، فَعَمَّ ولم يخصّ، وفي الآخريينِ: ﴿فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ *﴾ [الرحمن: 68] ولم يقل مِنْ كلِّ فاكهة زوجان .

وقال في الأُولين: ﴿مُتَّكِئِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ﴾ [الرحمن: 54] وهو الديباج . وقال في الآخرين: ﴿مُتَّكِئِينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ *﴾ [الرحمن: 76]، والعبقريُّ الوشيُ، ولا شكَّ أنَّ الديباجَ أعلى من الوشي، والرَفْرَفُ كَسْرُ الخِباء، ولاشكَّ أنَّ الفُرُشَ المعدّة للاتكاء فيها أفضلُ من الخباء .

وقال في الأُولين في صفة الحور العين: ﴿كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ *﴾ [الرحمن: 58] وفي الآخرين: ﴿فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ *﴾ [الرحمن: 70] وليس كلُّ حُسْنٍ كحُسْنِ الياقوت والمرجان .

وقال في الأُولين: ﴿ذَوَاتَا أَفْنَانٍ *﴾ [الرحمن: 48] وفي الآخرين: ﴿مُدْهَامَّتَانِ*﴾ [الرحمن: 64] أي خضروان كأنّهما من شِدّة خضرتهما سوداوان .

ووصف الأُولينِ بكثرة الأغصان، والآخرينِ بالخضرة وحدها[(767)] .

وقد بيّنَ رسولُ الله (ﷺ) درجاتِ الجنة، فقال (ﷺ): « إنّ أهلَ الجنّةِ يتراءونَ أهلَ الغُرَفِ مِنْ فوقهم، كما تتراءَونَ الكوكبَ الدُّرِيَّ الغابِرَ في الأُفقِ مِنَ المَشرِقِ أو المَغْرِبِ لتفاضُلِ ما بينهم »، قالوا: يا رسولَ اللهِ، تلكَ منازِلُ الأنبياءِ لا يبلغُها غيرهم؟ قال: «بلى، والذي نفسِي بيدِهِ رجالٌ امنوا باللهِ وصدّقوا المرسلين »[(768)] .

وأعلى درجاتُ الجنّةِ هي الفردوسِ الأعلى، وقد ذكرها الله سبحانه في كتابه في قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ *الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ*﴾ **[المؤمنون: 10 . 11]** وبيّن الرسولُ (ﷺ) منزلةَ هذه الدرجة، فقال(ﷺ): « مَنْ امنَ باللهِ ورسولِه، وأقامَ الصلاةَ، وصامَ رمضانَ، كانَ حقّاً على اللهِ أن يدخلَهُ الجنَّة، هاجرَ في سبيلِ اللهِ، أو جلسَ في أرضِهِ التي وُلِدَ فيها »، قالوا: يا رسول الله، أفلا نبشّرُ الناس ؟ قال: « إنّ في الجنَّةِ مئةُ درجةٍ أعدَّها اللهُ للمجاهدينَ في سبيلهِ ما بينَ الدرجتينِ كما بينَ السماءِ والأرضِ، فإذا سألتُم اللهَ فاسألوه الفردوسَ، فإنّه أوسطُ الجنّةِ، وأعلى الجنّةِ، وفوقَهُ عرشُ الرحمنِ، ومنه تَفَجَّرُ أنهارُ الجنّةِ »[(769)] .

والمقصودُ بـ (وسط الجنة) أي عرضاً، و(أعلى الجنة) أي طولاً، فهذا يدلُّ على أنّ الفردوسَ على مثلِ الربوةِ أو القُبّةِ، ويدل أن الجنة مقببة[(770)] . قال ابن كثير: ولا تكون هذه الصفة إلا في المقبب، فإن أعلى القبة هو أوسطها، فالجنة والله أعلم كذلك[(771)] .

وأعلى درجاتُ الفردوسِ هي الوسيلةُ، وهي منزلةٌ لشخصٍ واحدٍ فقط هو نبيُّنا محمد (ﷺ)، فعن عبدِ اللهِ بن عمروِ بنِ العاص أنّه سمعَ النبيَّ (ﷺ) يقولُ: « إذا سمعتُم المؤذّن فقالوا مثلَ ما يقولُ، ثم صلُّوا عليَّ، فإنَّه مَنْ صلَّى عليَّ صلاةً صلّى اللهُ بِهَا عَشْراً، ثُمَّ سَلُوا الله لِيَ الوسيلةَ، فإنَّها منزلةٌ في الجنَّةِ لا

تنبغي إلاّ لعبدٍ من عبادِ اللهِ، وأرجو أنْ أكونَ أنا هُوَ، فَمنْ سأَلَ لِيَ الوسيلةَ حَلَّتْ له الشَّفَاعَةُ »[(772)] .

5. أنهار الجنة:

قال تعالى: ﴿وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات تجري من تحتها الأنهار﴾ [البقرة: 25] وقال تعالى: ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ﴾ [الكهف: 31] .

وأنهارُ الجنّةِ ليستْ ماءً فحسب، بل منها الماءُ، ومنها اللبنُ، ومنها الخمرُ، ومنها العسلُ المصفّى، قال تعالى: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصْفّىً﴾ [محمد: 15] .

وذكر سبحانه هذه الأجناسَ الأربعةَ، ونفى عن كلِّ واحدٍ منها الافةَ التي تعرضُ له في الدنيا، فافةُ الماءِ أن يأسنَ ويأجنَ من طولِ مكثه، وافةُ اللبنِ أن يتغيَّرَ طعمُه إلى الحموضةِ، وأن يصيرَ قارصاً، وافةُ الخمرِ كراهةُ مذاقها المنافي للذّة شرابها، وافةُ العسل عدمُ التصفيةِ[(773)]، وتأمّلِ اجتماعَ هذه الأنهار الأربعة التي هي أفضلُ أشربةِ الناس، فهذا لشربِهم وطُهورِهم: وهو الماءُ، وهذا لقوتِهم وغذائهم: وهو اللبن، وهذا للذّتهم وسرورهم: وهو الخمر، وهذا لشفائهم ومنفعتهم: وهو العسل[(774)] .

ومن أنهارِ الجنّة نهرُ الكوثر، قال تعالى: فعن ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ *﴾ عباس رضي الله عنه قال: «هو نهرٌ في الجنَّةِ»[(775)] وعن أنس رضي الله عنه قال: قال النبي (ﷺ): « رأيتُ نهراً في الجنّةِ حافتاه قبابُ اللؤلؤ، قلتُ: ما هذا يا جبريلُ ؟ قال: هذا الكوثرُ الذي أعطاكَهُ اللهُ »[(776)] .

6 . عيون الجنة :

في الجنةِ عيونٌ كثيرةٌ مختلفةُ الطعمِ واللّذةِ، قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ *ادْخُلُوهَا بِسَلاَمٍ آمِنِينَ *﴾ **[الحجر: 45 . 46]** وقال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ *فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ *﴾ **[الدخان: 51 . 52]** .

وبعضُ هذه العيون يخرجُ ماؤها، ثم يجري على أرضِ الجنة، قال تعالى: ﴿فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ *﴾ **[الغاشية: 12]** .

قال تعالى في وصف الجنّتين اللتينِ أعدَّهما الله لمن خاف مقام ربه: ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ *﴾ **[الرحمن: 50]** وقال سبحانه في وصف الجنتين اللتين دونهما: ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ *﴾ **[الرحمن: 66]** والنضخُ فورانُ الماءِ، وهو أبلغُ من النضحِ .

وقد ذكر الله تعالى لنا أسماءَ ثلاثةٍ منها، وهي:

أ ـ عين الكافور: قال تعالى: ﴿إِنَّ الأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا *عَيْناً يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا *﴾ **[الإنسان: 5 ـ 6]** فالأبرارُ يشربونَ ماءً ممزوجاً بالكافور، بينما يشربُه عبادُ اللهِ المقرّبون صِرْفاً لا خَلْطَ فيه[(777)]، وقد عُلِمَ ما في الكافور من التبريدِ والرائحةِ الطيبة مع ما يضافُ إلى ذلك من اللذاذة في الجنة[(778)] .

ب ـ عين السلسبيل: قال تعالى: ﴿وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلاً *عَيْناً فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلاً *﴾ **[الإنسان: 17 ـ 18]** أي ﴿وَيُسْقَوْنَ فِيهَا﴾ يعني الأبرار ـ أيضاً من هذه الأكواب ﴿كأساً﴾ أي خمراً ﴿ كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلاً*﴾ فتارةً يمزج لهم الشراب ، وهو بارد، وتارةً بالزنجبيل وهو حار، ليعتدلَ الأمرُ، وهؤلاء يُمْزَجُ لهم من هذا تارة، ومن هذا تارة، وأمّا المقرّبون فإنّهم يشربون من كلِّ منها صرفاً كما قاله قتادة وغير واحد[(779)] .

وعن ثوبان مولى رسول الله (ﷺ) قال: كنتُ قائماً عندَ رسولِ اللهِ (ﷺ) فجاءَ حَبْرٌ من أحبارِ اليهودِ، فقال: السلامُ عليك يا محمَّدُ، فدفعتُه دفعةً كادَ يُصْرَعُ منها . فقال: لم تدفعني؟ فقلتُ: ألا تقول يا رسولَ الله، فقال اليهوديُّ: إنّما ندعوه باسمه الذي سمّاه به أهلُه، فقال رسول الله (ﷺ): «إنّ

اسمي محمّدٌ الذي سمّاني به أهلي»، فقال اليهوديُّ: جئتُ أسألُكَ، فقال رسول الله (ﷺ): «أينفعُكَ شيءٌ إنْ حدَّثْتُكَ؟» . قال: أسمعُ بأذني .

فنكتَ رسولُ اللهِ (ﷺ) بعودٍ معه فقال: «سل» . فقال اليهودي: أينَ يكونُ النّاسُ يومَ تبدَّلُ الأرضُ غيرَ الأرضِ والسموات ؟ فقال رسول الله (ﷺ): «هُمْ في الظُّلْمَةِ دونَ الجِسْرِ »، قال: فمن أوّلُ الناسِ إجازةً ؟ قال: « فقراءُ المهاجرينَ »، قال اليهوديُّ: فما تحفتُهم حين يدخلونَ الجنَّة؟، قال: « زيادةُ كَبْدِ النُّوْنِ »، قال: فما غِذَاؤهم على إِثْرِها .

قال: « يُنْحرُ لهم ثورُ الجنّةِ الذي كانَ يأكلُ مِنْ أطرافها »، قال: فما شرابُهم عليه ؟ قال: « مِنْ عينٍ فيها تُسمّى سلسبيلاً » قال: صدقت .

قال: وجئتُ أسألُكَ عن شيءٍ لا يعلمُه أحدٌ مِنْ أهلِ الأرضِ إلاّ نبيٌّ أو رجلٌ أو رجلانِ، قال: ينفعُك إنْ حدّثتُك ؟، قال: أسمعُ بأذني، قال: جئتُ أسألُكَ عَنِ الولدِ، قال: « ماءُ الرَّجُلِ أبيضُ، وماءُ المرأةِ أصفرُ، فإذا اجتمعا فَعَلاَ مَنِيُّ الرجلِ مَنِيَّ المرأةِ أذكَرا بإذنِ اللهِ، وإذا علا مَنِيُّ المرأةِ مَنِيَّ الرَّجُلِ انثا بإذنِ اللهِ » .

قال اليهوديُّ: لقد صدقتَ وإنَّك لنبيٌّ، ثم انصرفَ فذهبَ، فقال رسول الله (ﷺ): « لقد سَألني هذا عَنِ الذي سألني عنه ومالي علمٌ بشيءٍ منه حتّى أتاني اللّهُ به »[(780)] .

ج ـ عين التسنيم: قال تعالى: ﴿إِنَّ الأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ *عَلَى الأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ *تَعْرِفُ فِي وَجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ *يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ *خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ *وَمِزَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ *عَيْناً يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ*﴾ [المطففين: 22 ـ 28] قال ابن عباس: (تسنيم) أشرفُ شرابِ أهل الجنة، وهو صِرْفٌ للمقربين، ويُمْزَجُ لأصحابِ اليمين[(781)] .

7 ـ نور الجنة:

والجنةُ لها نورٌ، كما قال تعالى: ﴿لاَ يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلاَّ سَلاَمًا وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا *﴾ [مريم: 62] في قوله: أي في مثل وقت البكرات ووقت ﴿وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا *﴾، لا أنّ هناك ليلاً ونهاراً، ولكنّهم في أوقاتٍ تتعاقَبُ، يعرفُ مضيها بأضواءٍ وأنوارٍ[(782)] .

وقد قال تعالى: ﴿مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الأَرَائِكِ لاَ يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلاَ زَمْهَرِيرًا*﴾ [الإنسان: 13] والجنة ليسَ فيها شمسٌ ولا قمرٌ، ولا ليلٌ ولا نهارٌ، لكنّ البُكْرَة والعشيةَ تُعرفانِ بنورٍ يظهر من قِبَل العرش[(783)] . وقال القرطبي: قال العلماءُ: ليس في الجنّة ليلٌ ونهارٌ، وإنّما هم في نورٍ دائمٍ، وإنّما يعرفون مقدارَ الليل بإرخاءِ الحُجُبِ وإغلاقِ الأبواب، ذكره أبو الفرج ابن الجوزي[(784)] .

8. ريح الجنة:

للجنةِ رائحةٌ عبقةٌ زكيةٌ تملأُ جنباتِها، وهذه الرائحةُ يجدُها المؤمن من مسافات شاسعة[(785)]، قال رسول الله (ﷺ): « مَنْ قتلَ رَجُلاً مِنْ أَهْلِ الذِّمَّةِ لم يجدْ ريحَ الجنّةِ، وإنَّ ريحَها ليوجَدُ مِنْ مسيرةِ أربعينَ عاماً »[(786)] .

9. تربة الجنة:

تربةُ الجنّةِ بيضاءُ كما جاء ذلك مصرحاً به في الحديث، فعن أبي سعيدٍ الخدري أنّ النبي (ﷺ) سأل ابنَ صائدٍ عن تُربةِ الجنّة فقال: دَرْمَكَةٌ بيضاءُ، مِسْكٌ خالِصٌ، فقال رسول الله (ﷺ): « صَدَقَ »[(787)] . دَرْمَكَةُ بيضاء: هي الدقيقُ الأبيضُ[(788)] .

عن أبي هريرةَ قال: قلتُ يا رسولَ اللهِ، ممَّ خُلِقَ الخلق ؟ قال: « مِنْ ماءٍ »، قلنا: الجنةُ ما بناؤها ؟ قال: « لبنةٌ من ذهبٍ، ولبنةٌ مِنْ فِضّةٍ، وملاطُها المِسْكُ الأذفرُ، وحصباؤها الدُّرُّ والياقوتُ، وتربتُها الزعفرانُ، منْ يدخلُها يَنْعُمُ ولا يَبْأَسُ، ويَخْلُدُ ولا يموتُ، ولا تبلى ثيابُه، ولا يفنى شبابه »[(789)] .

وقال رسول الله (ﷺ): « أدخلتُ الجنةَ، فإذا فيها جنادِلُ اللؤلؤِ، وإذا ترابُها المِسْكُ »[(790)] .

10 ـ دوابُ الجنّةِ وطيورُها: في الجنةِ دوابٌ وطيورٌ كثيرةٌ، يركبُها أهلُ الجنّةِ، ويأكلون منها، ويتمتّعون بالنظرِ إليها، قال تعالى: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَانِ وَفْدًا *﴾ [مريم: 85] .

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: لا واللهِ ما على أرجلهم يحشرون، ولا يحشر الوفدُ على أرجلِهم، ولكن بنوقٍ لم يرَ الخلائقُ مثلها، عليها رحائلُ من ذهبٍ، فيركبونَ عليها حتّى يضربوا أبوابَ الجنّة[(791)] .

وقد ثبت عن عبد الله بن عمرو ـ وله حكم الرفع ـ أنّ في الجنةِ إبلاً وخيلاً، حيثُ قال: في الجنةِ عِتاقُ الخيلِ وكرائمُ النجائب، ويركبُها أهلُها[(792)] .

وعن أبي مسعودٍ الأنصاري رضي الله عنه قال: جاء رجلٌ بناقةٍ مخطومةٍ فقال: هذه في سبيلِ اللهِ، فقال رسولُ اللهِ (ﷺ): « لكَ بها يومَ القيامةِ سبعُمئةِ ناقةٍ كلُّها مخطومةٌ »[(793)]، وهذه الروايةُ لم تنصّ أنها في الجنةِ، ولكن جاءت روايةٌ أُخرى لهذا الحديث عند الحاكم بزيادة « في الجنّةِ » حيثُ قال (ﷺ): « لك بها سبعمئةِ ناقةٍ مخطومةٍ في الجنّةِ »[(794)] .

وقال تعالى: ﴿وَلَحْمِ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ *﴾ [الواقعة: 21] أي يأكلون من لحم طير يشتهونه، وعن أنس بن مالك قال: سُئِل رسولُ اللهِ (ﷺ): ما الكوثر؟ قال: «ذاك نهرٌ أعطانيه اللهُ ـ يعني في الجنّةِ ـ أشدُّ بياضاً من اللبنِ، وأحلى مِنَ

العَسَلِ، فيها طيرٌ أعناقُها كأعناق الجُزُرِ»، قال عمر: إنّ هذه لناعمةٌ، قال رسول الله (ﷺ): « أكلتُها أحسنُ منها »[(795)] .

11 ـ الجنةُ لا مثلَ لها، وإنّها فوقَ ما يخطرُ بالبال، أو يدورُ في الخيال:

قال تعالى: ﴿فَلاَ تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ*﴾ **[السجدة: 17]** قال رسولُ اللهِ (ﷺ): «أعددتُ لعبادي الصالحينَ ما لا عَين رأتْ، وأذن سمعتْ، ولا خَطرَ على قلبِ بَشَرٍ، فاقرءوا إن شئتم ﴿فَلاَ تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ»، ولمن دخل الجنة ما يشاءُ من النعيم، وله كلُّ ما يتمنى ويطلب، بل له فوقَ هذا بكثيرٍ، قال تعالى: ﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الآخرة خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ *جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاؤُونَ كَذَلِكَ يَجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ *﴾ **[النحل: 30 . 31]**

وقال تعالى: ﴿لَهُمْ مَا يَشَاؤُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ *﴾ **[ق: 35]** .

وما الظنُّ بمكانٍ موضعُ السوطِ أو القوسِ فيه خيرٌ من الدنيا وما فيها، فعن سهل بن سعد الساعدي قال: قال رسولُ اللهِ (ﷺ): « موضعُ السوطِ في الجنّةِ خيرٌ من الدنيا وما فيها »[(796)]، وقال رسول الله (ﷺ): « لقابُ قوسٍ في الجنّةِ خيرٌ ممّا تطلعُ عليه الشمسُ وتغربُ »، وقال: « لغدوةٌ أو روحةٌ في سبيلِ اللهِ خيرٌ ممّا تطلعُ عليه الشمسُ وتغربُ »[(797)] .

وما الظنُّ بمكانِ الغمسةُ الواحدةُ فيه تُنْسِي المعذَّبَ كلَّ عذابه وشقائه في الدنيا، فعن أنس بن مالك قال: قال رسول الله (ﷺ): « يُؤتَى بأنعمِ أهلِ الدُّنيا من أهلِ النارِ يومَ القيامةِ فَيُصْبَغُ في النارِ صَبْغَةً، ثم يقالُ: يا ابنَ ادمَ هل رأيتَ خيراً قطُّ، هل مرَّ بكَ نعيمٌ قَطُّ ؟ فيقولُ: لا واللهِ يا ربِّ، ويُؤْتَى بأشدِّ الناسِ بؤساً في الدُّنيا من أهلِ الجنّةِ، فَيُصْبَغُ صَبْغَةً في الجنّةِ، فيُقالُ له: يا ابنَ ادمَ هل رأيتَ بؤساً قَط، هل مرَّ بكَ شدَّةٌ قط ؟ فيقول: لا واللهِ يا ربِّ، ما مرَّ بي بؤسٌ قط، ولا رأيتُ شدّةً قط »[(798)] .

سابعاً ـ أصحاب الجنة :

أصحابُ الجنّةِ هم المؤمنون الموحدون الذين يعملون الصالحات مع إخلاصٍ عظيمٍ للهِ عزّ وجلّ، واستقامةٍ على شريعته، ووفاءٍ بعهودِهم، وعدمِ نقضهم لها، ووصلهم ما أمر الله بوصله، وخشيتهم للهِ، وخوفهم من سوءِ العذابِ، وصبرهم لله، وإقام الصلاة، والانفاقِ سرّاً وعلانية، ودرئهم بالحسنةِ السيئةَ، قال تعالى: ﴿أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الأَلْبَابِ *الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلاَ يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ *وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ *وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلاَةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلاَنِيَةً وَيَدْرَأُونَ

بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبى الدَّارِ *جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلاَئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ *سَلاَمٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبى الدَّارِ *﴾ **[الرعد: 19 . 24]**[(799)] .

والجنةُ درجةٌ عاليةٌ، والصعودُ إلى العلياءِ يحتاجُ إلى جهدٍ كبيرٍ، وطريقُ الجنة فيه مخالفةٌ لأهواءِ النفوس ومحبوباتها، وهذا يحتاجُ إلى عزيمةٍ ماضيةٍ، وإرادةٍ قويةٍ، قال رسول الله (ﷺ): «حُجِبَتِ النّارُ بالشهواتِ، وحُجِبَتِ الجنّةُ بالمكارِهِ»[(800)] وهذا من بديعِ الكلامِ وفصيحِهِ والجوامعِ التي أُوتيها (ﷺ) من التمثيل الحسن، ومعناه لا يوصلَ إلى الجنَةِ إلاّ بارتكابِ المكارِهِ، ولا إلى النار إلاّ بارتكاب الشهوات، وكذلك هما محجوبتانِ بهما، فمن هتك الحجابَ وصل إلى المحجوبِ، فهتك حجاب الجنّةِ باقتحام المكاره، وهتك حجاب النار بارتكابِ الشهوات، فأمّا المكارِهُ فيدخلُ فيها الاجتهادُ في العبادة، والمواظبةُ عليها، والصبرُ على مشاقِّها، وكظمُ الغيظِ، والعفو، والحلم، والصدقة والإحسان إلى المسيء، والصبرُ على الشهواتِ، ونحو ذلك[(801)] .

1 . معرفةُ أهل الجنة لمساكنهم :

قال تعالى: ﴿الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ *﴾ **[محمد: 1 . 2]** أي إذا دخلوها يقال لهم: تفرّقوا إلى منازلكم، فهم أعرفُ بمنازلهم من أهل الجمعة إذا انصرفوا إلى منازلهم [(802)] .

وقال رسولُ الله (ﷺ): «يخلصُ المؤمنونَ من النّارِ، فيُحْبَسُوْنَ على قنطرةٍ بينَ الجنّةِ والنّارِ، فَيُقَصُّ لبعضِهم من بعضٍ مظالمُ كانتْ بينهم في الدُّنيا، حتّى إذا هُذِّبوا ونُقّوا أُذِنَ لهم في دخولِ الجنّةِ، فوالذي نفسُ محمّدٍ بيدِهِ لأحدُهُم أهدَى بمنزلِهِ في الجنّةِ منه بمنزله كان في الدنيا »[(803)] .

2 . هل الرجال أكثر في الجنة أم النساء؟ تخاصمَ الرجالُ والنساءُ في هذا والصحابةُ أحياء، ففي (صحيح مسلم)[(804)] عن ابن سيرين قال: اختصمَ الرجالُ والنساءُ: أيُّهم أكثرُ في الجنّةِ ؟ وفي روايةٍ: إمّا تفاخروا، وإمّا تذاكروا: الرجالُ في الجنةِ أكثرُ أم النساءُ ؟ فسألوا أبا هريرةَ، فاحتجَّ أبو هريرة على أنَّ النساءَ في الجنةِ أكثرُ بقول الرسول (ﷺ): « إنَّ أوَّل زمرةٍ تدخلُ الجنّةَ على صورِ القمرِ ليلةَ البدرِ، والتي تليها على أضوأ كوكبٍ دُرّيٍ في السماءِ، لكلِّ

امرىءٍ منهم زوجتان اثنتان، يُرَى مخُّ سوقهما من وراءِ اللحمِ، ما في الجنّةِ أعزبُ » والحديثُ واضحُ الدلالةِ على أنَّ النساءَ في الجنة أكثر من الرجال .

وقد احتجَّ بعضُهم على أنَّ الرجالَ أكثرُ بحديثِ: « رأيتُكُنَّ أكثرَ أهلِ النَّار » والجوابُ لا يلزمُ من كونهنَّ أكثرَ أهلِ النار أن يكنَّ أقلّ ساكني الجنة كما يقول ابن حجر العسقلاني[(805)]، فيكونُ الجمعُ بين الحديثينِ أنَّ النساءَ أكثرُ أهلِ النارِ، وأكثرُ أهلِ الجنةِ، وبذلك يكنُّ أكثر من الرجالِ وجوداً في الخلق[(806)] .

3 . أطفال المؤمنين:

قال تعالى: ﴿عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِىءٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ *﴾ [الطور: 21] فهذه الآية تدلُّ بعمومها على أنَّ ذريةَ المؤمنين معهم في الجنة، لأنَّ الطفلَ يولد على الفطرةِ، وهي الإسلامُ، فإذا ماتَ فهو ميّتٌ على الإيمانِ، فيكونُ مع والديه في الجنان، وقال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ *إِلاَّ أَصْحَابَ الْيَمِينِ *﴾ [المدثر: 38 . 39] قال عليّ بنُ أبي طالب رضي الله عنه: هم أطفالُ المسلمين، لم يكتسبوا فيرتهنوا بكسبهم[(807)] .

ودخولُ أطفالِ المسلمين الجنَّة ثابتٌ في السنَّة، وذكر الكتّاني أنّها بلغتْ حدَّ التواتر[(808)]، فعن أبي حسان قال: قلتُ لأبي هريرة: إنّه ماتَ لي ابنانِ فما

أنتَ محدّثني عن رسولِ اللهِ (ﷺ) بحديثٍ تطيّبُ به أنفسَنا عن موتانا، قال، قال: نعم: « صغارُهُم دَعَامِيْصُ[(809)]، الجنّةِ، يلتقي أحدُهم أباه، أو قال أبويه، فيأخذه بثوبه، أو قال بيده، كما اخذُ أنا بصفنة ثوبِكَ هذا، فلا يتناهى . . أو قال فلا ينتهي . حتى يدخله وأباه الجنة »[(810)] وعن البراء رضي الله عنه قال: لما توفي إبراهيمُ ابنُ الرسولِ (ﷺ) قال رسول الله(ﷺ): «إنّ له مُرْضِعاً في الجنّةِ »[(811)] .

وقال رسول الله (ﷺ): « ما مِنْ مسلمٍ يموتُ له ثلاثةٌ مِنَ الولدِ لم يبلغوا الحِنْثَ إلاَّ تلقَّوْهُ مِنْ أبوابِ الجنّة الثمانيةِ من أيّها شاءَ دخلَ »[(812)] . وقال رسولُ الله (ﷺ): « ذراري المسلمينَ في الجنّةِ يكُفُلهم إبراهيمُ عليه السلام »[(813)] وقال رسول الله (ﷺ): « أطفالُ المسلمينَ في جبلٍ في الجنّةِ يكفُلُهم إبراهيمُ وسارةُ حتّى يدفعوهم إلى ابائهم يوم القيامة »[(814)] .

4 . اجتماع أهل الجنة وحديثهم:

من أحاديثهم ما قاله سبحانه : ﴿قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ * فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ *إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ *﴾ [الطور: 25 . 28] .

ومن أحاديثهم تذكُّرُهم أهلَ الكفرِ الذين كانوا يشككونهم بالله واليوم الآخر، قال تعالى: ﴿وَمَا تُجْزَوْنَ إِلاَّ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ *إِلاَّ عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ *أُولَئِكَ

لَهُمْ رِزْقٌ مَعْلُومٌ *فَوَاكِهُ وَهُمْ مُكْرَمُونَ *فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ *عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ *يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ *بَيْضَاءَ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ * ﴾ **[الصافات: 39- 61]** .

تأمل ما في هذه الآيات من النعيم والكرامة، فقد بيّن الله تعالى في هذه الآية أنّهم يجتمعون يوم القيامة، ويعطون من الفواكه وهم على السرر متقابلين، يتجاذبون أطرافَ الحديث، وفي أثناء حديثهم يُخْدَمُون كالملوك، فعندهم الفواكه، ويُطافُ عليهم بالخمر اللذيذة، وعندهم النساءُ الحور العين، ثم يبدأُ الحوار، فيتذكّر أحدُهم صاحباً له كان يأمُرُه بالمعاصي، وينكِرُ البعث، فينادي منادٍ: هل تريدُ أن تعرفَ حالَه ؟ فيأخذُ هذا الرجلُ ليريَهُ ذلكَ الصاحبَ وقد استقرَّ في قلبِ الجحيمِ، يتقلَّب على الجمرِ، لا يموت ولا يحيا، فيخاطِبُه سائلاً سؤال توبيخٍ واستنكارٍ: هل نحنُ لا نموتُ إلاّ موتتنا الأولى، ولن نبعث، ولن نعذب؟ ثم ينظر لحاله والنعيم الذي هو فيه، وينظرُ إلى حال هذا الذي أصبحَ مِنْ حطبِ جهنم، ويقارن بين الحالين، فيرى البونَ الشاسعَ والفرقَ الواسع، فيقول لنفسه وقد امتلأ سروراً وفاض غبطة .

5 . أعلى أهل الجنة :

الأنبياءُ ثم الصديقون ثم الشهداءُ ثم الصالحون، قال تعالى: ﴿وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا *﴾ [النساء: 69] أي معهم في الجنة، وإن لم يكونوا معهم في الدرجة[(815)] .

وعن المغيرة بن شعبة قال: سمعتُ رسولَ اللهِ (ﷺ) قال: « سأَلَ موسى ربَّه: ما أدنى أهلُ الجنّةِ منزلةً ؟ قال: هو رجلٌ يجيءُ بعدما أُدْخِلَ أهلُ الجنّةِ الجنّةَ، فيُقالُ له: ادْخُلْ الجَنَّةَ، فيقول: أيْ ربِّ كيفَ وقد نزلَ الناسُ منازِلَهُم وأخذوا أَخَذَاتِهِم ؟ فيقال له: أترى أنْ يكونَ لكَ مثل مُلْكٍ مَلِكٍ من ملوكِ الدنيا ؟ فيقول: رضيتُ رَبِّ، فيقولُ: لَكَ ذلك، ومثلُه، ومثلُهُ، ومثلُهُ، ومثلُهُ، فقال في الخامسةِ: رضيتُ رَبِّ، فيقول: هَذَا لكَ وَعَشرةُ أمثالِهِ، ولكَ ما اشْتَهَتْ نَفْسُكَ، ولذّتْ عينَكَ، فيقول: رضيتُ ربِّ .

قال: ربِّ، فأعلاهم منزلةً ؟

قال: أولئك الذين أردتُ، غرستُ كرامتَهم بيدي، وختمتُ عليها، فلم ترَ عينٌ، ولم تسمعْ أذنٌ، ولم يخطرْ على قلبِ بشرٍ، قال: ومصداقه في كتاب الله عز وجل ﴿فَلاَ تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ*﴾ [السجدة: 17][(816)] .

6 . أهل الجنة يرثون نصيب أهل النار في الجنة:

قال تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلاَ أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَنُودُوا أَنْ تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ *﴾ [الأعراف: 43] وقال تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ*﴾ [الزخرف: 72] وقال تعالى: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ *الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ *﴾ [المؤمنون: 10 . 11] وقال رسول الله (ﷺ): «ما مِنْكُم من أحدٍ إلاَّ له منزلانِ: منزلٌ في الجنّةِ، ومنزلٌ في النّارِ، فإذا ماتَ فدخلَ النّارَ، ورثَ أهلُ الجنّةِ منزله، فذلك قوله تعالى:﴿أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ﴾ [المؤمنون: 10]».

7 . زوجة المؤمن إذا ماتت على الإيمان مع زوجها المؤمن في الجنة:

قال تعالى: ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلاَئِكَةُ يَدْخُلُونَ﴾ [الرعد: 23] وهم في الجنّاتِ منعَّمون من الأزواجِ، يتكئون في ظلال الجنة، مسرورين فرحين، قال تعالى: ﴿هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلاَلٍ عَلَى الأَرَائِكِ مُتَّكِئُونَ *﴾ [يس: 56] وقال تعالى: ﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ *﴾ [الزخرف: 70] [(817)] .

8. مؤمنو الجن يدخلون الجنة:

مؤمنو الجن يثابون على الطاعةِ، ويدخلون الجنّةَ، فبعد أن تكلَّمَ الله عزّ وجلّ عن الإنس والجن في سورة الأنعام قال تعالى: وقوله ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِمَّا عَمِلُوا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عمَّا يَعْمَلُونَ * وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلاَئِفَ الأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ﴾ [الأنعام: 165] يعود على الإنس والجن، فدلَّ على أنَّ لهم درجات في الجنّةِ بحسب عملهم[(818)]، وقوله تعالى في الحور العين: ﴿فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلاَ جَآنٌّ *﴾ [الرحمن: 56] فدلَّ على أنَّ الجنَّ يدخلون الجنة، ويتمتّعون بالحور العين كما يحصلُ للإنس[(819)] .

9. ضحك أهلُ الجنّةِ من أهل النار:

كان الكفّار في الدنيا يخاصمون المؤمنين، ويسخرون منهم، ويهزؤون بهم، فإذا جاءَ يومُ القيامةِ انقلبَ الحالُ، وتبدّلتِ الأَآلُ، فإذا بالمؤمنين، وهم في النعيم المقيم ينظرون إلى المجرمين فيضحكون منهم، ويسخرون بهم[(820)]، قال تعالى: ﴿تَسْنِيمٍ * عَيْناً يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ *إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ *وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ *وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمُ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ *وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلاَءِ لَضَآلُّونَ *وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ

*فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ *عَلَى الأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ *هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ *﴾ [المطففين: 22 ـ 36][(821)] .

ثامناً: سادة أهل الجنة:

1 ـ الأنبياء والرسل:

سيّدُ أهلِ الجنّةِ هو محمد رسول الله (ﷺ)، ثم إخوانُه من الأنبياء والمرسلين، قال تعالى: ﴿وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الأَيْدِي وَالأَبْصَارِ *إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ *﴾ [ص: 45 ـ 50] وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ *وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ *وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلاًّ هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ *﴾ [الأنعام: 82 ـ 90] .

فوصفهم الله بالهداية والصلاح والاجتباء والإحسانِ وبيَّن في اياتٍ كثيرةٍ أنَّ المحسنَ جزاؤه الجنة ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ وَلاَ يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلاَ ذِلَّةٌ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ *﴾ [يونس: 26] وهذا معلومٌ من

الدين بالضرورة، بل العقلُ يدلُّ على ذلك، فإنَّ الله تعالى لا يرسِلُ مبلّغاً عنه إلا وهو في الغاية القصوى من الكمال البشري خَلقاً وخُلقاً، وديناً وصلاحاً، وما كان الله ليعذِّبَ مَنْ دلَّ الناسَ عليه[(822)] .

2 . سادات الصحابة:

الجنّةُ درجاتٌ ومراتبُ، وأهلها متفاوتون في درجاتهم، وأعلى الدرجات فيها سادةُ أهل الجنة، فسيّدُ كهول أهل الجنة أبو بكر وعمر رضي الله عنهما لقوله(ﷺ): «أبو بكرٍ وعمرُ سيدا كهولِ أهل الجنة من الأولينَ والآخرينَ»[(823)] وسيدا شباب أهل الجنة الحسنُ والحسينُ، لقوله (ﷺ): «الحسنُ والحسينُ سيدا شباب أهل الجنة»[(824)]، ونصَّ الرسول (ﷺ) على أنَّ عشرةً من أصحابه في الجنة، فقد قال: «أبو بكر في الجنة، وعُمرُ في الجنة، وعُثمانُ في الجنة، وعليٌّ في الجنة، وطلحةُ في الجنة، والزبيرُ في الجنة، وعبدُ الرحمن بن عوف في الجنة، وسعدُ بن أبي وقاص في الجنة، وسعيدُ بنُ زيدٍ في الجنة، وأبو عبيدة بن الجراح في الجنة »[(825)] وإسنادُه صحيح .

وقد نصَّ الرسول (ﷺ) على مجموعةٍ أخرى من الصحابة في الجنة منهم:

جعفر بن أبي طالب، وحمزة بن عبد المطلب: قال رسول الله (ﷺ): «دخلتُ الجنّةَ البارحةَ، فنظرتُ فيها، فإذا جعفرُ يطيرُ مع الملائكةِ، وإذا حمزةُ متكىءٌ

على سريرٍ»[(826)]، وقد صحَّ أنَّ الرسول (ﷺ) قال: «سيّدُ الشهداءِ حمزةُ بنُ عبدِ المطلبِ»[(827)].

عبد الله بن سَلام: قال رسول الله (ﷺ): «عبدُ اللهِ بن سَلامٍ عاشِرُ عشرةٍ في الجنّة»[(828)].

زيد بن حارثة: قال رسول الله (ﷺ): «دخلتُ الجنَّة، فاستقبلتني جاريةٌ شابةٌ، فقلتُ: لِمَنْ أنتِ ؟ قالت: لزيدِ بنِ حارثة »[(829)] .

زيد بن عمرو بن نُفَيْلٍ: قال رسولُ اللهِ (ﷺ): « دخلتُ الجنَّة فرأيتُ لزيدِ بنِ عمروِ بن نُفَيْلٍ درجتين » .

حارثة بن النعمان: قال رسول الله (ﷺ): «دخلتُ الجنَّة، فسمعتُ فيها قراءةً، فقلتُ: مَنْ هذا؟ قالوا: حارثةُ بنُ النعمان، كذلكم البرُّ، كذلكم البرُّ»[(830)] .

بلال بن أبي رباح: قال رسولُ الله (ﷺ): «دخلتُ الجنّةَ، فسمعتُ خشفةً بين يدي، قلتُ: ما هذه الخشفةُ ؟ فقيل: هذا بلالٌ يمشي أمامَك » [(831)].

3 . سيدات نساء أهل الجنة:

مريمُ بنتُ عمران هي سيدةُ النساءِ الأُولى، وأفضلُ النساءِ على الإطلاق، فقد روى الطبرانيُّ بإسنادٍ صحيحٍ على شرطِ مسلم عن جابرٍ قال: قال رسولُ

اللهِ(ﷺ): «سيداتُ نساءِ أهلِ الجنّةِ بعدَ مريمَ ابنةَ عمرانَ، فاطمةُ، وخديجةُ، واسيةُ امرأةُ فرعون»[(832)]، فهؤلاء الأربعةُ نماذجُ رائعةٌ للنساء الكاملات الصالحات.

فمريم ابنة عمران أثنى عليها ربُّها في قوله: ﴿وَمَرْيَمَ ابْنَةَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾ [التحريم: 12] وكونُها أفضلُ النساءِ على الإطلاق صرّح به القرآن: ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلاَئِكَةُ يَامَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ *﴾ [آل عمران: 42] .

وخديجةُ التي آمنت بالرسول (ﷺ) من غير تردُّدٍ، وثبتته، واسته بنفسِه وماِلها، قد بشّرها ربُّها في حياتِها بقصْرٍ في الجنّةِ مِنْ قَصَبٍ، لا صَخَبَ فيه ولا نَصَبَ[(833)]، فقد روى البخاريُّ في (صحيحه)[(834)] عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أتى جبريلُ النبيَّ (ﷺ) فقال: «يا رسولَ اللهِ، هذه خديجةُ قد أتتْ مَعَها إناءٌ فيه إدامٌ أو طعامٌ أو شرابٌ، فإذا هي أتتْكَ فاقرأ عليها السلامَ من ربِّها ومني، وبشّرها ببيتٍ في الجنّةِ من قصبٍ، لا صَخَبَ فيه ولا نَصَبٌ».

وآسيةُ امرأة فرعون، هانَ عليها مُلْكُ الدنيا ونعيمُها، فكفرت بفرعون وألوهيته، فعذّبها زوجها، فصبرت حتى خرجتْ روحُها إلى بارئها، قال تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَةَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي﴾ [التحريم: 11] .

وفاطمة الزهراء ابنة الرسول (ﷺ) الصابرةُ المحتسبَةُ التقية الورعة فرعُ الشجرة الطاهرة، وتربيةُ معلم البشرية[(835)] .

وأمهاتُ المؤمنين أيضاً من سيّدات الجنة، لأنهنّ مع النبيِّ (ﷺ) في الجنة، قال تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلاً *وَإِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الآخرة فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا *﴾ **[الأحزاب: 28 . 29]** .

عن عائشة رضي الله عنها قالت: لما أُمِرَ رسولُ اللهِ (ﷺ) بتخيير أزواجِهِ بدأَ بي، فقال: «إنّي ذاكرٌ لَكِ أمراً فلا عليكِ أنْ لا تَعْجَلِي حتّى تستأمري أبويكِ» قالت: قد علمَ أنَّ أبويَّ لم يكونا ليأمراني بفراقِهِ قالت: ثم قال: إن الله عزَّ وجلَّ قال: ﴿يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلاً *وَإِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الآخرة فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا *﴾ **[الأحزاب: 28-29]** قالت: فقلتُ: في أيِّ هذا أستأمرُ أبويَّ، فإنّي أريدُ اللهَ ورسولَه والدارَ الآخرة، قالت: ثم فعل أزواجُ رسولِ اللهِ مثل ما فعلتُ[(836)] .

وقال رسول الله (ﷺ): « المرأةُ لآخرِ أزواجِها في الآخرة » . وفي رواية: «جمعَ بينَهما في الجنة »[(837)]، وعليه فتكون زوجاته عليه الصلاة والسلام معه في الجنة، ولا يلزمُ مِنْ هذا أن يكنَّ معه في نفس الدرجة، لأنّه قد ثبت أنَّ

النبيَّ(ﷺ) في منزلة الوسيلة التي لا تنبغي إلاّ لرجلٍ واحدٍ، ولكنهنّ قريباتٌ منه (ﷺ)، ولا يلزم من هذا أيضاً أن تكون أمهات المؤمنين خيرٌ من كلِّ أصحابِ رسولِ اللهِ (ﷺ) بما فيهم أبو بكر وعمر وعثمان وعلي، وقد تواترت الأحاديثُ على أفضليةِ أبي بكر على جميعِ الصحابةِ بما فيهم أمهات المؤمنين[(838)]، وقد تواتر عن أمير المؤمنين عليّ بنِ أبي طالب رضي الله عنه أنه قال: خيرُ هذه الأمةِ بعدَ نبيها أبو بكر ثم عمر رضي الله عنهما[(839)] .

تاسعاً: فضلُ نعيم الجنةِ على متاعِ الدنيا:

قارن المولى عزّ وجلّ بين متاع الدنيا ونعيم الجنة، وبيّن أنَّ نعيمَ الجنّةِ خيرٌ من الدُّنيا وأفضل، وأطال في ذمِّ الدنيا وبيان الآخرة، وما ذلك إلا ليجتهد العبادُ في طلب الآخرة، ونيل نعيمها، ونجدُ ذَمَّ الدنيا ومدحَ نعيم الآخرة، وتفضيلَ ما عند الله على متاع الدنيا القريب العاجل في مواضع[(840)]، قال تعالى: ﴿وَلاَ تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى *﴾ [طه: 131] . وقال في موضع ثانٍ: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ﴾ [آل عمران: 14 . 15] .

وسِرُّ أفضليةِ نعيم الآخرة على متاع الدنيا من وجوهٍ منها:

1 . متاع الدنيا قليل:

قال تعالى: ﴿الْقِتَالَ لَوْلاَ أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالآخرة خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى وَلاَ تُظْلَمُونَ فَتِيلاً *﴾ [النساء: 77] .

وقد صور لنا الرسول (ﷺ) قِلّةَ متاعِ الدنيا بالنسبةِ إلى نعيم الآخرة بمثالٍ ضربه فقال: « واللهِ ما الدُّنيا في الآخرة إلا مثل ما يجعلُ أحدُكم أصبعَه هذِهِ . وأشار بالسبابة . في اليَمِّ . فلينظرْ بِمَ تَرْجِعُ »[(841)] . مالذي تأخذُهُ الأصبعُ إذا غُمِسَتْ في البحرِ الخِضَمِّ، إنّها لا تأخذُ منه قطرة، هذه هي نسبةُ الدنيا إلى الآخرة .

ولما كان متاع الدنيا قليل، فقد عاتبَ الله المؤثرين لمتاع الدنيا على نعيم الآخرة، قال تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الأَرْضِ أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الآخرة فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الآخرة إِلاَّ قَلِيلٌ *﴾ [التوبة: 38] .

2 . هو أفضلُ من حيث النوع:

قال تعالى: ﴿وَالآخرة خَيْرٌ وَأَبْقَى *﴾ [الأعلى: 17] ﴿وَلاَ تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى*﴾

[طه: 131] فثيابُ أهلِ الجنّةِ وطعامُهم وشرابُهم وحليِّهم وقصورُهم أفضلُ مما في الدنيا، قال تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا *﴾ [الإنسان: 20] بل لا وجهَ للمقارنة، فإنّ موضعَ السوطِ في الجنّة خيرٌ من الدنيا وما فيها، فعن سهلِ بن سعدِ الساعديِّ قال: قال رسول الله (ﷺ): «موضعُ سوطٍ في الجنّةِ خيرٌ من الدنيا وما فيها»[(842)]، وقال رسول الله (ﷺ): «لغدوةٌ أو روحةٌ في سبيلِ اللهِ خيرٌ من الدُّنيا وما فيها»[(843)] .

وقارن نساءِ أهل الجنة بنساءِ الدنيا لتعلمَ فَضْلَ ما في الجنة على ما في الدنيا، عن أنس بن مالك عن النبيِّ (ﷺ): « لروحةٌ في سبيلِ اللهِ أو غدوةٌ خيرٌ من الدنيا وما فيها، ولقابُ قوسِ أحدِكم من الجنّةِ أو موضعُ قيدِ ـ يعني سوطه ـ خيرٌ من الدُّنيا وما فيها، ولو أنَّ امرأةً مِنْ أهلِ الجنّةِ اطّلعتْ إلى أهلِ الأرضِ لأضاءتْ ما بينهما، ولملأته ريحاً، ولنصِيْفُها على رأسِهَا خيرٌ مِنَ الدُّنيا وما فيها »[(844)] .

وقال تعالى: ﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ *﴾ [الزخرف: 70]: أي تفرحون، والفرح في القلب[(845)] .

3. الجنةُ خاليةٌ من شوائبِ الدُّنيا وكدرها:

فطعام أهل الدنيا وشرابُهم يلزمُ منه الغائط والبول والروائح الكريهة، وإذا شربَ المرءُ خمر الدنيا فقد عقلَه، ونساءُ الدُّنيا يحضنَ ويلدنَ، والحيضُ أذًى، والجنةُ خاليةٌ من ذلك كله، فأهلها لا يبولون، ولا يتغوطون، ولا يبصقون، ولا يتفلون، وخمرُ الجنة كما وصفها خالقُها: ﴿بَيْضَاءَ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ *﴾ [الصافات: 46] وماءُ الجنة لا يأسَنُ، ولبنُها لا يتغيَّر طعمُه ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ *﴾ [محمد: 15] ونساءُ أهل الجنّةِ مطهَّرات من الحيض والنفاس وكل قاذورات نساء الدنيا، كما قال تعالى: ﴿وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ﴾ [البقرة: 25] .

وقلوبُ أهل الجنة صافيةٌ، وأقوالُهم طيبةٌ، وأعمالُهم صالحةٌ، فلا تسمعُ في الجنّةِ كلمةً نابيةً تكدّرُ الخاطرَ، وتعكّرُ المزاجَ، وتستثيرُ الأعصابَ، فالجنةُ خاليةٌ من باطلِ الأقوالِ والأعمالِ ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ﴾ [الحجر: 47] .

ولا تطرقُ المسامعَ إلا الكلمةُ الصادقةُ الطيبةُ السالمةُ من عيوبِ كلام أهل الدنيا ﴿لاَ يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلاَ كِذَّابًا *﴾ [النبأ: 35] ﴿لاَ يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلاَّ سَلاَمًا وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا *﴾ [مريم: 62] وقال تعالى: ﴿لاَ

تَسْمَعُ فِيهَا لاَغِيَةً *﴾ [الغاشية: 11] إنّها دارُ الطُّهْرِ والنَّقاءِ والصَّفاءِ الخاليةِ من الأوشاب والأكدار، إنّها دارُ السّلامِ والتسليم ﴿لاَ يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلاَ تَأْثِيمًا *إِلاَّ قِيلاً سَلاَمًا سَلاَمًا *﴾ [الواقعة: 25 . 26] فأهلُ الجنّةِ . عند دخول الجنة . لا اختلافَ بينهم ولا تباغضَ، قلوبُهم على قلبٍ واحدٍ، يسبّحون الله بكرةً وعشياً[(846)]، وصَدَقَ اللهُ إذ يقول: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَاناً عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ *﴾ [الحجر: 47] .

4 . نعيم الدنيا زائل ونعيم الآخرة باقٍ:

قال تعالى: ﴿وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الآخرة لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ *﴾ [العنكبوت: 64] ولذلك سمَّى الحقُّ تبارك وتعالى ما زُيِّنَ للناسِ من زهرةِ الدنيا متاعاً، لأنّهُ يَتمتَّعُ به، ثم يزولُ . وأما نعيمُ الآخرة فهو باقٍ ليس له نفادٌ، قال تعالى: ﴿مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ﴾ [النحل: 96] قال تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ *﴾ [ص: 54] وقال: ﴿أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا﴾ [الرعد: 35] ﴿لاَ يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ *﴾ [الحجر: 48] .

وقد ضرب الله الأمثالَ لسرعةِ زوال الدنيا وانقضائها قال تعالى: ﴿وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ فَأَصْبَحَ

هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا *الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلاً *﴾ [الكهف: 45–46] فقد ضربَ الله مثلاً لسرعة زوال الدنيا وانقضائها بالماءِ النازلِ من السماءِ، الذي يخالِطُ نباتَ الأرض، فيخضرّ ويزهر ويثمر، وما هي إلا فترةٌ وجيزةٌ حتّى تزولَ بهجتُه، فيذوبُ ويصفّر، ثم تعصِفُ به الرياح في كلِّ مكانٍ، وكذلك زينةُ الدنيا من الشباب والمال والبناء والحرث والزرع كلُّها تتلاشى وتنقضي، فالشبابُ يذوبُ ويذهبُ، والصحةُ والعافيةُ تبدّلُ هرماً ومرضاً، والأموالُ والأولادُ قد تذهب، وأما الآخرة فلا رحيلَ ولا فناءَ ولا زوالَ، قال تعالى: ﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الآخرة خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ *جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاؤُونَ كَذَلِكَ يَجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ*﴾ [النحل: 30 . 31] .

5 . العمل لمتاع الدنيا ونسيان الآخرة:

العمل للدنيا تعقبه الحسرة والندامة ودخول النيران، قال تعالى: ﴿الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ *﴾ [آل عمران: 185] وأمّا العمل للآخرة فلا يعقبه إلا الفوز بها[(847)] .

ومن تكريم الله لهم أنَّ الجنةَ تقرَّبُ لهم، لا يقربون هم إلى الجنة قال تعالى: ﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ *﴾ [الشعراء: 90] وقال تعالى: ﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ *﴾ [ق: 31] وقال تعالى: ﴿وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ *﴾ [التكوير: 13] أي: قربت[(848)] .

عاشراً: نعيمُ أهلِ الجنّةِ:

1 . طعام أهل الجنة:

الجنةُ لا جوعُ فيها ولا عطش، قال تعالى: ﴿إِنَّ لَكَ أَلاَّ تَجُوعَ فِيهَا وَلاَ تَعْرَى *وَأَنَّكَ لاَ تَظْمَأُ فِيهَا وَلاَ تَضْحَى *﴾ [طه: 118 . 119] .

وقال رسول الله (ﷺ): «إنّ أهلَ الجنّة يأكلونَ فيها ويشربونَ، ولا يَتْفُلُون، ولا يبولون، ولا يتغوطون، ولا يتمخّطون»، قالوا: فما بالُ الطعام؟ قال: «جشاءٌ ورشحٌ كرشحِ المِسْكِ، يُلْهَمُوْنَ التسبيحَ والتحميدَ، كما يُلْهَمُونَ النَّفَسَ»[(849)] .

وقد ذكر الله تعالى أنواعاً كثيرةً من طعامهم منها :

الفاكهة بجميع أنواعها: قال تعالى: ﴿وَفَاكِهَةٍ مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ *﴾[الواقعة: 20] ومن هذه الفاكهة العنبُ ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا *حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا*﴾ [النبأ: 31–32]

وهذه الفاكهةُ ليست بقليلةٍ، بل هي كثيرةٌ ﴿لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا تَأْكُلُونَ *﴾ [الزخرف: 73] .

ولا يتعب المؤمن نفسه في إحضارها وجنيها، بل يطلبُ ذلك، ويحضِرُها الخدمُ له ﴿مُتَّكِئِينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ *﴾ [ص: 51] .

وهذه الفاكهة من النوع الذي يختاره ويشتهيه حتى تكملَ اللذّةُ، فلا يأتونه بشيءٍ لم يختره ولا يشتهيه ﴿وَفَاكِهَةٍ مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ *وَلَحْمِ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ *﴾ [الواقعة: 20 . 21] وقال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلاَلٍ وَعُيُونٍ *وَفَوَاكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ *كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ *﴾ [المرسلات: 41 . 43] .

وهذه الفاكهة لا تنقطعُ في وقتٍ من الأوقاتِ كما يحصلُ في فواكه الدنيا، بل هي متوفّرةٌ دائماً، ولا تُمنع عن أصحاب الجنة أبداً ﴿وَمَاءٍ مَسْكُوبٍ *وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ *لاَ مَقْطُوعَةٍ وَلاَ مَمْنُوعَةٍ *﴾ [الواقعة: 31 . 33] وإذا اشتهى أن يقطفَ الفاكهةَ بنفسِه فإنَّها لا تعسرُ عليه، بل تذلل له الأغصانُ، وتنزلُ حتّى يأخذُ منها ما شاء، بلا تعبٍ ولا عناءٍ ﴿وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظلالها وذللت قطوفها تذليلا﴾ [الإنسان: 14] وقال: ﴿مُتَّكِئِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ *﴾ [الرحمن: 54] .

لحم الطير: قال تعالى: ﴿وَفَاكِهَةٍ مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ *وَلَحْمِ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ *﴾ [الواقعة: 20 . 21] وعن أنس بن مالك قال: سُئلَ رسولُ اللهِ (ﷺ): ما

الكوثر؟ قال: «ذاكَ نهرٌ أعطانيه اللهُ ـ يعني في الجنة ـ أشدُّ بياضاً من اللبنِ، وأحلى من العَسلِ، فيها طيرٌ أعناقُها كأعناقِ الجُزُرِ» قال عمر: إن هذه لناعمةٌ، قال رسول اللهِ (ﷺ): «أكلتُها أَحْسَنُ منها»[(850)] . وليس هذا فقط طعامُهم، بل لهم كلُّ ما اشتهتْ أنفسُهم ولذّتهُ أعينُهم ﴿يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ *﴾ [الزخرف: 71] .

2 ـ شراب أهل الجنة:

وأمّا شرابُهم فإنّه شرابٌ طهورٌ طيبٌ، لا كما يفعلُ بعضُ الضالّين الذين يشربون النجاسة، فتجدُهم يشربون الخمرَ، وبعضهم يشربُ الدمَ المسفوحَ، وبعضُهم يشربُ العرق وغير ذلك من النجاسات والقاذورات .

وأمّا أهلُ الجنّة فشرابهم طاهرٌ طهورٌ طيب قال تعالى: ﴿وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا *﴾ [الإنسان: 21] .

ومن هذه الأشربة: العسل واللبن والماء: قال تعالى: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصْفًّى﴾ [محمد: 51].

الكافور: قال تعالى: ﴿إِنَّ الأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا *﴾ [الإنسان: 5 . 6] .

الزنجبيل: قال تعالى: ﴿وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلاً *عَيْناً فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلاً *﴾ [الإنسان: 17 . 18] أخبر سبحانه عن مزج شرابهم **بشيئين**: بالكافور في أول السورة، والزنجبيل في اخرها، فإنّ في الكافورِ من البردِ وطيبِ الرائحة، وفي الزنجبيلِ من الحرارةِ وطيبِ الرائحةِ ما يحدثُ لهم باجتماع الشرابين، ومجيء أحدهما على أثر الآخر حالة أخرى أكمل وأطيب وألذ من كل منهما بانفراده، ويعدّل كيفية كل منهما بكيفية الآخر، وما ألطفَ موضعَ ذكر الكافور في أول السورة والزنجبيلِ في اخرها، فإنّ شرابَهم مُزِجَ أولاً بالكافور، وفيه من البرد ما يجيء الزنجبيلُ بعدَه فيعدّله، والظاهرُ أنَّ الكأسَ الثانيةَ غير الأولى، وأنّهما نوعان لذيذان من الشراب، أحدهما مُزِجَ بكافورٍ، والثاني مُزِجَ بزنجبيلٍ[(851)] .

التسنيم: قال تعالى: ﴿يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ *خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ *وَمِزَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ *عَيْناً يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ *﴾ [المطففين: 25 . 28] قال ابن عباس: تسنيمٌ أشرفُ شرابِ أهلِ الجنة، وهو صرفٌ للمقربين، ويمزَجُ لأصحاب اليمين[(852)] .

الخمر: تكلّمَ الله تعالى عن خمرِ الجنّةِ في غيرِ ما اية، ونفى عنه جميع افاتِ خمر الدنيا، قال تعالى: ﴿بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ *لاَ يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلاَ يُنْزِفُونَ *﴾ [الواقعة: 18 . 19] وقال: ﴿وَأَمْدَدْنَاهُمْ بِفَاكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ *يَتَنَازَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لاَ لَغْوٌ فِيهَا وَلاَ تَأْثِيمٌ *﴾ [الطور: 22 . 23] وقال: ﴿وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ﴾ [محمد: 15] فخمر الدنيا[(853)]، طعمُها غيرُ لذيذٍ، ويَحْدُثُ لمن شربها صُداعٌ، وتَذْهَبُ بعقلِه، ويكثر عندها اللغوُ واللَّغطُ، بل لا تحلو إلاَّ بكثرةِ اللغو، وتوقع الإنسانَ في الآثامِ العظامِ من دخولٍ تحت اللعنةِ، وارتكابٍ للمحظورات، فلا يمتنع عن شيءٍ منها، وكيف يمتنع وهو لا عقل له ؟ فهذه خمسةُ منغّصاتٍ لخمر الدنيا نفاها الله عن خمر الآخرة، فالطعمُ لذّة للشاربين، وهم ﴿لاَ يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلاَ يُنْزِفُونَ *﴾ أي: تُذْهِبُ عقولَهم، ولا لغو عندها، ولا إثم فيها[(854)] . وقال تعالى: ﴿يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ *بَيْضَاءَ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ *لاَ فِيهَا غَوْلٌ وَلاَ هُمْ عَنْهَا يُنْزِفُونَ *﴾ [الصافات: 45 . 47] .

وهذه الكأسُ من خمر الجنة، (والمعين) الجاري الكثير، ولونُ هذه الخمر بيضاء أي حسنةُ المنظرِ، وهي (لذةٌ)، والغَوْلُ صداعٌ في الرأسِ، وقيل وجعٌ في البطنِ، وهي ليس فيها هذا ولا هذا ﴿يُنْزِفُونَ *﴾أي: يسكرون منها[(855)]، فلا تُذْهِبُ عقولَهم، وتبقى لذّتُها، والخمرُ هي المقصودة بقوله

تعالى: ﴿يسقون من رحيق مختوم * ختامه مسك وفي ذلك فليتنافس المتنافسون * ومزاجه من تسنيم * عيناً يشرب بها المقربون﴾ [المطففين:25-27]

والرحيق هي الخمر الصافية، ومن لذة الخمر أنها تُخْتَمُ بالمسك[(856)]، ولعلّ أعظمَ منغّصاتِ خمرِ الدنيا أنَّ مَنْ شربها في الدنيا لم يشربها في الآخرة، قال رسول الله (ﷺ): « مَنْ شَرِبَهَا في الدُّنيا لم يَشْرَبْها في الآخرة »، وقال رسول الله (ﷺ): « مَنْ شَرِبَ الخمرَ في الدُّنيا لَمْ يَشْرَبْها في الآخرة إلاّ أنْ يَتُوْبَ»[(857)] .

وقال رسول الله (ﷺ): «أيما مؤمنٍ أَطْعَمَ مُؤْمِناً على جُوْعٍ أَطْعَمَهُ اللهُ يومَ القيامةِ مِنْ ثمارِ الجنّةِ، وأيما مؤمنٍ سَقَى مُؤْمِناً على ظَمَأٍ سَقَاهُ اللهُ يومَ القيامةِ مِنْ الرَّحِيْقِ المختومِ، وأيّما مؤمنٍ كسا مُؤْمِناً على عُرْيٍ كَسَاهُ اللهُ مِنْ خضر الجنّةِ »[(858)] .

3. انية طعامهم وشرابهم:

انيةُ طعامِ أهلِ الجنّةِ مِنْ ذهبٍ وفضةٍ، قال تعالى: ﴿يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ*﴾ [الزخرف: 71]، [(859)]، (الصِّحَاف) جمع صحفة وهي القصعة

وزناً ومعنى، وهي من ذهبٍ كما هو صريحُ الآية، والأكوابُ جمع كوب وهو الكوزُ المستديرُ الرأسِ الذي لا عروةَ له ولا خرطوم[(860)] .

وقال رسولُ اللهِ (ﷺ): « أوّلُ زمرةٍ تدخلُ الجنَّة على صورةِ القمرِ ليلةَ البدرِ، والذين على أثرِهم كأشدِّ كوكبٍ إضاءةً، قلوبُهم على قلبِ رجلٍ واحدٍ، لااختلافَ بينهم ولا تباغُض، لكلِّ امرىءٍ منهم زوجتان، كلُّ واحدةٍ منهما يُرَى مُخُّ ساقِها مِنْ وراءِ لحمها من الحُسْنِ، يُسَبِّحُوْنَ اللهَ بُكْرةً وعَشِيّاً، لا يَسْقُمُوْنَ، ولا يَتَمَخَّطونَ، ولا يَبْصُقُونَ، انيتُهم الذهبُ والفضةُ، وأمشاطُهم الذهبُ، ووقودُ مجامِرُهم الأُلّوة ـ يعني العود ـ ورشحُهم المِسْكُ »[(861)] .

وقال تعالى: ﴿بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ *لاَ يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلاَ يُنْزِفُونَ *﴾ **[الواقعة: 18 ـ 19]** أباريق جمع إبريق، والأكواب الكبيرة ذاتُ العري والخراطيم[(862)]، والكأسُ هو الكوبُ إذا كان فيه شرابٌ[(863)]، وهذا الكأسُ مليءٌ بالشرابِ، كما قال تعالى: ﴿وَكَأْسًا دِهَاقًا *﴾ **[النبأ: 34]** أي مليئةٌ مترعةٌ متتابعةٌ، وهذا من كمالِ النعيم، فلا ينقصهم شيءٌ حتّى الكؤوسُ مليئةٌ، وقال تعالى: ﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِآنِيَةٍ مِنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا *قَوَارِيرَا مِنْ فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا *﴾ **[الإنسان: 15 ـ 16]** القوارير الزجاج، أي هي في صفاء الزجاج، وهي من فضة، وهذا ما لا نظيرَ له في الدُّنيا[(864)] .

وهي معدّةٌ على قَدْرِ كفايةِ وليِّ الله في شربةٍ لا تنقصُ عن كفايته شيء ولا تزيدُ، فقد قدّروها تقديراً، وهذا أبلغ في لذّة الشارب، فلو نقصَ عن ريِّه لنقص التذاذهُ، ولو زاد حتى يشمئز منه حصل له ملالةٌ وسامةٌ من الباقي، وهذا يدلُّ على الاعتناء والشرف[(865)] . وقال رسول الله (ﷺ): « لا تلبَسُوا الحريرَ ولا الدِّيباجَ، ولا تشربوا في انيةِ الذَّهَبِ والفِضَّةِ، ولا تأكلوا في صِحَافها، فإنَّها لهم في الدُّنيا، ولنا في الآخرة »[(866)] . وقال رسول الله(ﷺ): « جنّتانِ من فضةٍ انيتُهما وما فيهما، وجنتان من ذهبٍ انيتُهما وما فيهما، وما بينَ القومِ وبين أن ينظروا إلى ربِّهم إلاَّ رداءُ الكبرياءِ على وجهه في جنّةِ عَدْنٍ »[(867)] .

4 . لباس أهل الجنة وحليهم:

لا عُرْيَ في الجنّة قال تعالى: ﴿إِنَّ لَكَ أَلاَّ تَجُوعَ فِيهَا وَلاَ تَعْرَى *وَأَنَّكَ لاَ تَظْمَأُ فِيهَا وَلاَ تَضْحَى *﴾ **[طه: 118 . 119]** . وقال رسول الله (ﷺ): «مَنْ يدخلُ الجنّةَ يَنْعُمُ لا يَبْأَسُ، لا تَبْلَى ثيابهُ، ولا يَفْنَى شبابُه »[(868)].

ولهم أفضلُ أنواعِ اللباسِ فمن ذلك :

الحرير: بأنواعه الرقيق منه والغليظ قال تعالى ﴿وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا*﴾ **[الإنسان: 12]** وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا

الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ *﴾ [الحج: 23] وقال تعالى: ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا *﴾ [الكهف: 31] وقال سبحانه: ﴿يَلْبَسُونَ مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَقَابِلِينَ *﴾ [الدخان: 53] .

والسندس ما رقَّ من الديباجِ والحريرِ، والاستبرق ما غلظَ منه، وقال الزّجَّاجُ: هما نوعانِ من الحرير، وأحسن الألوان الأخضر، وألين اللباس الحرير، فجمع لهم بين حُسْنِ منظرِ اللباس، والتلذذ به[(869)] . وقال تعالى: ﴿عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُنْدُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا*﴾ [الإنسان: 21] تأمل ما دلّتْ عليه لفظة من كون ذلك اللباس ظاهراً بارزاً يُجَمِّلُ ﴿عَالِيَهُمْ﴾، ليس بمنزلة الشعار الباطن، بل الذي يلبس فوق الثياب للزينة والجمال[(870)] .

وأمّا حليهم وأساورهم فهي كالتالي:

الذهب: قال تعالى: ﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ﴾ [الحج: 23] .

الفضة: ﴿وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ﴾ [الإنسان: 21] .

اللؤلؤ: قال تعالى: ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ *﴾ [فاطر: 33] فأساوِرُ أهل الجنة بعضُها من الفضة، وبعضُها من ذهبٍ، وبعضُها من لؤلؤ، قال تعالى: ﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ *﴾ [الحج: 23][(871)] .

5 . فرش أهل الجنة:

قال تعالى: ﴿مُتَّكِئِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ *﴾ [الرحمن: 54] فَفُرْشُ أهل الجنّةِ باطنُها من حريرٍ، فإذا كان هذا باطنُها، فكيف هو ظاهرُها؟ وهذه الفرشُ عاليةٌ لها سُمك وحشو بين البطانة والظهارة، كما قال تعالى: ﴿وَفُرُشٍ مَرْفُوعَةٍ *﴾ [الواقعة: 34] .

6 . بسط أهل الجنة:

قال تعالى: ﴿وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ *﴾ [الغاشية: 16] والزرابيُّ جمعُ زربية وهي البسط[(872)]، وهو مبثوثةٌ على شكلٍ متّسقٍ ومتكاملٍ، وقال تعالى:

﴿مُتَّكِئِينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ *﴾ [الرحمن: 76] العبقري: البسط الجياد، والرفرف: رياض الجنة[(873)] .

7 . الوسائد:

قال تعالى: ﴿وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ *وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ *﴾ [الغاشية: 15 . 16] النمارق: جمع نمرقة وهي الوسادة، وهي التي توضَعُ تحتَ الرأسِ، وقيل المساند، وهي التي تُوْضَعُ خلفَ الظهر أو على الجنب . وقد يعمهما اللفظ[(874)]. وهذه المخاد والوسائد مصفوفةٌ ومعدّةٌ للاستناد إليها دائماً، وترتيبُ الوسائدِ وصفُّها أجملُ للناظر من المبعثرة، وهكذا وسائدُ أهل الجنة، فينعمون حتّى بالنظر[(875)] .

8 . سرر وأرائك أهل الجنة:

قال تعالى: ﴿مُتَّكِئِينَ عَلَى سُرُرٍ مَصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ *﴾ [الطور: 20] السرر: جمع سرير وهو الذي يجلس عليه[(876)] .

وذكر الله تعالى لهذه السرر ثلاث صفات:

قال تعالى: فالسررُ مصفوفةٌ بعضُها إلى جانبِ ﴿سُرُرٍ مَصْفُوفَةٍ﴾، وليس بعضُها خلف بعض، ولا بعيدٌ عن بعض .

وقال تعالى: ﴿عَلَى سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ *مُتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ *﴾ [الواقعة: 15-16] موضونةٌ: أي مرصّعة، ومتقاربة، ومنسوجة بقضبانِ الذهب مشبّكةٌ بالدُّر والياقوت والزبرجد[(877)] .

وقال تعالى: ﴿فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ *﴾ [الغاشية: 13][(878)] .

وقال تعالى: ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا *﴾ [الكهف: 31] وقال تعالى: ﴿مُتَّكِئِينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ *﴾ [ص: 51] وقال تعالى: ﴿مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الأَرَائِكِ لاَ يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلاَ زَمْهَرِيرًا *﴾ [الإنسان: 13] وقال تعالى: ﴿عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ٢٣تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ٢٤﴾ [المطففين: 23–24] وقال تعالى: ﴿فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ *عَلَى الأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ *﴾ [المطففين: 34 . 35] الأرائكِ جمعُ أريكةٍ، قال ابن عباس: لا تكونُ أريكةً حتى يكونَ السريرُ في الحَجَلَةِ[(879)]، وقال مجاهد هي الأسرّةُ في الحجال[(880)]، والحجال: القبةُ من القماشِ تكونُ على السريرِ مثلما يُصْنَعُ للعروسِ على سريرِها من ضربِ الستور والأقمشةِ على شكل

القبّة وتعلَّقُ فوق السرير[(881)]، فالأريكةُ سريرٌ عليه الستور، يخلو به المؤمنُ بحِبّه[(882)] .

9 . خدم أهل الجنة:

قال تعالى: ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ *بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ*﴾ [الواقعة: 17 . 18] وقال تعالى: ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَنْثُورًا *﴾ [الإنسان: 19] يطوفُ على أهلِ الجنّةِ للخدمةِ وُلْدَانٌ من ولدانِ أهل الجنّة ﴿مُخَلَّدُونَ﴾ أي على حالةٍ واحدةٍ مخلَّدون ، لا يتغيّرون عنها، لا تزيدُ أعمارُهم عن تلك السنُّ، وقوله تعالى: ﴿إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَنْثُورًا *﴾ [الإنسان: 19] أي إذا ﴿رَأَيْتَهُمْ﴾ في انتشارهم في قضاء حوائج ، وكثرتهم، وصباحةِ وجوههِم، وحسنِ ألوانهم وثيابهم وحليهم ﴿حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَنْثُورًا *﴾ يكونُ في التشبيه أحسنُ من هذا، ولا في المنظر أحسن من اللؤلؤ المنثور على المكان الحسن[(883)] .

10 . سوق أهل الجنة:

قال رسول الله (ﷺ): «إنّ في الجنّةِ لسوقاً، يأتونها كلَّ جُمُعَةٍ، فتهبُّ ريحُ الشمالِ، فتحثوا في وجوههم وثيابهم، فيزدادونَ حُسناً وجمالاً، فيرجعون إلى أهليهم وقد ازدادوا حُسناً وجمالاً، فيقولُ لهم أهلوهم: واللهِ لقد ازددتُم بعدَنا حُسْناً وجمالاً، فيقولون: أنتم، واللهِ لقد ازْدَدْتُم بعدَنا حُسناً وجمالاً» [(884)] .

والمراد بالسوقِ مجمّعٌ لهم يجتمعون كما يجتمع الناسُ في الدنيا في السوق، ومعنى يأتونها كلَّ جمعة، أي مقدار كل جمعة، أي أسبوع، وليس هناك حقيقةً أسبوعٌ، لفقد الشمس والليل والنهار[(885)] .

11 . سماع أهل الجنة:

قال تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ *﴾ **[الروم: 15]** وقال تعالى: ﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ *﴾ **[الزخرف: 70]** .

قال يحيى بن أبي كثير: الحَبْرَةُ: اللذّة وسماعُ الغناء[(886)]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ *﴾ **[يس: 55]** قال ابن عباس رضي الله عنه: شُغُلُهم بسماعِ الأوتار[(887)] . وقوله الفكاهةُ المزاحُ والكلامُ الطيِّبُ والمتفكه المتنعم.

12 . لهم ما اشتهت نفوسهم:

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ *لاَ يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ خَالِدُونَ *﴾ **[الأنبياء: 101-102]** وقال تعالى: ﴿لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُمْ مَا يَدَّعُونَ *﴾ **[يس: 57]** وقال جل ذكره: ﴿لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاؤُونَ خَالِدِينَ كَانَ عَلَى رَبِّكَ

وَعْدًا مَسْؤُولاً*﴾ [الفرقان: 16] وقال تعالى: ﴿لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ جَزَاءُ﴾ [الزمر: 34] وقال تعالى: ﴿بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ *﴾ [الزخرف: 71] .

13 . الجمع بين متاع الدنيا ونعيم الجنة:

الدُّنيا تُذَمُّ إذا كانت شاغلاً عن الآخرة، أمّا إذا جعلها العبدُ مَعْبَراً ومَدْخَلاً لنيل الآخرة، فالأمرُ ليس كما يظن بعضُ الناسِ، وانظر إلى الصالحينَ من قوم قارون عندما أنسته أموالهُ الآخرة قالوا له: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخرة وَلاَ تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلاَ تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ *﴾ [القصص: 77] فلم يأمروه بتركِ الدنيا كلِّها، بل قالوا له: ﴿وَلاَ تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾ وأقرّهم ربُّ العزة على هذه ، وسطّرها في كتابه عنواناً لمنهج رباني[(891)] . وقال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيات لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ*﴾ [الأعراف: 32] .

الحادي عشر: الحور العين:

1 . جمال وحسن الحور العين:

شبه الله تعالى الحور العين بثلاث تشبيهات :

1 . قال تعالى: ﴿وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ *كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ *﴾ **[الصافات: 48 . 49]** قيل إنّه بَيْضُ النعام المكنون في الرمل، وهو عند العرب أحسنُ ألوانِ البياض، وقيل: المراد بها اللؤلؤ قبل أن يبرز من صدفه[(892)] .

2 . وقال تعالى: ﴿وَحُورٌ عِينٌ *كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ *﴾ **[الواقعة: 22-23]** المكنون: أي المخبأ، الذي لم يغيّر صفاءَ لونه ضوءُ الشمس ولا عبثُ الأيدي، ولم تؤثّر على لونه، فاللؤلؤ المكنون هو اللؤلؤ المصون الذي لم يخرج من صَدَفه[(893)]، وهو في هذه الحال في غاية ما يكونُ من الحسن والجمال، فشبّه اللهُ تعالى الحورَ العين باللؤلؤ المكنون لحسنهنّ وبهائهنّ، ونظافتهنّ، وحُسْن منظرهنّ، وملبسهنّ، وبياض الحور العين غايةٌ في البياضِ، حتّى إنَّ إحداهنَّ لو خرجتْ إلى الدُّنيا لملأَ نورُها أرجاءَ المعمورة[(894)]، قال رسول الله(ﷺ): « ولو أنَّ امرأةً مِنْ أهلِ الجنّةِ اطّلعتْ على أهلِ الأرضِ لأضاءتْ ما بينَهُما، ولملأته ريحاً، وَلَنَصِيْفُها على رأسِهَا خيرٌ من الدُّنيا وما فيها[(895)].

والنَّصِيْفُ هو الخِمَارُ، فإذا كان الخمارُ خيراً من الدنيا وما فيها فما بالُكَ بالتي تَلْبَسُ الخَمَارَ »[(896)] .

3 . وقال تعالى: ﴿كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ *﴾ [الرحمن: 58] الياقوتُ والمرجانُ حجرانِ كريمانِ جميلانِ، ولهما منظرٌ حسنٌ بديعٌ، فشبههنّ في صفاءِ الياقوتِ وبياضِ المرْجَانِ[(897)] .

2 . صفاتهن الخُلُقية:

قاصرات الطرف: قال تعالى: ﴿فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلاَ جَآنٌّ *﴾ [الرحمن: 56] وقال تعالى: ﴿وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ *كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ *﴾ [الصافات: 48 . 49]، وقال تعالى: ﴿وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ أَتْرَابٌ *﴾ [ص: 52] والمفسّرون كلُّهم على أنَّ المعنى قَصَرْنَ طرْفهنَّ على أزواجهنّ، فلا يطمحنَ إلى غيرِهم، قال مجاهد: قَصَرْنَ أبصارهنَّ وقلوبهنّ وأنفسهنّ على أزواجهنّ فلا يردن غيرهم . وقيل: قَصَرْنَ طرفَ أزواجهنّ عليهنَّ، فلا يدعهم حسنهنّ وجمالهنّ أن ينظروا إلى غيرهن[(898)] .

متحببات: قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً *فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا *عُرُبًا أَتْرَابًا*﴾ [الواقعة: 35 . 37] عُرُب: جمع عَروبة[(899)] أو عَرِبة أو عروب، وهي المرأةُ الحسناءُ المتوددة المتحببة لزوجها، العاشقة له[(900)] .

جميعُ الأخلاق الحسنة الطاهرة: قال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ *﴾ **[البقرة: 25]** طهّر باطنَها من الأخلاق السيئة والصفات المذمومة، وطهّرَ لسانَها من الفُحْشِ والبَذَاءِ، وطهر طرفها من أن تطمع لغير زوجها، وطهرت أثوابَها من أن يعرضَ لها دنس أو وسخ[(901)] .

3 . صفاتهن الخلْقِيَّة:

أ . مطهرات من الأنجاس:

قال تعالى: ﴿وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ *﴾ **[البقرة: 25]** أي مِنَ الحيض، والنفاس، والبول، والغائط، والبصاق، والمخاط، والنخامة، والمني، والمذي، والحدث، وكل قذر وأذى يكون في نساء الدنيا[(902)]، بل حتّى إذا وطئها زوجُها رجعتْ بعد نزعه طاهرةً مطهرةً، وقال رسول الله (ﷺ) أنه سئل: أنطأُ في الجنّةِ ؟ قال: « نعم والذي نفسِي بيدِه دحماً دحماً، فإذا قامَ عنها رجعتْ مطهّرةً بكراً »[(903)] .

ب . حور عين:

قال تعالى: ﴿كَذَلِكَ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ *﴾ **[الدخان: 54]** . الحُوْرُ جمع حوراء، وهي المرأةُ الشابّةُ الحسنةُ الجميلةُ، نقية اللون والجلد لبياضها[(904)].

وهذا اللفظُ مشتقٌّ من الحَور، والحور أن يشتدَّ بياضُ العين، ويشتدَّ سوادُ سوادِها، وتستديرُ حدقتُها، وترقُّ جفونها مع شدّة بياضِ الجسدِ، ولا تكونُ السمراءُ حَوْراء، قال الأزهريُّ: لا تسمَّى حوراءَ حتى تكونَ مع حَوَرِ عينيها بيضاء لون الجسد[(905)]، وقيل: إنّ لفظَ الحَوْراء مشتقٌّ من الحيرة، لأنَّ الناظرَ إليها يحارُ من شدّة جمالها، قال مجاهد: الحور التي يحارُ الطرفُ فيها[(906)]، وقال تعالى: ﴿وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ *﴾ **[الصافات: 48]** وعِيْنٌ: جمع عيناء، وهي الواسعةُ العَيْنِ[(907)]، وجمعت أعيُنهنَّ مع السعة صفاتِ الحسن والملاحة[(908)] .

ج . أتراب في السن:

قال تعالى: ﴿وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ أَتْرَابٌ *﴾ **[ص: 52]** وقال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً *فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا *عُرُبًا أَتْرَابًا *﴾ **[الواقعة: 35 . 37]**

أترابٌ: أي أقران، أسنانهن واحدة، مستويات على سن واحدة، وميلاد واحد

من الشباب والحسن، والمعنى من الإخبار باستواء أسنانهنَّ أنهنّ ليس فيهن عجائز قد فات حسنهنّ، ولا ولائد لا يطقنَ الوطء[(909)] .

د . **أبكار**: كما قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً *فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا *﴾ [الواقعة: 35 . 36] والبكر أفضل من الثيب، فالأرضُ التي لم يُرعَ فيها خيرٌ من أرضٍ قد رُعِيَ فيها، وهذه البكارةُ تعودُ كلّما قام عنها زوجُها، عن أبي هريرة عن رسول الله (ﷺ) أنه سئل: أنطأ في الجنة ؟ قال: « نعم والذي نفسِي بيدِه دحماً دحماً، فإذا قامَ عنها رجعتْ مطهّرةً بكراً »[(910)] .

هـ **كواعب**: قال تعالى: ﴿وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا *﴾ [النبأ: 33] كواعبُ: جمع كاعب، الكاعِبُ هي المرأة التي تكعّب ثديها، أي نَهَدَ واستدارَ[(911)]، والمراد أنَّ ثُديهنَّ نواهِدُ كالرمان، ليست متدليةً إلى أسفل، ويسمينَ: نواهدَ وكواعبَ[(912)] .

وحسبك شهادةً لجمالهنَّ الباهرَ، وأنّه بلغَ الغايةَ في الحسن، والمنتهى في الجمال ؛ إنّ الله تعالى شهد بهذا فقال: ﴿فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ *﴾ [الرحمن: 70] وحِسَانٌ جمع حسناء[(913)] .

4. غيرة الحور العين:

قال رسول الله (ﷺ): «لا تُؤْذِي امرأةٌ زوجَها في الدنيا، إلاّ قالتْ زوجتُه مِنَ الحُوْرِ العِيْنِ: لا تؤذيه قاتَلَكِ اللهُ، فإنَّما هُوَ دخيلٌ عندَكِ، يوشِكُ أنْ يفارِقَكِ إلينا»[(914)].

5. يُعْطَى المؤمن في الجنة قوة مائة رجل:

عن زيد بن أرقم قال: أتى النبيَّ (ﷺ) رجلٌ من اليهود فقال: يا أبا القاسم ؛ ألستَ تزعمُ أنَّ أهلَ الجنةِ يأكلونَ فيها ويشربونَ . وقال لأصحابه: إنْ أقرّ لي بهذه خصمته . قال: فقال رسول الله (ﷺ): « بلى والذي نفسِي بيدِهِ إنَّ أحدَهُم ليُعْطَى قوةَ مئةِ رَجُلٍ في المِطْعَمِ والمِشْرَبِ والشَّهْوَةِ والجِمَاعِ » .

وقال: فقال له: اليهودي: فإنّ الذي يأكلُ ويشربُ تكونُ له الحاجةُ .

قال: فقال رسولُ اللهِ (ﷺ): « حاجةُ أحدِهم عَرَقٌ يفيْضُ مِنْ جلودِهِم مثل ريْحِ المسكِ فإذا البطنُ قد ضَمَرَ »[(915)] .

والتمتع بالحور العين يكونُ بالملامسة، والحديثُ معهنَّ وسماعُ غنائهن، والتلذذ بجمالهن، والتمتع بشم رائحتهن الزكية .

فالملامسة: وما يصاحبها من مقدماتٍ وضمٍّ وتقبيلٍ، وهذا لازمُ الملامسةِ قال تعالى: ﴿إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ *هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلاَلٍ

عَلَى الأَرَائِكِ مُتَّكِئُونَ *﴾ [يس: 55 . 56]، قال ابنُ مسعود وابنُ عباس وقتادةُ ومجاهدُ وغيرهم: شُغْلُهم افتضاضُ الأبكارِ[(916)] .

الحديث معهن: ومن معاني قوله تعالى: أي مشغولٌ ﴿فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ *﴾، وكلامها، ومسامرتها، وممازحتها، ومذهول من طيب كلامها ، ومشغول بها عن الالتفاتِ لغيرها[(917)]، قال القرطبي: قوله: ﴿فَاكِهُونَ*﴾: الفاكهةُ المزاحُ والكلامُ الطيب، والمتفكه: المتنعم[(918)] .

سماع غنائهن: قال تعالى: ﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ *﴾ [الزخرف: 70] الحبرة اللذة وسماع الغناء[(919)] .

التلذذ بجمالهن: إنّ من صفاتِ الحور العين أنهنّ ﴿قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ *﴾ [الصافات: 48] ومن معانيه أنهنّ قُصِرَتْ أعينُ أزواجهنَّ عليهنَّ مِنْ شدّةِ جمالهن، فلا يطمعُ بغيرِها، ولا يلتفتُ عنها، ولا يبتغي سواها، قد شغفتْهُ حُبّاً، وامتلأ قلبه من حبِّها، واكتنزَ وفاضَ حتى غمر جوارحَه، فلا ينظر لسواها، وهذا من النعيم الكامل، واللّذة التامة، حتى العين لها نصيبٌ وافر من النعيم واللذة[(920)]، وهذا مصداق قوله تعالى: ﴿يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ*﴾ [الزخرف: 71] .

التمتع بشم رائحتهن الزكية: لاشكَّ أنَّ الرائحةَ الطيبةَ في المرأة يزيدُها حباً لزوجها، وهو من كمالِ اللذّة، والاستمتاع بهنّ، والحورُ العينُ لهنّ من ذلك أوفرُ نصيبٍ، حيثُ إنَّ عبقَ طِيْبها لو خرجَ إلى الأرض لملأها مِسْكاً[(921)]، قال رسول الله (ﷺ): « لروحةٌ في سبيلِ اللهِ أو غدوةٌ خيرٌ من الدنيا وما فيها، ولقابُ قوسِ أحدِكم من الجنّةِ أو موضع قيد ـ يعني سوطه ـ خيرٌ من الدنيا وما فيها، ولو أنَّ امرأةً من أهلِ الجنّةِ اطّلعتْ إلى أهلِ الأرضِ لأضاءتْ ما بينها ولملأته ريحاً، ولنَصِيْفُها على رأسِهَا خيرٌ من الدُّنيا وما فيها» [(922)].

إذن يكونُ التمتّعُ بهنّ بالحواسّ الخمس جميعاً، وهذا من أعظم النعيم، حيث يفيضُ التمتّع على جميع أجزاءِ جسدِه، ويغمر كلَّ ذرّةٍ في جسمه[(923)] .

الثاني عشر ـ أفضل ما يعطاه أهل الجنة النظر إلى وجه الله الكريم:

إنّ مسألة رؤيةِ المؤمنين لربّهم عز وجل بالأبصارِ في الدار الآخرة من أشرفِ المسائل وأجلِّها، إذ هي الغايةُ القصوى، والنهايةُ العظمى، وأعلى الكراماتِ، وأفضلُ الأعطيات التي شمّر إليها السابقون، وتنافسَ فيها المتنافسون، واجتهدَ في نيلها العابدون، وقد تضافرت النصوصُ من الكتاب العزيز والسنة النبوية الصحيحة، على أنّ المؤمنين يرون اللهَ عزَّ وجلَّ بأبصارِهم، كما يرون القمرَ ليلةَ البدرِ[(924)] .

والآيات التي تدلُّ على رؤية الله تعالى كثيرة، وهي أنواع منها:

1 . آيات المزيد:

قال تعالى: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ وَلاَ يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلاَ ذِلَّةٌ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ *﴾ **[يونس: 26]** وقال رسول الله(ﷺ): « إذا دخلَ أهلُ الجنّةِ الجنة قال: يقول الله تبارك وتعالى: تريدونَ شيئاً أزيدُكُم، فيقولون: ألم تبيِّض وجوهَنا ؟ ألم تُدْخِلْنا الجنَّةَ، وتُنْجِنَا مِنَ النارِ؟ قال: فيُكْشَفُ الحجابُ، فما أُعطوا شيئاً أحبَّ إليهم من النظرِ إلى ربِّهم عزّ وجلّ »، ثم تلا هذه الآية ﴿للذين أحسنوا الحسنى وزيادة ﴾ **[يونس: 26]**.

وقال رسول الله (ﷺ): « الحسنى: الجنّةُ، والزيادةُ: النظرُ إلى وَجْهِ الرحمن » وهذا الحديثُ متواترٌ يُقْطَعُ بصحته[(925)] .

وقال تعالى: ﴿لَهُمْ مَا يَشَاؤُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ *﴾ **[ق: 35]** وعن عليٍّ وأنس رضي الله عنهما أنَّ تفسير هذه الآية النظرُ إلى وجه الرحمن[(926)] . قال ابنُ كثير: وقوله تعالى: كقوله ﴿لَهُمْ مَا يَشَاؤُونَ فِيهَا﴾ كقوله عز وجل: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ وَلاَ يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلاَ ذِلَّةٌ أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ **[يونس:26]**.

2. الآيات الصريحة في النظر إلى وجه الله تعالى:

قال تعالى: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ *إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ *﴾ [القيامة: 22 . 23]

الناضرة: الحسنة، حسّنها الله بالنظر إلى ربّها عز وجل، وحقَّ لها أن تَنْضُرَ وهي تنظر إلى ربّها جل جلاله[(927)]، وفي قوله: ﴿إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ *﴾ هذا من ؛ أي: إلى خالقها ومالك أمرها ناظرة، أي تنظرُ إليه، والمرادُ به ما تواترت به الأحاديث الصحيحة من أنَّ العبادَ ينظرن إلى ربّهم يوم القيامة كما ينظرون إلى القمرِ ليلةَ البدرِ[(928)] .

3. آيات حرمان الكفار من رؤيته سبحانه:

بين سبحانه في بعض الآيات أنّه يَحْرِمُ الكفارَ من النظر إليه عقوبةً لهم على كفرهم، وهذا يدلُّ بمفهومه على أنَّ المؤمنين يرونه سبحانه، إذ لو كان المؤمنون لا يرونه أيضاً، لما كان لتخصيصِ الكفار بالحرمان فائدةً، بل أصبحَ هذا الكلامُ من العبث الذي ينزّه عنه الشارع .

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بَعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَناً قَلِيلاً أُولَئِكَ لاَ خَلاَقَ لَهُمْ فِي الآخرة وَلاَ يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلاَ يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلاَ يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ *﴾ [آل عمران: 77] قال تعالى: ﴿كَلاَّ إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ

لَمَحْجُوبُونَ *﴾ [المطففين: 15] وفي هذه الآية دليلٌ على أنَّ الله عز وجل يُرَى في القيامة، ولولا ذلك ما كان في هذه الآية فائدةٌ، ولا خَسّتْ منزلةُ الكفار بأنهم يحجبون، وقال مالك بن أنس في هذه الآية: لما حجبَ أعداءَه فلم يروه، تجلّى لأوليائه حتى رأوه .

وقال الشافعي: لما حجب قوماً بالسخط، دلّ على أنّ قوماً يرونه بالرضا، ثم قال: أما واللهِ لو لم يوقن محمد بن إدريس أنّه يَرى ربَّه في المعاد لما عبده في الدنيا[(929)] .

وعن أشهبَ قال: سأل رجلٌ مالكاً: هل يرى المؤمنون ربَّهم يوم القيامة ؟ فقال مالك: لو لم يرَ المؤمنون ربَّهم يومَ القيامة لم يعيّر اللهُ الكفّارَ بالحجابِ، فقرأ: فقيل ﴿كَلاَّ إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ *﴾: يا أبا عبد الله فإنّ قوماً يزعمون أنّ الله لا يُرى، فقال مالك: السيفَ السيفَ[(930)] .

4 . آيات العندية:

عن مسروق قال: سألنا عبد الله عن هذه الآية: ﴿وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ *﴾ [آل عمران: 169] قال: أما إنّا قد سألناه عن ذلك . . يعني رسول الله (ﷺ) . فقال: « أرواحُهم في جوفِ طيرٍ خُضْرٍ لها قناديلُ، فاطّلعَ إليهم ربُّهم اطلاعةً فقال: هل تشتهونَ شيئاً ؟

قالوا: أيْ شيءٍ نشتهي، ونحنُ نسرحُ من الجنّةِ حيث شئنا، ففعل ذلك بهم ثلاث مرات، فلمّا رأوا أنّهم لن يُتركوا مِنْ أنْ يَسْألوا فقالوا: يا ربّ نريدُ أن تردَّ أرواحَنا في أجسادِنا حتى نُقْتلَ في سبيلكَ مرّةً أُخرى، فلمّا رأى أنْ ليسَ لهم حاجةً تُرِكُوا »[(931)] .

5 . آيات الملاقاة :

قال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلاَقُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ *﴾ [البقرة: 223] وقال تعالى: ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلاَمٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا *﴾ [الأحزاب: 44] وقال تعالى: ﴿وَيَا قَوْمِ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالاً إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى اللهِ وَمَآ أَنَاْ بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُواْ إِنَّهُم مُّلاَقُو رَبِّهِمْ وَلَكِنِّيَ أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ﴾ [هود: 29] وقال تعالى: ﴿قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلاَقُو اللَّهِ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ *﴾ [البقرة: 249] وقال تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلاَ يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا*﴾ [الكهف: 110] .

وقال ابن مسعود: من أرادَ النظرَ إلى وجهِ اللهِ خالقهِ فليعملْ عملاً صالحاً، ولا يخبر أحداً[(932)] وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلاَقُو رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ

رَاجِعُونَ﴾ [البقرة: 46] قال ابن القيم: وأجمعَ أهلُ اللسانِ على أنَّ اللقاءَ متى نُسِبَ إلى الحيِّ السليم من العمى والمانع اقتضى المعاينةَ والرؤية[(933)] .

6 . الأحاديث النبوية في الرؤية:

وقد ثبتت رؤيةُ المؤمنين للهِ عزّ وجلّ في الدار الآخرة في الأحاديث الصحاح من طرق متواترةٍ عند أئمة الحديث لا يمكنُ دفعُها ولا منعُها[(934)]، وذكر في « نظم المتناثر من الحديث المتواتر » أنَّ أحاديثَ الرؤيةِ وردتْ مرفوعةً من طريق ثمانيةَ وعشرين صحابياً، ثم سردَ أسماءهم[(935)] .

وقال ابنُ أبي العزّ الحنفي: وقد روى أحاديثَ الرؤيةِ نحو ثلاثين صحابياً، ومن أحاط بها معرفةً يقطعُ بأنَّ الرسول (ﷺ) قالها[(936)]، **ومن هذه الأحاديث:**

– ما رواه أبو سعيد رضي الله عنه أنَّ أناساً في زمن النبيّ (ﷺ) قالوا: يا رسول الله، هل نرى ربَّنا يومَ القيامةِ ؟ قال النبيُّ (ﷺ): « نعم، هل تضارّونَ في رؤيةِ الشمسِ بالظهيرةِ، ضوءٌ ليس فيها سحابٌ ؟ »، قالوا: لا، قال: « هل تضارّونَ في رؤيةِ القمرِ ليلةَ البدرِ، ضوءٌ ليس فيها سحابٌ؟ »، قالوا: لا، قال النبي (ﷺ): « ما تضارُّونَ من رؤيةِ اللهِ عزَّ وجلَّ يومَ القيامةِ إلاَّ كما تضارُّون في رؤيةِ أحدِهما »[(937)] .

- عن أبي هريرة أنّ ناساً قالوا لرسولِ اللهِ (ﷺ): يا رسولَ اللهِ هل نرى رَبَّنا يومَ القيامةِ ؟ فقال رسولُ اللهِ (ﷺ): « هل تضارُّونَ في رؤيةِ القمرِ ليلةَ البَدْرِ؟ »، قالوا: لا يا رسول الله، قال: « هل تضارُّونَ في الشمسِ ليس دونها سحابٌ ؟ »، قالوا: لا يا رسول الله، قال: « فإنّكم ترونه كذلك» [(938)].

- وعن جريرِ بن عبد الله قال: قال النبيُّ (ﷺ): «إنَّكم سترونَ ربَّكم عياناً»[(939)] .

7. رضوان الله أكبر :

قال تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ *﴾ [التوبة: 72] أي: ﴿وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ الله عنهم وأكبر وأجلّ وأعظمُ مما هم فيه من النعيم .

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنَّ رسولَ اللهِ (ﷺ) قال: « إنّ الله عزّ وجلّ يقولُ لأهل الجنَّة: يا أهلَ الجنّةِ، فيقولون: لبيكَ ربَّنا وسعدَيكَ، والخيرُ في يديكَ . فيقول: هل رضيتُم ؟ فيقولون: وما لنا لا نرضى يا ربِّ، وقد أعطيتنا ما لم تُعطِ أحداً من خَلْقِك ؟ ! فيقول: ألاَّ أُعطيكم أفضلَ مِنْ ذلك؟ فيقولون: يا ربِّ، وأيُّ شيءٍ أفضلُ من ذلك ؟ فيقول: أُحِلُّ عليكم رضواني، فلا أسخطُ عليكم بعدَه أبداً »[(940)] .

الثالث عشر ـ اخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين:

بعد انقضاء الحساب تحمَدُ الملائكةُ ربَّها: قال تعالى: ﴿وَتَرَى الْمَلاَئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ *﴾ [الزمر: 75] .

وأما المؤمنون بعد دخولهم الجنة فيقولون: ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ *الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ لاَ يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلاَ يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ *﴾ [فاطر: 34 ـ 35] وقال تعالى: ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ *﴾ [الزمر: 74] واخرُ دعواهم في جنّاتِ النعيم: الحمد لله رب العالمين، قال تعالى: ﴿دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلاَمٌ وآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ *﴾ [يونس: 10] .

* * *

الخاتمة

وبعدُ: فهذا ما يسّره الله لي مِنْ حديثٍ عن اليوم الآخر، مما تضمّنه هذا الكتاب، وقد سميتهُ «الإيمان باليوم الآخر» . فما كان فيه من صوابٍ فهو محضُ فضلِ اللهِ عليَّ، فله الحمد والمنَّة، وما كان فيه من خطأ، فأستغفرُ الله تعالى وأتوبُ إليه، واللهُ ورسولُه بريئان منه، وحسبي أنِّي كنتُ حريصاً ألاّ أقعَ في الخطأ، وعسى ألاّ أُحْرَمَ من الأجر . وأدعو الله أن ينفعَ بهذا الكتاب بني الإنسان، وأن يذكرَني مَنْ يقرؤه من إخواني المسلمين في دعائه، فإنَّ دعوة الأخِ لأخيه بظهرِ الغيبِ مستجابةٌ إن شاء الله تعالى، وأختمُ هذا الكتابَ بقول الله تعالى: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلاَ تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاًّ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ *﴾ **[الحشر: 10]** .

وبقول الشاعر[(941)] :

يا مُنْــــــزِلَ الآيات والفُرْقـــــانِ	بيـــني وبينَـــك حرمـــةُ القـــرآن
اشـــرحْ بـــه صـــدراً لمعرفـــةِ الهُـــدَى	واعصـــمْ بـــه قلـــبي مـــن الشَّـــيْطانِ
يَسّـــرْ بـــه أمْـــرِي واقْـــضِ مـــارِبي	وأَجْـــرِ بـــه جَسَـــدِي مِـــنَ النِّـــيْرَانِ
واحطُـــطْ بـــه وِزْرِي وأَخْلِـــصْ نِيَّـــتي	واشـــدُدْ بـــه أزْرِي وَأَصْـــلِح شَـــاني

واكشُــفْ بـه ضُـرِّي وحَقِّـقْ تَـوْبَتِي وأَرْبِــحْ بــه بَيْعِــي بــلا خُسْــرَانِ

طهِّــرْ بــه قلــبي وصَــفِّ سَــرِيْرَتِي أَجْمِــلْ بــه ذِكْــرِي وأَعْــلِ مَكَــانِي

واقْطَــعْ بـه طَمَعِــي وَشــرِّفْ هِمَّــتِي كَثِّــرْ بــهِ وَرَعِــي وأحْــيِ جَنَــانِي

أَسْــهِرْ بــه لَيْلِــي وَأَظْــمِ جَــوَارِحِي أَسْــبِلْ بفـيضِ دُمُوْعِهَــا أجْفَــانِي

أُمزجْــهُ يا ربِّ بِلَحْمِــي مَــعَ دَمِــي واغْسِــلْ بــه قَلْــبِي مِــنَ الأضْــغَانِ

أنــتَ الــذي صــوَّرتني وخَلَقْتَــنِي وهَــــدَيْتَنِي لشــــرائعِ الإيْمَــــانِ

أنــتَ الــذي علَّمْتَــنِي ورَحِمْتَــنِي وجَعَلْــتَ صَــدْرِيَ وَاعِــيَ القــرآن

أنــتَ الــذي أَطْعَمْتَــنِي وسَــقَيْتَنِي مِــنْ غــيرِ كَسْــب يــدٍ ولا دُكَّــان

وَجَبَرْتَــــنِي وسَــــتَرْتَنِي ونَصَــــرْتَنِي وغَمَــرْتَنِي بِالفَضْــلِ والإحْسَــانِ

أنــتَ الــذي اوَيْتَــنِي وَحَبَــوْتَنِي وَهَــدَيْتَنِي مِــنْ حَــيْرَةِ الخُــذْلاَنِ

وَزَرَعْــتَ لي بَــيْنَ القُلــوبِ مَــوَدَّةً والعطــف مِنْــكَ برحمــةٍ وحنــانِ

ونشــرتَ لي في العــالمينَ محَاسِــناً وَسَــتَرْتَ عــن أبصــارِهِم عِصْــيَانِي

وَجَعَلْــتَ ذِكْــرِي في البَرِيــةِ شَــائِعاً حــتّى جَعَلْــتَ جَمِــيْعَهم إخِــوَانِي

واللهِ لَــو عَلِمُــوا قبــيحَ سَــرِيْرَتِي لأبى السَّــلامَ علــيَّ مَــنْ يَلْقَــانِي

وَلأَعْرَضُــوْا عــنِّي وَمَلُّــوا صُــحْبَتِي وَلبُــؤْتُ بَعْــدَ كرَامَــةٍ بهَــوَانِ

لــكنْ سَــتَرْتَ مَعَــايِبِي وَمَثَــالِبِي وَحَلِمْتَ عـن سَقَطِي وَعَـنْ طُغْيَانِي

فلـــكَ المِحَامِـــدُ والمـــدائحُ كُلُّهـــا | بِخَـــواطِرِي وجَـــوَارِحِي وَلِسَـــانِي
ولقـــد مننـــتَ علـــيَّ ربِّ بِأَنْعُـــمٍ | مـــالي بِشُـــكْرِ أقلّهـــنَّ يَـــدَانِ
فوحـــقِ حِكْمَتِـــك الـــتي اتيتَـــنِي | حـــتّى شـــددتَ بِنُوْرِهـــا بُرْهَـــانِي
لـــئن اجْتَبَتْـــنِي مِـــنْ رِضَـــاكَ مَعُوْنَـــةٌ | حـــتّى يقـــوّي أيْـــدُهَا إِيْمَـــانِي
لأُسَـــبِّحَنّكَ بُكْـــرَةً وَعَشِـــيّةً | وَلَتَخْـــدِمَنَّكَ في الـــدُّجَى أَرْكَـــانِي
ولأذْكُرَنَّـــكَ قائِمـــاً أو قاعِـــداً | ولأَشْـــكُرَنّكَ ســـائِرَ الأحيـــانِ
وَلأَكْـــتُمنَّ عـــن البريَّـــةِ خَلِـــتي | وَلأَشْـــكُوَنَّ إليـــكَ جَهْـــدَ زَمـــانِي
ولأَقْصِـــدَنَّكَ في جميـــعِ حَـــوَائِجِي | مِـــنْ دُوْنِ قَصْـــدِ فلانـــةٍ وفُـــلانِ
وَلأَحْسِـــمَنَّ عـــن الأنامِ مَطَـــامِعِي | بِحُسَـــامِ يأسٍ لم تَشُـــبْهُ بَنَـــانِي
ولأَجْعَلَـــنَّ رِضَـــاكَ أكـــبَرَ همَّـــتي | وَلأَضْـــرِبَنَّ مِـــنَ الهَـــوَى شَـــيْطَانِي
ولأكْسُـــوَنَّ عيـــوبَ نَفْسِـــي بالتُّقَـــى | وَلأَقْبِضَـــنَّ عَـــنِ الفُجُـــوْرِ عِنَـــانِي
وَلأَمْـــنَعَنَّ الـــنَّفْسَ عَـــنْ شَـــهَواتِهَا | وَلأَجْعَلَـــنَّ الزُّهْـــدَ مِـــنْ أَعْـــوَانِي
وَلأَتْلُـــوَنَّ حُـــرُوْفَ وَحْيِـــكَ في الـــدُّجَى | وَلأَحْـــرِقَنَّ بِنُـــوْرِهِ شَـــيْطَانِي

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك

* * *

فهرس الموضوعات

المراجع

[1]. لا تحزن د . عائض القرني ص (47) .

[2]. لا تحزن ص (79) .

[3]. نونية القحطاني ص (19 . 20) .

[4]. الروح لابن القيم ص (241) مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني ص (369)

[5]. مفردات ألفاظ القرآن للراغب ص (369) .

[6]. الروح لابن القيم ص (226، 272 . 300) .

[7]. شرح الطحاوية ص (242) .

[8]. اليوم الآخر، القيامة الصغرى د . عمر الأشقر ص (95) .

[9]. فتاوى ابن تيمية (4 / 222) .

[10]. اليوم الآخر، القيامة الصغرى ص (95) .

[11]. المصدر نفسه .

[12]. مجموع الفتاوى (4 / 220) .

[13]. مجموع الفتاوى (4 / 226 . 235) .

[14]. شرح الطحاوية ص (442) القيامة الصغرى ص (99) .

[15]. البيهقي (1 / 253)، حديث ضعيف .

[16]. المنحة الإلـهية في تهذيب الطحاوية عبد الآخر الغنيمي ص (235) .

[17]. المنحة الإلـهية في تهذيب الطحاوية .

[18]. مجموع الفتاوى (4 / 279) .

[19]. شرح الطحاوية ص (446) .

[20]. القيامة الصغرى د . عمر الأشقر ص 87 .

[21]. البخاري، رقم (570) .

[22]. اليوم الآخر عبد المحسن المطيري ص (54) .

[23]. تفسير الطبري (8 / 9) بتصرف .

[24]. اليوم الآخر عبد المحسن المطيري ص (55) .

[25]. الترمذي رقم (3537) حسن غريب .

[26]. اليوم الآخر للمطيري ص (55) .

[27]. تفسير ابن كثير (4 / 466) .

[28]. لسان العرب (4 / 373) .

[29]. البخاري، رقم (6145) .

[30]. اليوم الآخر في القرآن العظيم والسنة المطهرة ص (58) .

[31]. ابن ماجه رقم (3898) وسنده صحيح .

[32]. أحمد رقم (18534) صحيح الإسناد . وسيأتي بتمامه في المبحث الثالث ص(55)

[33]. اليوم الآخر في القرآن العظيم ص (59) .

[34]. تفسير القرآن العظيم لابن كثير (4 / 98) .

[35]. اليوم الآخر في القرآن العظيم ص (61) .

[36]. تفسير البغوي (7 / 173) بتصرف .

[37]. اليوم الآخر في القرآن العظيم ص (62) .

[38]. تفسير القرطبي (10 / 67) .

[39]. تفسير ابن كثير (4 / 510) .

[40]. اليوم الآخر في القرآن العظيم ص (64) .

[41]. تفسير ابن كثير (4 / 300) .

[42]. محاسن التأويل للقاسمي (7 / 22) .

[43]. تفسير القرطبي (17 / 151) .

[44]. التسهيل لابن جزي (1 / 279) .

[45]. تفسير القرآن العظيم (2 / 156) تفسير البغوي (3 / 169) .

[46]. اليوم الآخر في القرآن العظيم ص (601) وسيأتي الحديث بتمامه ص (9)

[47]. أحمد رقم (18013) صحيح الإسناد وسيأتي بتمامه ص (59) .

[48]. تفسير القرآن العظيم (2 / 544) .

[49]. اليوم الآخر في القرآن العظيم ص (69) .

[50]. اليوم الآخر في القرآن العظيم ص (70) .

[51]. المصدر نفسه ص (72) .

[52]. ص (33) ويأتي بتمامه ص (59) .

[53]. أحمد رقم (18063) صحيح الإسناد .

[54]. القيامة الصغرى ص (74) .

[55]. المصدر نفسه ص (81) .

[56]. صحيح الجامع الصغير (1 / 388) رقم (1222) .

[57]. تذكرة القرطبي ص (12) .

[58]. المصدر نفسه ص (12) .

[59]. كتاب الزهد لابن المبارك، القيامة الصغرى ص (213) .

[60]. القيامة الصغرى ص (79، 80) .

[61]. الثبات على دين الله . د . الأمين الصادق (2 / 976) .

[62]. الثبات على دين الله (2 / 977) التبيان في أقسام القرآن لابن القيم ص (149)

[63]. شفاء العليل لابن القيم ص (241) .

[64]. الثبات على دين الله (2 / 978) .

[65]. تفسير القرآن العظيم (1 / 665) .

[66]. الثبات على دين الله (2 / 980) .

[67]. رحلة الخلود، حسن أيوب ص (112) .

[68]. رحلة الخلود ص (112) .

[69]. البخاري رقم (325) مسلم (263) .

[70]. رحلة إلى الدار الآخرة، محمود المصري ص (42)، سكب العبرات، سيد العفاني (10 / 57) .

[71]. الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (4 / 157) .

[72]. جامع العلوم والحكم (1 / 398) .

[73]. صحيح الجامع رقم (4071) .

[74]. سكب العبرات (1 / 61) .

[75]. الترمذي رقم (3537) حسن غريب .

[76]. مسلم (2759) .

[77]. رحلة إلى الدار الآخرة ص (51) .

[78]. تقدم تخريجه انفاً .

[79]. الثبات على دين الله (2 / 1042) .

[80]. رحلة إلى الدار الآخرة ص (52) صحيح الجامع رقم (3414) .

[81]. رحلة إلى الدار الآخرة ص (52) .

[82]. سكب العبرات (1 / 64) .

[83]. الترمذي رقم (2461) .

[84]. الترمذي رقم (2308) .

[85]. الثبات على دين الله (1 / 1029) .

[86]. مدارج السالكين (2 / 36) .

[87]. الثبات على دين الله (1 / 1038) .

[88]. مدارج السالكين (2 / 45 . 46) .

[89]. الثبات على دين الله (1 / 1039) .

[90]. رحلة إلى الدار الآخرة ص (54) .

[91]. قام الدكتور محمد حيدر بجمعها ودراستها في رسالته المتقدّمة لنيل رسالة الدكتوراة بجامعة أم درمان المسماة (أحاديث حياة البرزخ في الكتب التسعة جمعاً وتخريجاً ودراسة) . فمن أراد التوسع فليرجع إليها .

[92]. رحلة إلى الدار الآخرة ص (79 . 96) .

[93]. سكب العبرات (1 / 114) .

[94]. رحلة الخلود، حسن أيوب ص (113) .

[95]. الثبات على دين الله (1 / 1046) .

[96]. المصدر نفسه .

[97]. المصدر نفسه (1 / 1046) .

[98]. الثبات على دين الله .

[99]. البخاري، رقم (4697) .

[100]. الثبات على دين الله (2 / 1054) .

[101]. البخاري، رقم (6416) .

[102]. المصدر نفسه .

[103]. الترمذي، رقم (2333) صححه الألباني .

[104]. تحفة الأحوذي (6 / 515)، الثبات على دين الله (2 / 1055) .

[105]. كتاب الروح لابن القيم ص (88 . 89)، الوعد الآخروي شروطه وموانعه، عيسى السعدي ص (89) .

[106]. تفسير القرطبي (12 / 150)، أحاديث حياة البرزخ ص (32) .

[107]. الروح ص (132) .

[108]. تفسير الطبري (14 / 441) .

[109]. اليوم الآخر في القرآن العظيم ص (98) .

[110]. دراسات عقدية في الحياة البرزخية للحازمي ص (311) .

[111]. المصدر نفسه ص (312) تفسير الطبري (11 / 499) .

[112]. أهوال القبور لابن رجب ص (79) .

[113]. تفسير القرطبي (18 / 201) .

[114]. البخاري (4699) ومسلم (2871) .

[115]. البخاري رقم (1374) ومسلم (2870) .

[116]. الترمذي رقم (1071) صححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة رقم (1391) .

[117]. أحمد رقم (18534) إسناده صحيح .

[118]. أبو داود (3221) .

[119]. مسلم (249) .

[120]. البخاري (1388) ومسلم (1004) .

[121]. البخاري (1952) ومسلم (1147) .

[122]. البخاري رقم (1852) .

[123]. أورده الهيثمي في المجمع (3 / 39) إسناده حسن .

[124]. المنحة الإلهية في تهذيب الطحاوية للغنيمي ص (248) .

[125]. مسلم رقم (1631) .

[126]. الترمذي رقم (3255) ضعيف الإسناد .

[127]. البخاري رقم (6514) .

[128]. الترمذي رقم (2461) .

[129]. الترمذي رقم (2308) صحيح الجامع الصغير رقم (5623) .

[130]. دراسات عقدية في الحياة البرزخية ص (348) .

[131]. دراسات عقدية في الحياة البرزخية ص (358 . 359) .

[132]. المصدر نفسه ص (249) .

[133]. البخاري رقم (3485) .

[134]. مسند أحمد رقم (15834) .

[135]. دراسات عقدية في الحياة البرزخية ص (350) .

[136]. تفسير الطبري (10 / 450 . 451) .

[137]. أضواء البيان (6 / 489، 490) .

[138]. مسلم رقم (2955) .

[139]. دراسات عقدية ص (353) .

[140]. البخاري (3408) ومسلم (2373) .

[141]. دراسات عقدية ص (354) .

[142]. الروح لابن القيم ص (103 . 106) .

[143]. الغرز: الادخال (النهاية) (3 / 359) .

[144]. البخاري رقم (1378) .

[145]. الغلول: الخيانة .

[146]. أحمد (6 / 392) .

[147]. يجلجل: الحركة مع الصوت .

[148]. البخاري رقم (3485) .

[149]. فتح الباري (10 / 272) .

[150]. أحكام الجنائز للألباني ص (15) إسناده صحيح .

[151]. يثلغ رأسه: أي يشدخه ويشقه .

[152]. البخاري رقم (7047) .

[153]. الكبائر والصغائر حامد محمد المصلح ص (137) .

[154]. البخاري رقم (7047) .

[155]. الكبائر والصغائر ص (137) .

[156]. البخاري رقم (7047) .

[157]. فتح الباري (12 / 465) .

[158]. فيفغر: أي يفتح .

[159]. البخاري رقم (7047) .

[160]. ابن خريمة وصححه الألباني في صحيح الترغيب ص (995) .

[161]. ابن خريمة رقم (70) حياة القبر حسن زكريا ص (59) .

[162]. خشاش الأرض: الحشرات والهوام .

[163]. مسلم، رقم (904) .

[164]. السلسلة الصحيحة للألباني رقم (291) .

[165]. البخاري (3 / 161) .

[166]. صحيح سنن الترمذي (1 / 294) .

[167]. المحجن: عصا معقوفة .

[168]. مسلم، رقم (904) .

[169]. حياة القبر عذاب أم نعيم، حسن زكريا ص (ص55) .

[170]. الداء والدواء لابن القيم ص (137، 163، 164) .

[171]. الرحلة إلى الدار الآخرة ص (196) .

[172]. الرحلة إلى الدار الآخرة ص (199) .

[173]. الثبات على الدين (2 / 1137) .

[174]. المصدر نفسه (2 / 1138 . 1139) .

[175]. الرحلة إلى الدار الآخرة ص (201) .

[176]. نسمته: النسمة هي النفس والروح .

[177]. يعلق: أي يأكل .

[178]. الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، رقم (3113) .

[179]. الثبات على دين الله (2 / 1141) .

[180]. مسلم، رقم (1887) .

[181]. الثبات على دين الله (2 / 1143) .

[182]. بارقة السيوف: أي لمعانها .

[183]. النسائي رقم (2053) صححه الألباني .

[184]. الحاكم (2 / 130)، صحيح الإسناد .

[185]. الترمذي رقم (1663) صحيح الإسناد .

[186]. أبي داود رقم (2500) صحيح الإسناد .

[187]. الإحسان رقم (4624) .

[188]. مسلم رقم (1913) .

[189]. الثبات على دين الله (2 / 1144) .

[190]. البخاري رقم (6367) .

[191]. البخاري رقم (832) .

[192]. مسلم رقم (588) .

[193]. رحلة إلى الدار الآخرة ص (205) أخرجه الحاكم وصححه . ووافقه الذهبي

[194]. المصدر نفسه ص (205) .

[195]. أبي داود رقم (3221)، صححه الألباني .

[196]. رحلة إلى الدار الآخرة ص (303) .

[197]. البخاري رقم (6348) ومسلم (2444) .

[198]. مسلم رقم (1887) .

[199]. سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني رقم (995) .

[200]. اليوم الآخر، القيامة الصغرى، عمر الأشقر ص (103) .

[201]. انظر البخاري رقم (7047) .

[202]. البخاري (1378) .

[203]. أحمد (6 / 392) .

[204]. أحمد (18534) .

[205]. الشفا بتعريف أحوال المصطفى للقاضي عياض (1 / 650) .

[206]. البخاري رقم (6604) .

[207]. مسلم (2894) .

[208]. أشراط الساعة يوسف الوابل ص (55) .

[209]. أشراط الساعة للوابل ص (58) .

[210]. مسلم (8) .

[211]. أشراط الساعة ص (58) .

[212]. المصدر نفسه ص (67) .

[213]. واتباع سنن الأمم الماضية .

[214]. أشراط الساعة ص (67) .

[215]. البخاري (3936) ومسلم (2951) .

[216]. عَمْواس: بلدة في فلسطين على ستة أميال من الرملة، وكان هذا الطاعون في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

[217]. انظر: كتاب حقيقة الخلاف بين الصحابة للمؤلف، ففيه تفصيل .

[218]. معركة بين أهل المدينة وجيش يزيد بن معاوية بن أبي سفيان عام 63 هـ .

[219]. تفسير انتفاخ الأهلة بأن ذلك عبارةً عن كبر الهلال حين طلوعه عمّا هو معتادٌ في أول الشهر، فيرى وهو ابن ليلة كأنه ابن ليلتين .

[220]. وقوع التناكر عند كثرة الفتن والمحن، وكثرة القتال بين الناس، وحينما تستولي المادّةُ على الناس، ويعمل كل منهم لحظوظ نفسه، تكثر الأنانية، وتسيطر الأهواء والشهوات، فيحدثُ التناكر بين الناس .

[221]. أشراط الساعة يوسف الوابل ص (80 . 235) .

[222]. أشراط الساعة ص (342) .

[223]. أشراط الساعة ص (344) .

[224]. البخاري رقم (2222) ومسلم رقم (155) .

[225]. مسلم رقم (1237) .

[226]. تقدم انفاً .

[227]. تفسير الطبري (6 / 8) .

[228]. البخاري رقم (2222) ومسلم رقم (155) .

[229]. البخاري رقم (3449) ومسلم رقم (155) .

[230]. مسلم رقم (156) .

[231]. أشراط الساعة ص (349) .

[232]. أشراط الساعة ص (371) .

[233]. البخاري رقم (7059) ومسلم (2880) .

[234]. أشراط الساعة الكبرى ماجد البنكاني ص (185) . .

[235]. مسلم رقم (2901) أشراط الساعة للبنكاتي ص (185) .

[236]. أشراط الساعة ص (391) .

[237]. تفسير الطبري (8 / 103) .

[238]. البخاري رقم (4635) ومسلم رقم (157) .

[239]. أشراط الساعة ص (404) .

[240]. التذكرة (3 / 340) ط دار ابن كثير .

[241]. مسلم رقم (2947) .

[242]. الحاكم (4 / 557 . 558) سند صحيح رجاله ثقات .

[243]. أحمد (3 / 37) رجاله ثقات .

[244]. أحمد (2 / 58) رقم (645) إسناده صحيح .

[245]. مسلم رقم (2934) .

[246]. لسان العرب (دجل) .

[247]. المصدر نفسه .

[248]. ناتئة: مأخوذة من النتوء وهو الارتفاع والانتفاخ .

[249]. جحراء: ليست غائرة منحجرة في نقرتها .

[250]. ظفرة: لحمة تنبت عند الماقي، وقد تمتد إلى السواد فتخشاه .

[251]. أبو داود مع عون المعبود (11 / 443) حديث صحيح .

[252]. مسلم رقم (2934) .

[253]. البخاري رقم (7131) ومسلم رقم (2934) .

[254]. أشراط الساعة ص (309 . 311) .

[255]. أشراط الساعة ص (313) .

[256]. البخاري رقم (6368) ومسلم رقم (589) .

[257]. مسلم رقم (588) .

[258]. مسلم مع شرح النووي (18 / 65) .

[259]. مسلم رقم (809) .

[260]. أشراط الساعة ص (328) .

[261]. الحاكم (2 / 368) صحيح الإسناد .

[262]. صحيح الجامع الصغير للألباني رقم (6177) .

[263]. أشراط الساعة ص (333) .

[264]. مسلم رقم (2901) وقد تقدم ص (93) .

[265]. فتح الباري لابن حجر (13 / 84) .

[266]. مسلم رقم (2901) .

[267]. المصدر نفسه .

[268]. أشراط الساعة ص (419) .

[269]. أبو داود رقم (4742) .

[270]. فتح الباري (11 / 376) .

[271]. أبو داود رقم (4742) .

[272]. حديث الصور أخرجه البيهقي في البعث والنشور ص (325) وهو حديث ضعيف .

[273]. تفسير ابن كثير (4 / 466)، فتح الباري (11 / 374) .

[274]. البخاري رقم (4536) ومسلم رقم (2955) .

[275]. رحلة قبل الرحيل، بشير عبد الله ص (39) .

[276]. مسلم رقم (7307) .

[277]. رحلة قبل الرحيل ص (39) .

[278]. رحلة قبل الرحيل ص (40) .

[279]. السلسلة الصحيحة للألباني رقم (1078) .

[280]. السلسلة الصحيحة رقم (1079) .

[281]. صحيح الجامع رقم (4000) .

[282]. مجموع الفتاوى (4 / 261)، رحلة إلى الدار الآخرة ص (341) .

[283]. فتح الباري (11 / 376)، اليوم الآخر للمطيري ص (218) .

[284]. أضواء البيان (5 / 822) .

[285]. فتح القدير للشوكاني (5 / 76) .

[286]. الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (17 / 85) .

[287]. اليوم الآخر في القرآن العظيم والسنة المطهرة ص (220) .

[288]. اللباب في شرح العقيدة على ضوء السنة والكتاب د . محمد محمد الزبيدي ص (216) .

[289]. دراسات في التفسير الموضوعي د . إبراهيم الألمعي ص (302) .

[290]. دراسات في التفسير الموضوعي ص (305) .

[291]. أعلام الموقعين لابن القيم ص (436) .

[292]. في ظلال القرآن لسيد قطب (4 / 2409 . 2411) باختصارٍ وتصرف، الدلالة العقلية في القرآن د . عبد الكريم عبيدات ص (437) .

[293]. تفسير ابن كثير (4 / 222)، تفسير الطبري (21 / 55) .

[294]. أعلام الموقعين (1 / 144 . 145)، الدلالة العقلية ص (444) .

[295]. فتح القدير للشوكاني (5 / 342) .

[296]. الدلالة العقلية في القرآن ومكانتها في تقرير مسائل العقيدة ص (448) .

[297]. رحلة إلى الدار الآخرة، ص (346، 347، 348) .

[298]. المصدر نفسه ص (348) .

[299]. البخاري رقم (5955) .

[300]. السلسلة الصحيحة للألباني رقم (1087) .

[301]. مباحث العقيدة في سورة الزمر ناصر علي ص (549) .

[302]. اليوم الآخر في القرآن العظيم ص (185 . 191) .

[303]. المصدر نفسه ص (192 . 193) .

[304]. مجمع الزوائد (10 / 620) إسناده حسن .

[305]. مسلم رقم (2860) .

[306]. النسائي رقم (2083) بسند صحيح .

[307]. مفردات ألفاظ القرآن للراغب ص (590) .

[308]. المصدر نفسه ص (119) .

[309]. تفسير السعدي ص (446) .

[310]. اليوم الآخر في القرآن العظيم ص (235) .

[311]. المصدر نفسه ص (235) .

[312]. اليوم الآخر القيامة الكبرى عمر الأشقر ص (100) .

[313]. اليوم الآخر، القيامة الكبرى، الأشقر ص (103) .

[314]. البخاري رقم (6947) مسلم رقم (2787) .

[315]. اليوم الآخر في القرآن العظيم ص (242) .

[316]. تفسير ابن كثير (3 / 199) .

[317]. معارج القبول (2 / 212) .

[318]. المصدر نفسه (2 / 212) .

[319]. تفسير ابن كثير (4 / 240) .

[320]. معارج القبول (2 / 213) .

[321]. المفردات للراغب ص (282) .

[322]. البخاري، رقم (3028) .

[323]. المفردات للراغب ص (704) .

[324]. اليوم الآخر في القرآن العظيم ص (243) .

[325]. العفر: بياض يضرب إلى الحمرة .

[326]. النقي: الدقيق النقي من القش والنخال .

[327]. البخاري رقم (6156) .

[328]. مسلم رقم (2791) .

[329]. مسلم رقم (315) .

[330]. اليوم الآخر في القرآن العظيم ص (245) .

[331]. اليوم الآخر في القرآن العظيم ص (245) .

[332]. المصدر نفسه ص (246) .

[333]. اليوم الآخر في القرآن العظيم ص (251) .

[334]. المصدر نفسه ص (253) .

[335]. اليوم الآخر في القرآن العظيم ص (253 . 258) .

[336]. تفسير القرطبي (17 / 22) .

[337]. اليوم الآخر في القرآن العظيم ص (267) .

[338]. تفسير القاسمي (5 / 91)، اليوم الآخر في القرآن العظيم ص (469) .

[339]. تفسير القرطبي (11 / 88) .

[340]. البخاري رقم (1338) .

[341]. مسلم رقم (987) .

[342]. الترمذي رقم (2649) وقال الترمذي: حسن .

[343]. اليوم الآخر في القرآن العظيم ص (275) .

[344]. البخاري رقم (4277) .

[345]. اليوم الآخر في القرآن العظيم ص (276) .

[346]. البخاري رقم (3073) مسلم (1831) .

[347]. مشكاة المصابيح (2 / 635) إسناده حسن .

[348]. اليوم الآخر القيامة الكبرى، د . عمر الأشقر ص (144) .

[349]. البخاري رقم (6206) مسلم رقم (2143) .

[350]. فتح الباري (10 / 589) .

[351]. اليوم الآخر، القيامة الكبرى ص (149) .

[352]. صحيح الجامع الصغير رقم (1950) .

[353]. مسلم رقم (1735) .

[354]. مسلم رقم (1738) .

[355]. اليوم الآخر، القيامة الكبرى ص (151) .

[356]. اليوم الآخر، القيامة الكبرى ص (151) .

[357]. البخاري رقم (3196) .

[358]. فتح الباري لصحيح البخاري (5 / 3) .

[359]. البخاري رقم (3493 و3494) مسلم رقم (2526) .

[360]. أبو داود رقم (2948) والترمذي رقم (1333) .

[361]. صحيح الجامع الصغير رقم (6471) .

[362]. رواه البخاري رقم (7042) والآنُك: الرصاص .

[363]. اليوم الآخر في القرآن العظيم ص (279) .

[364]. البخاري رقم (6589) .

[365]. لسان العرب ابن منظور (4 / 369) معجم مقاييس اللغة (3 / 182) .

[366]. البخاري رقم (660) مسلم رقم (1031) . واللفظ له .

[367]. فتح الباري (2 / 144) .

[368]. مسلم رقم (3006) .

[369]. صحيح الجامع رقم (1462) .

[370]. اليوم الآخر القيامة الكبرى ص (61) .

[371]. رواه مسلم رقم (2699) .

[372]. البخاري رقم (2078) مسلم رقم (1562) .

[373]. مسلم (1827) .

[374]. الترمذي (1663) ابن ماجه (2799) .

[375]. صحيح الجامع الصغير رقم الحديث (3473) .

[376]. أبو داود (4777) والترمذي (2021) وابن ماجه (4186) .

[377]. اليوم الآخر، القيامة الكبرى ص (166) .

[378]. مسلم رقم (387) .

[379]. اليوم الآخر، القيامة الكبرى ص (169) .

[380]. النسائي (6 / 26 . 27) بإسناد صحيح .

[381]. البخاري (136) ومسلم (246) .

[382]. فتح الباري (1 / 236) .

[383]. مسلم (250) .

[384]. اليوم الآخر، يوم القيامة ص (172) .

[385]. الشفاعة عند المثبتين والنافين د . عفاف بنت حمد عبد العزيز الونيس ص (354) .

[386]. الشافعة عند المثبتين والنافين .

[387]. المصدر نفسه ص (255) .

[388]. المصدر نفسه ص (257) .

[389]. مسلم رقم (200) .

[390]. مسلم رقم (521) .

[391]. مسلم (2278) .

[392]. قواعد التفسير لخالد السبت (2 / 597) .

[393]. اليوم الآخر في القرآن العظيم ص (292) .

[394]. البخاري رقم (6565) ومسلم رقم (193) .

[395]. البخاري (4312) مسلم رقم (194) .

[396]. اليوم الآخر في القرآن العظيم ص (299) .

[397]. مسلم رقم (196) .

[398]. مسلم رقم (333) .

[399]. مسلم رقم (855) .

[400]. البخاري (4322) مسلم (2498) .

[401]. مسلم (920) .

[402]. ضحضاح: ما رقّ من الماء على وجه الأرض، ما يبلغ الكعبين، فاستعاره للنار . النهاية (3 / 75) . .[403] البخاري رقم (6208) ومسلم (209) .[404] مسلم رقم (362) .

[405]. المنحة الإلهية في تهذيب الطحاوية للغنيمي ص (292) .

[406]. الترمذي رقم (2435) حسن صحيح وغريب .

[407]. مسلم رقم (216) .

[408]. اليوم الآخر القيامة الكبرى ص (189)، فتح الباري (11 / 436) .

[409]. الشفاعة عند المثبتين والنافين ص (412) .

[410]. أحمد رقم (11488)، وسنده صحيح، وله شواهد كثيرة في (الصحيحين) . .[411] صحيح سنن ابن ماجه (2 / 129) .

[412]. البخاري رقم (1248 و1381) .

[413]. الموطأ (1 / 235)، جامع الأصول لابن الأثير (9 / 593) حديث صحيح .

[414]. الغياية: كلُّ شيء أظلَّ الإنسانَ فوقَ رأسِهِ .

[415]. مسلم (804) .

[416]. صحيح ابن ماجه (2 / 216) .

[417]. البخاري رقم (99) .

[418]. مسلم رقم (200) .

[419]. المسند (2 / 174) الحاكم (1 / 544) حديث صحيح .

[420]. البخاري (614) .

[421]. لأوائها: أي الصبر على شدائدها وضيق العيش فيها .

[422]. مسلم (1374 / 477) .

[423]. صحيح الجامع للألباني رقم (6233) .

[424]. مسلم (947) .

[425]. مسلم (948) .

[426]. مسلم (489) .

[427]. الحياة في القرآن الكريم، أحزمي جزولي (2 / 599) .

[428]. اليوم الآخر في القرآن العظيم ص (307) .

[429]. تذكرة القرطبي (2 / 95) اليوم الآخر، القيامة الكبرى ص (201) للأشقر .

[430]. التذكرة للقرطبي (2 / 95) .

[431]. لوامع الأنوار البهية (2 / 174) .

[432]. تذكرة القرطبي ص (2 / 96)، اليوم الآخر يوم القيامة ص (202) .

[433]. تذكرة القرطبي (2 / 135)، اليوم الآخر القيامة ص (199) .

[434]. اليوم الآخر القيامة ص (199) .

[435]. أبو داود (864) والترمذي (413) والنسائي (1 / 232) وابن ماجه (1425) .

[436]. الترمذي (2416) وقال: حديث غريب .

[437]. تفسير ابن كثير (1 / 561) .

[438]. اليوم الآخر يوم القيامة ص (211) .

[439]. البخاري (7501) ومسلم (128) .

[440]. اليوم الآخر في القرآن العظيم ص (335) .

[441]. المصدر نفسه ص (337) .

[442]. مسلم رقم (2969) .

[443]. البخاري رقم (3161) .

[444]. الترمذي رقم (3353)، حسن صحيح غريب .

[445]. اليوم الآخر في القرآن العظيم ص (340) .

[446]. المصدر نفسه ص (343) .

[447]. اليوم الآخر في القرآن العظيم ص (343) .

[448]. البخاري رقم (2317) .

[449]. مسلم رقم (2317) .

[450]. اليوم الآخر في القرآن العظيم ص (344) .

[451]. الحاكم بإسناد صحيح، اليوم الآخر المطيري ص (344) .

[452]. اليوم الآخر القيامة الكبرى للأشقر ص (240) .

[453]. صحيح الجامع الصغير رقم (7885) .

[454]. صحيح الجامع الصغير رقم (7887) .

[455]. البخاري (6533) ومسلم (1678) .

[456]. أغفى: أي نام نومة خفيفة، أو نعس .

[457]. الاختلاج: الحركة والاضطراب .

[458]. مسلم رقم (400) .

[459]. اليوم الآخر في القرآن العظيم ص (360) .

[460]. اللباب في شرح العقيدة على ضوء السنة والكتاب د . محمد الزبيدي ص (286) .

[461]. أيلة: مدينة على بحر القلزم (البحر الأحمر) مما يلي الشام، وقيل هي اخرُ الحجاز وأولُ الشام وتسمَّى اليوم (إيلات) ردّها الله إلى ديار المسلمين .

[462]. عدن: مدينة باليمن .

[463]. مسلم (248) .

[464]. البخاري (6587) .

[465]. البخاري (6583) مسلم (2290) .

[466]. البخاري (6584) ومسلم (2291) .

[467]. شرح صحيح مسلم (3 / 136، 137) .

[468]. المفهم للقرطبي (1 / 504)، فتح الباري (11 / 385) .

[469]. البخاري (6576) .

[470]. مسلم (2304) .

[471]. البخاري (6583) .

[472]. الانتصار للصحب والال للرحيلي ص (354) .

[473]. شرح النووي على صحيح مسلم (3 / 137) .

[474]. السنة لعبد الله بن أحمد (2 / 420) علي بن أبي طالب للمؤلف ص (684) .

[475]. البخاري رقم (6582) ومسلم (2340) .

[476]. البخاري (6587) .

[477]. الإصابة في تمييز الصحابة (1 / 7) .

[478]. التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة ص (2 / 134) .

[479]. الغيبيات في ضوء السنة د . محمد همام ص (345)، الحياة في القرآن الكريم (2 / 606) .

[480]. سلسلة الأحاديث الصحيحة رقم (941) .

[481]. مسند أحمد (2 / 221 . 222) رقم (7066) إسناده صحيح .

[482]. الحياة في القرآن الكريم (2 / 608) .

[483]. رحلة إلى الدار الآخرة ص (482) .

[484]. الترمذي (2002) وقال: حديث حسن صحيح .

[485]. البخاري رقم (7563) ومسلم (2694) .

[486]. مسلم (223) .

[487]. شرح الأربعين حديثاً النووية لابن دقيق العيد ص (61 . 62) .

[488]. البخاري رقم (2853) فتح الباري (6 / 67) .

[489]. لوامع الأنوار البهية للسفاريني (2 / 192) .

[490]. شرح مسلم للنووي (16 / 58) .

[491]. ابن ماجه رقم (4281) سند صحيح .

[492]. الحياة في القرآن الكريم (1 / 617) .

[493]. تفسير ابن كثير (4 / 270) .

[494]. دحض: زلق .

[495]. مسلم (183) .

[496]. مسلم رقم (195) .

[497]. رحلة إلى الدار الآخرة ص (498) .

[498]. البخاري رقم (4830) ومسلم (2554) .

[499]. صحيح الجامع للألباني رقم (5705) .

[500]. البخاري رقم (6535) .

[501]. الحياة في القرآن الكريم (2 / 619) .

[502]. التذكرة للقرطبي ص (2 / 165) .

[503]. اليوم الآخر؛ القيامة الكبرى ص (283) والتذكرة (2 / 165) .

[504]. الغوالي جمع (غالية) وهي من أطيب الطيب .

[505]. اليوم الآخر، عبد المحسن المطيري ص (294) .

[506]. مسلم رقم (2837)، اليوم الآخر في القرآن العظيم والسنة المطهرة ص (394) .

[507]. البخاري رقم (4453) مسلم (2849) .

[508]. البخاري رقم (5445) مسلم رقم (109) .

[509]. لسان العرب (3 / 1) .

[510]. المصدر نفسه (3 / 1) .

[511]. اليوم الآخر في القرآن والسنة المطهرة ص (400) .

[512]. اليوم الآخر في القرآن العظيم ص (402) .

[513]. البخاري رقم (4453)ومسلم (2849).

[514]. دفع إيهام الاضطراب عن ايات الكتاب للشنقيطي ص (93 ـ 97).

[515]. البخاري رقم (4901) مسلم رقم (907).

[516]. مسلم رقم (426).

[517]. مسلم رقم (162).

[518]. اليوم الآخر د . المطيري ص (410).

[519]. البخاري رقم (2637).

[520]. اليوم الآخر د . المطيري ص (410).

[521]. الفتح الرباني شرح مسند الإمام أحمد الشيباني، لعبد الرحمن بن أحمد البنا الساعاتي (7 /). .[522] تفسير ابن كثير (4 / 4).

[523]. محاسن التفسير للقاسمي (7 / 2).

[524]. اليوم الآخر، عبد المحسن المطيري ص (412).

[525]. مسلم رقم (2842).

[526]. مفردات الراغب ص (562).

[527]. البعث والنشور للبيهقي ص (81 . 87).

[528]. اليوم الآخر د . المطيري ص (418).

[529]. تفسير ابن كثير (2 / 2)، فتح القدير (1 / 2).

[530]. لسان العرب (15 / 2).

[531]. لسان العرب (4 / 3).

[532]. اليوم الآخر، د . المطيري ص (425).

[533]. لسان العرب (12 / 1).

[534]. اليوم الآخر د . المطيري ص (426).

[535]. النسائي رقم (2104)وأصله في الصحيحين .

[536]. لسان العرب (12 /)، بتصرف وتقديم وتأخير .

[537]. البعث والنشور للبيهقي ص (255).

[538]. اليوم الآخر في القرآن العظيم والسنة المطهرة ص (429).

[539]. مسلم (2842).

[540]. البخاري (4819).

[541]. مسلم رقم (2797).

[542]. اليوم الآخر في القرآن العظيم والسنة المطهرة ص (435).

[543]. اليوم الآخر، الجنة والنار، عمر الأشقر ص (28).

[544]. المصدر نفسه ص (28).

[545]. اليوم الآخر، د . محسن المطيري ص (438).

[546]. لسان العرب (10 / 4).

[547]. مفردات القرآن للراغب الأصفهاني ص (311).

[548]. اليوم الآخر في القرآن العظيم، والسنة المطهرة ص (442).

[549]. مسلم رقم (211).

[550]. اليوم الآخر، الجنة والنار للأشقر ص (33).

[551]. البخاري رقم (3092) مسلم رقم (2843).

[552]. اليوم الآخر الجنة والنار للأشقر ص (43).

[553]. اليوم الآخر في القرآن العظيم والسنة المطهرة ص (446).

[554]. الترمذي (3164) .

[555]. ابن أبي الدنيا صفة النار ص(41) .

[556]. المصدر نفسه ص (460) .

[557]. اليوم الآخر في القرآن العظيم ص (450) .

[558]. البيهقي في البعث والنشور ص (261) .

[559]. المصدر السابق ص (261) .

[560]. اليوم الآخر في القرآن العظيم ص (450) .

[561]. اليوم الآخر، في القرآن والسنة المطهرة ص (451) .

[562]. أخرجه البيهقي في البعث والنشور ص (268) .

[563]. النهاية في غريب الحديث لابن الأثير (2 / 359) .

[564]. الترمذي رقم (2584) .

[565]. مسلم رقم (2844) .

[566]. مسلم رقم (2851) .

[567]. مسلم رقم (2842) .

[568]. ديوان الأعشى الكبير (59)، الحياة في القرآن الكريم أحزمي سامعون جزولي (1 / 274) .

[569]. تفسير ابن كثير (1 / 112) .

[570]. الحياة في القرآن الكريم (1 / 272 . 281) .

[571]. اليوم الآخر في القرآن العظيم ص (457) .

[572]. البعث والنشور للبيهقي ص (286) .

[573]. مفردات القرآن للأصفهاني ص (667) .

[574]. اليوم الآخر في القرآن العظيم ص (457) .

[575]. لسان العرب لابن منظور (1 / 697) .

[576]. اليوم الآخر في القرآن العظيم ص (458) .

[577]. مسلم (1905) .

[578]. اليوم الآخر في القرآن العظيم ص (495) .

[579]. اليوم الآخر في القرآن العظيم ص (495) .

[580]. المفردات للراغب ص (78) .

[581]. تفسير القرطبي (7 / 133) .

[582]. اليوم الآخر في القرآن العظيم والسنة المطهرة ص (496) .

[583]. المفردات للراغب ص (610) بتصرف .

[584]. اليوم الآخر في القرآن العظيم ص (497) .

[585]. المصدر نفسه ص (497) .

[586]. المصدر السابق (499) .

[587]. البخاري (3200) .

[588]. الفتح الرباني (7 / 77) .

[589]. جامع الترمذي رقم (2493) .

[590]. البخاري رقم (5311) .

[591]. اليوم الآخر في القرآن العظيم والسنة المطهرة ص (447) .

[592]. مفردات القرآن للراغب الأصفهاني ص (781) .

[593]. تفسير القرطبي (16 / 100) .

[594]. اليوم الآخر في القرآن العظيم ص (447) .

[595]. المصدر نفسه ص (448) .

[596]. اليوم الآخر د . المطيري ص (502) .

[597]. البدور السافرة للسيوطي ص (493) .

[598]. صفة النار لابن أبي الدنيا ص (64) .

[599]. المفردات للراغب ص (254) لسان العرب (12 / 153) .

[600]. الترمذي رقم (2582) حسن صحيح غريب .

[601]. اليوم الآخر في القرآن العظيم ص (504) .

[602]. الترمذي رقم (1862) صححه الألباني في صحيح الترمذي (2 / 169)

[603]. لسان العرب (3 / 166) .

[604]. تفسير ابن كثير (4 / 41) .

[605]. البدور السافرة، للسيوطي ص (441) .

[606]. المصدر نفسه ص (441) .

[607]. اليوم الآخر، الأشقر ص (97) .

[608]. لسان العرب (11 / 335) .

[609]. البعث والنشور للبيهقي ص (284) .

[610]. مسلم رقم (934) .

[611]. اليوم الآخر، الأشقر ص (97) .

[612]. الترمذي رقم (2582) حسن صحيح غريب .

[613]. تفسير أبي السعود (6 / 151) .

[614]. القطران: النحاس المذاب، غريب القرآن ص (407) .

[615]. في ظلال القرآن (5 / 2883) .

[616]. الحياة في القرآن الكريم (1 / 286) .

[617]. تفسير المراغي (4 / 96)، .

[618]. المضض: وجع المصيبة، لسان العرب (7 / 233) .

[619]. التوجس: التسمع إلى الصوت الخفي .

[620]. القصم: كسر الشيء .

[621]. القفار: الظهر .

[622]. الحياة في القرآن الكريم (1 / 287) .

[623]. البخاري (3267) ومسلم (2989) .

[624]. الترمذي رقم (3012)، حسن صحيح .

[625]. الشجاع: الحية الذكر والأقرع الذي تقرّع رأسه .

[626]. البخاري رقم (1338) .

[627]. الإحسان رقم (7417) وصححه .

[628]. البخاري رقم (3170) .

[629]. تأمّل الفرق بين مطالب الظالمين في الدنيا والآخرة رجب محمود بخيت ص (18) في ظلال القرآن سيد قطب (2 / 882) .

[630]. تفسير ابن كثير (1 / 280) .

[631]. في ظلال القرآن (1/ 373)، مطالب الظالمين في الدنيا والآخرة، رجب بخيت ص (20).

[632]. في ظلال القرآن (5 / 3056) .

[633]. المصدر نفسه (2 / 1067 . 1068) .

[634]. تأمل الفرق بين مطالب الظالمين في الدنيا والآخرة ص (35) .

[635]. مطالب الظالمين ص (38) في ظلال القرآن (4 / 2480 . 2481) .

[636]. تفسير القرطبي (6 / 102 . 103)، مطالب الظالمين ص (40) .

[637]. في ظلال القرآن (4 / 2112) .

[638]. مطالب الظالمين ص (45 . 46) .

[639]. المصدر نفسه ص (47) .

[640]. في ظلال القرآن (5 / 3168) .

[641]. مطالب الظالمين ص (65)

[642]. مطالب الظالمين ص (70) .

[643]. في ظلال القرآن (5 / 3120) .

[644]. في ظلال القرآن (1 / 153، 154) .

[645]. مطالب الظالمين ص (85) .

[646]. تفسير القرطبي (9 / 233، 234) .

[647]. في ظلال القرآن (5 / 2706) .

[648]. مطالب الظالمين في الدنيا والآخرة ص (95) .

[649]. مطالب الظالمين ص (106) .

[650]. مطالب الظالمين ص (116) .

[651]. المصدر نفسه ص (116) تفسير ابن كثير (3 / 257) .

[652]. تفسير ابن كثير (4 / 26) مطالب الظالمين ص (127) .

[653]. في ظلال القرآن (5 / 3072) .

[654]. في ظلال القرآن (6 / 3486) .

[655]. مطالب الظالمين ص (159) .

[656]. اليوم الآخر، الجنة والنار للأشقر ص (57 . 58) .

[657]. الحياة في القرآن الكريم، المحزون (1 / 269) اليوم الآخر، الجنة والنار للأشقر ص (55) . .[658] اليوم الآخر في القرآن العظيم والسنة المطهرة ص (466) .

[659]. البخاري (3335) .

[660]. اليوم الآخر في القرآن العظيم ص (467) .

[661]. اليوم الآخر في القرآن العظيم ص (472) .

[662]. المصدر نفسه ص (473) .

[663]. الرحيق المختوم للمباركفوري ص (293) .

[664]. اليوم الآخر، الجنة والنار ص (473) .

[665]. مسلم رقم (153) .

[666]. الحاكم (2 / 506) والبيهقي في الدلائل (2 / 198) ومن أراد التوسع لمعرفة الأشخاص الذين بأعيانهم في النار فليرجع إلى كتاب (أهل النار) ليوسف الحاج أحمد ص (145 . 269) .

[667]. تفسير الطبري (24 / 17) تفسير ابن كثير (4 / 58) .

[668]. مسلم (2759) .

[669]. الترمذي (3537) ابن ماجه (4253) .

[670]. موانع إنفاذ الوعيد د . عيسى السعدي ص (41) .

[671]. المصدر نفسه ص (41) .

[672]. منهاج السنة (3 / 180) .

[673]. البخاري (7507) ومسلم (2758) .

[674]. مسلم (2749) .

[675]. موانع إنفاد الوعيد ص (56) .

[676]. الترمذي (1988) وقال: حديث حسن صحيح .

[677]. البخاري (3435) ومسلم (28) .

[678]. مسلم (245) .

[679]. البخاري (528) ومسلم (667) .

[680]. البخاري (1901) ومسلم (759) .

[681]. البخاري (1521) ومسلم (1350) .

[682]. موانع إنفاذ الوعيد ص (100) .

[683]. البخاري (1320) ومسلم (952) .

[684]. مسلم (948) .

[685]. أبو داود (3199) .

[686]. مسلم (963) .

[687]. مجمع الزوائد للهيثمي (211 / 10) . رواه البزار، إسناده جيد .

[688]. البخاري (1432) ومسلم (2627) .

[689]. مسلم (2732) .

[690]. تفسير ابن كثير (3 / 565) .

[691]. مسلم (1017) .

[692]. مسلم (2674) .

[693]. البخاري (3335) ومسلم (1677) .

[694]. مسلم (1631) .

[695]. موانع إنقاذ الوعيد ص (113) .

[696]. مجموع الفتاوى لابن تيمية (7 / 499) .

[697]. البخاري (2762) .

[698]. المخراف: المكان المثمر: والحائط: البستان .

[699]. نهاية المحتاج للرملي (92 / 6) .

[700]. البخاري (1852) .

[701]. فتح الباري (66 / 4) .

[702]. البخاري (1952) ومسلم (1147) .

[703]. مسلم (1260) .

[704]. مسلم (1149) .

[705]. البخاري (2295) .

[706]. كتاب الروح لابن القيم ص 165 .

[707]. موانع إنفاذ الوعيد ص 117 .

[708]. المصدر نفسه ص 129 .

[709]. فتح القدير للشوكاني (387 / 3) .

[710]. المصدر نفسه (3 / 406) .

[711]. تفسير السعدي (191 / 5) وقد تقدم الحديث عنها المبحث الثالث (الشفاعة) الفقرة (رابعاً) ص (143) .

[712]. موانع إنفاذ الوعيد ص (160) .

[713]. البخاري رقم (5640) ومسلم رقم (2572) .

[714]. نصب: تعب .

[715]. وصب: هو المرض .

[716]. البخاري رقم (5641، 5642) ومسلم رقم (2573) .

[717]. البخاري رقم (5660) ومسلم رقم (2571) .

[718]. البخاري رقم (1251) ومسلم رقم (2632) .

[719]. موانع إنفاذ الوعيد ص (157) .

[720]. مسلم رقم (2572) .

[721]. مجموع الفتاوى (24 / 375) .

[722]. البخاري (4894) ومسلم (1709) .

[723]. جامع العلوم والحكم لابن رجب ص (161) .

[724]. موانع إنفاذ الوعيد ص (175) .

[725]. البخاري رقم (1238) ومسلم (92) .

[726]. فتح القدير (1 / 475) موانع إنفاذ الوعيد ص (176) .

[727]. تفسير الطبري (5 / 126) .

[728]. كنفه: ستره .

[729]. البخاري (2441) ومسلم (2768) .

[730]. جامع الترمذي (3540) إسناد حسن .

[731]. أحمد (2 / 358) الترمذي (2468) ابن ماجه (4107) .

[732]. موسوعة الدار الآخرة، د . عبد الحميد هنداوي ص (494) .

[733]. المصدر السابق ص (494) .

[734]. مسلم رقم (214) .

[735]. مسلم رقم (2808) .

[736]. اليوم الآخر د . المطيري ص (537) .

[737]. اليوم الآخر، المطيري ص (537 . 450) .

[738]. حادي الأرواح لابن القيم ص (444) .

[739]. انظر: موجبات الجنة، لمعمر عبد الوهاب الأصبهاني، وتمام المنة ببيان الخصال الموجبة للجنة، للأدريسي .

[740]. اليوم الآخر في القرآن العظيم ص (542) .

[741]. البخاري رقم (5349) .

[742]. البخاري رقم (6464) و(6467) .

[743]. البخاري رقم (2818) ومسلم (2818) .

[744]. مسلم رقم (2817) .

[745]. نظم المتناثر من الحديث المتواتر للكتاني ص (201) .

[746]. اليوم الآخر في القرآن العظيم ص (543) .

[747]. الحياة في القرآن الكريم (2 / 627) .

[748]. المصدر نفسه (2 / 627) .

[749]. مسلم رقم (331) .

[750]. مسلم رقم (333) .

[751]. مسلم رقم (555) .

[752]. البخاري رقم (6571) .

[753]. اليوم الآخر، الجنة والنار للأشقر ص (123) .

[754]. البخاري (3254) ومسلم (3834) .

[755]. صحيح الجامع رقم (1068) .

[756]. البخاري (6541) .

[757]. اليوم الآخر في القرآن العظيم ص (523 . 526) .

[758]. نظم المتناثر من الحديث المتواتر، للكتاني ص (253) .

[759]. اليوم الآخر في القرآن العظيم ص (528) .

[760]. المصدر نفسه ص (528) .

[761]. البخاري (3257) .

[762]. مسلم رقم (46) .

[763]. زوجان: كل شيء قرن لصاحبه فهو زوجان .

[764]. مسلم (1027) .

[765]. تفسير ابن كثير (4 / 46) .

[766]. تفسير المراغي (9 / 129) .

[767]. التفسير الكبير (29 / 118) .

[768]. المراد به لؤلؤة مجوفة واسعة كالقصر المنيف .

[769]. الصخب: الصياح والمنازعة برفع الصوت والنصب: التعب .

[770]. البخاري رقم (3820) ومسلم (2432) .

[771]. مسلم (2394) .

[772]. البخاري رقم (3243) .

[773]. تفسير ابن كثير (4 / 253) .

[774]. الطلح: الموز: واحدتها طلحة .

[775]. الحياة في القرآن الكريم (2 / 646) .

[776]. المصدر نفسه (2 / 646) .

[777]. الحياة في القرآن (2 / 646) .

[778]. البخاري رقم (3252) .

[779]. مسلم رقم (3827) .

[780]. لسان العرب (3 / 163) .

[781]. البعث والنشور للبيهقي ص (172) .

[782]. تفسير ابن كثير (4 / 288) .

[783]. الأكمام: جمع الكُم، وهو القشر، لكل شجرة مثمرة كِمٌّ وهو برعومته، سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني رقم (1985) .

[784]. صحيح الجامع الصغير رقم (5028) .

[785]. الترمذي (2525) حديث حسن غريب .

[786]. الحياة في القرآن (2 / 648) .

[787]. اليوم الآخر، الجنة النار للأشقر ص (155) .

[788]. التذكرة للقرطبي ص (440) اليوم الآخر الجنة والنار الأشقر ص (159) .

[789]. البخاري رقم (3083) .

[790]. البخاري رقم (7423) .

[791]. اليوم الآخر في القرآن العظيم ص (553) .

[792]. صفة الجنة للحافظ ابن كثير ص (31) من كتاب البداية والنهاية .

[793]. مسلم رقم (384) .

[794]. حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح لابن القيم ص (218) .

[795]. المصدر نفسه ص (219) .

[796]. رواه ابن أبي الدنيا موقوفاً .

[797]. البخاري رقم (4681) .

[798]. اليوم الآخر في القرآن الكريم العظيم والسنة المطهرة ص (559) .

[799]. تفسير ابن كثير (4 / 454) .

[800]. تفسير ابن كثير .

[801]. مسلم رقم (315) .

[802]. البدور السافرة إلى أحوال الآخرة ص (544) .

[803]. تفسير ابن كثير (3 / 129) .

[804]. مجموع الفتاوى (4 / 312) .

[805]. الجنة والنار للأشقر ص (174) .

[806]. اليوم الآخر الجنة والنار للأشقر ص (175) .

[807]. صحيح الجامع رقم (6333) .

[808]. مسلم رقم (2928) .

[809]. اليوم الآخر في القرآن العظيم ص (562) .

[810]. أحمد (2 / 304 . 305) والترمذي (2526) .

[811]. البخاري (1 / 458 . 459) .

[812]. تفسير ابن كثير (3 / 137) بتصرف .

[813]. صفة الجنة لابن كثير ص 205 قال المحقق: رجاله ثقات .

[814]. مسلم رقم (1892) .

[815]. السلسلة الصحيحة للألباني (2 / 227) .

[816]. الترمذي رقم (2542) حسّنه الأرناؤوط في جامع الأصول (10 / 467)

[817]. البخاري رقم (3072) .

[818]. البخاري رقم (3078) .

[819]. البخاري رقم (2640) .

[820]. مسلم رقم (2807) .

[821]. الجنة والنار للأشقر ص 188 .

[822]. البخاري (6487) ومسلم (2822) .

[823]. شرح النووي على مسلم (17 / 165) .

[824]. تفسير القرطبي (16 / 153) .

[825]. البخاري رقم (6535) .

[826]. مسلم رقم (2834) .

[827]. فتح الباري (6 / 325) .

[828]. الجنة والنار للأشقر ص (195) .

[829]. التذكرة للقرطبي (2 / 317) اليوم الآخر للمطيري ص 573 .

[830]. نظم المتواتر ص 127 .

[831]. دعاميص: جمع دعموص، أي صغار أهلها .

[832]. مسلم رقم (2635) .

[833]. البخاري رقم (1316) .

[834]. ابن ماجه رقم (1604) سنده حسن .

[835]. السلسلة الصحيحة رقم (603) .

[836]. السلسلة الصحيحة رقم (1467) .

[837]. اليوم الآخر في القرآن العظيم ص (571) .

[838]. المصدر نفسه ص (572) .

[839]. مسلم رقم (189) .

[840]. اليوم الآخر في القرآن العظيم ص (584) .

[841]. المصدر نفسه ص (582) .

[842]. المصدر نفسه ص (590) .

[843]. المصدر نفسه ص (590) .

[844]. اليوم الآخر في القرآن العظيم ص (582) .

[845]. المصدر نفسه ص (583) .

[846]. اليوم الآخر في القرآن العظيم ص (585) .

[847]. سلسلة الأحاديث الصحيحة رقم (824) .

[848]. المصدر نفسه رقم (797) .

[849]. صحيح الجامع الصغير رقم (50) .

[850]. صحيح الجامع الصغير رقم (3358) .

[851]. صحيح الجامع رقم (3569) .

[852]. المصدر نفسه رقم (3870) .

[853]. المصدر نفسه رقم (3362) .

[854]. صحيح الجامع الصغير رقم (3366) .

[855]. المصدر نفسه (142 / 3) رقم (3364) .

[856]. سلسلة الأحاديث الصحيحة (410 / 3) رقم (1424) .

[857]. الجنة والنار للأشقر ص (211) .

[858]. البخاري (3820) .

[859]. الجنة والنار للأشقر ص (212) .

[860]. البخاري رقم (4508) .

[861]. السلسلة الصحيحة للألباني (3 / 275) .

[862]. نظم المتناثر من الحديث المتواتر للكتابي ص (202) .

[863]. المصدر نفسه ص (203) .

[864]. الجنة والنار للأشقر ص (223) .

[865]. مسلم رقم (2858) .

[866]. البخاري رقم (3078) .

[867]. البخاري رقم (2640) .

[868]. البخاري رقم (2643) .

[869]. اليوم الآخر، في القرآن العظيم ص (593) .

[870]. فتح الباري (6 / 318) الجنة والنار للأشقر ص (227) .

[871]. اليوم الآخر في القرآن العظيم ص (595) .

[872]. المصدر نفسه .

[873]. مسلم رقم (2835) .

[874]. الترمذي (2542) .

[875]. حادي الأرواح ص (224) لابن القيم .

[876]. البدور السافرة في أحوال الآخرة .

[877]. اليوم الآخر في القرآن العظيم ص (603) .

[878]. المصدر نفسه ص (604) .

[879]. التسهيل لابن جزي (2 / 235) المصدر نفسه ص (604) .

[880]. اليوم الآخر في القرآن العظيم ص (604) .

[881]. البخاري رقم (5575) .

[882]. أبو داود رقم (1682) سنده حسن .

[883]. أكواب: أي من ذهب .

[884]. لسان العرب (1 / 729) .

[885]. البخاري رقم (3073) .

[886]. صفة الجنة لابن كثير ص (113) .

[887]. مفردات القرآن للراغب الأصفهاني ص (729) .

[888]. اليوم الآخر في القرآن العظيم ص (609) .

[889]. صفة الجنة لابن كثير ص (103) بتصرف .

[890]. البخاري رقم (5110) مسلم (2067) .

[891]. البخاري رقم (4597) مسلم رقم (180) .

[892]. مسلم رقم (2836) .

[893]. حادي الأرواح ص (237) .

[894]. المصدر نفسه ص (238) .

[895]. اليوم الآخر في القرآن العظيم ص (611) .

[896]. لسان العرب (1 / 447) .

[897]. البعث والنشور للبيهقي ص (183) .

[898]. صفة الجنة لابن كثير ص (123) .

[899]. اليوم الآخر في القرآن العظيم ص (613) .

[900]. لسان (361 / 4) اليوم الآخر في القرآن العظيم ص (614) .

[901]. المصدر نفسه ص (614) .

[902]. المصدر نفسه ص (614) .

[903]. البعث والنشور للبيهقي ص (182) .

[904]. المصدر نفسه ص (182) .

[905]. لسان العرب (11 / 144) .

[906]. اليوم الآخر في القرآن العظيم ص (615) .

[907]. تفسير ابن كثير (4 / 456) .

[908]. مسلم رقم (2833) .

[909]. النووي على مسلم (17 / 170) .

[910]. البعث والنشور للبيهقي ص (211) حادي الأرواح ص (291) .

[911]. تفسير ابن كير (3 / 575) .

[912]. تفسير القرطبي (15 / 31) .

[913]. صفة الجنة لابن كثير ص (137) سنده صحيح بشواهد .

[914]. صحيح الجامع الصغير للألباني رقم (1557) .

[915]. البعث والنشور للبيهقي ص (211) .

[916]. اليوم الآخر في القرآن العظيم ص (626) .

[917]. صفة الجنة لابن كثير ص(127) .

[918]. التسهيل لابن جزي (2 / 377) .

[919]. اليوم الآخر في القرآن العظيم والسنة المطهرة ص (627) .

[920]. البخاري رقم (2643) .

[921]. اليوم الآخر في القرآن العظيم ص (628) .

[922]. تفسير ابن كثير (278 / 4) .

[923]. حادي الأرواح لابن القيم ص (261) .

[924]. مفردات القرآن، للراغب ص (557) .

[925]. لسان العرب (591 / 1) .

[926]. حادي الأرواح لابن القيم ص (258) .

[927]. البدور السافرة ص (554) حادي الأرواح ص (258) .

[928]. ابن حبان وسنده حسن، انظر تحقيق صفة الجنة ص (143) .

[929]. حادي الأرواح ص (258) .

[930]. لسان العرب (219 / 4) .

[931]. البعث والنشور ص (203) .

[932]. لسان العرب (302 / 13) .

[933]. حادي الأرواح ص (259) .

[934]. حادي الأرواح لابن القيم ص (261) .

[935]. ابن حبان وسنده حسن، تحقيق صفة الجنة لابن كثير ص (143) .

[936]. لسان العرب (719 / 1) المفردات للراغب ص (713) .

[937]. حادي الأرواح لابن القيم ص (267) .

[938]. اليوم الآخر في القرآن العظيم ص (632) .

[939]. صحيح الجامع الصغير رقم (7069) .

[940]. أحمد رقم (19165) سنده صحيح .

[941]. الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (15 / 30) .

[942]. اليوم الآخر المطيري ص (634) .

[943]. تفسير القرطبي (31 / 51) .

[944]. البعث والنشور للبيهقي ص (211) .

[945]. اليوم الآخر في القرآن العظيم ص (636) .

[946]. المصدر نفسه ص (636) .

[947]. البخاري رقم (2643) .

[948]. اليوم الآخر في القرآن العظيم ص (637) .

[949]. أقوال التابعين، عبد العزيز عبد الله (1066 / 3) .

[950]. مسلم رقم (181) .

[951]. نظم المتناثر من الحديث المتواتر للكتاني ص (253) .

[952]. شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للألكائي (519 / 3) .

[953]. تفسير ابن كثير (228 / 4) .

[954]. أقوال التابعين في مسائل التوحيد والإيمان (1074 / 3) .

[955]. فتح القدير للشوكاني (336 / 5) . وسيأتي الحديث بلفظه في الفقرة (6) التالية ص (309) .

[956]. تفسير القرطبي (171 / 19) بتصرف .

[957]. شرح أصول اعتقاد أهل السنة (518 / 3) للألكاني .

[958]. مسلم رقم(1887) اليوم الآخر في القرآن العظيم ص (644) .

[959]. حادي الأرواح ص (372) .

[960]. حادي الأرواح ص (328) .

[961]. تفسير ابن كثير (450 / 4) .

[962]. نظم المتناثر للكتاني ص 250 حادي الرواح ص (337) .

[963]. شرح الطحاوية (217 / 1) .

[964]. البخاري رقم 4581 .

[965]. البخاري رقم (6573)، مسلم رقم (182) .

[966]. البخاري رقم (6998) .

[967]. البخاري رقم (6549)، مسلم (2829) .

[968]. القحطاني في نونيته (9 . 10) .